L.Frank Baum

Tik-Tok of OZ

ل.فرانك باوم

أهم ملحمة خيالية في تاريخ أمريكا وزعت أكثر من ٣ مليون نسخة

تحولت لعشرات الأفلام والمسرحيات

خيال المآتة في أوز

مكتبة الطفل

ترجمة

طه عبد المنعم

المحروسة

9

9

خيال المآتة في أوز

ل. فرانك باوم

رسوم: جون أر. نيل

ترجمة: طه عبد المنعم

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

عنوان الكتاب: خيال المآتة في أوز
The Scarecrow of Oz
المؤلف: ل. فرانك باوم L. Frank Baum
رسوم: چون أر. نيل John R. Neill
ترجمة: طه عبد المنعم
تحرير ومراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف: 002 02 28432157-

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: 28996/ 2021
الترقيم الدولي: 978-977-313-885-1

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2022

خيال المآتة في أوز

ل. فرانك باوم

رسوم: چون أر. نيل

ترجمة: طه عبد المنعم

OZ

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

باوم، ليمان فرانك، 1856 - 1919
خيال المآتة في أوز/ ل. فرانك باوم؛ رسوم چون أر. نيل؛ ترجمة طه عبد المنعم.-
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021.
229 ص؛ 14.5×21.5سم
تدمك 978-977-313-885-1
1 - القصص الامريكية
أ - عبد المنعم، طه (مترجم)
ب - العنوان
823
رقم الإيداع 28996/ 2021

إهداء المترجم

عامر...

ابن هدى عبد المنعم ومحمد حميدة.

(1) "الأخوية السامية والمباركة للمبجلين" والمعروفة اختصارًا ب "المبجلين" هي نادي اجتماعي بنظام عضوية "الدعوة فقط" تأسس في لوس أنجلوس عام 1913 ومستمر في النشاط حتى الآن، للمزيد انظر الخاتمة.

المحتويات

إلى قرّائي.. 13
1 الدوّامة الكبيرة 19
2 الكهف تحت البحر 27
3 الأورغ 35
4 أخيرًا، ضوء النهار 47
5 شيخ الجزيرة الضئيل 55
6 الرحلة في القُبّعة 67
7 أُذُن الجبل 71
8 يُرعُم باهِر... "تاه ولقيناه"! 79
9 مملكة جينكسلاند. 91
10 بون، صبي البستاني. 99
11 الملك اللئيم وجنجلي جول. 105
12 الجُندُب ذو الساق الخشبية. 115
13 جلينـدا الطيبة وخيال المآتة 127
14 القلب المتجمّد 137
15 تروت تقابل خيال المآتة 149
16 بون يدعو الملك للاستسلام 155
17 الأورغ ينقذ برعم باهر 161
18 خيال المآتة يُواجِه عَدوًّا 167
19 إخضاع الساحرة 175
20 الملكة جلوريا 183
21 دورثي وبينسي وأوزما 193
22 السَّلَال 199
23 أرض أوز المدهشة 207
24 الاستقبال المَلَكيّ 211
الخاتمة 219

إلى قرّائي..

بيني وبينك

ألـحَّ جيـش الأطفـال الـذي حاصـر مكتـب البريـد، وأخضـع سـاعي البريـد حتـى يسـلم لـي بنفسـه الأوامـر المُلِحَّـة، أن أسـمح للكابتـن بيـل وتـروت بالدخـول لأرض أوز. وهـا أنـا فعلـت، فيمكـن للفتـاة تـروت أن تسـتمتع بصحبـة دورثـي وبيتسـي وأوزمـا، بينمـا البحَّـارُ ذو السَّـاق الخشـبية يسـتمتع برفقـة الحَطَّاب الصفيـح، والمتشـرِّد، وتيكتـوك، وبقيَّـة الشـخصيات الظريفـة فـي تلـك الأرض الخياليَّـة المدهشـة.

لـم تكـن مَهمَّـة إطاعـة أوامرهـم سـهلة؛ فـأن تنتهـي رحلـة كابتـن بيـل وتـروت بأمـان فـي أرض أوز مُغامَـرةٌ صعبـة ومثيـرة، كمـا ستكتشـفون بقـراءة هـذا الكتـاب. بالطبـع، تطلَّـب ذلـك جهـودًا مُضنِيَـة مـن صديقنـا القديـم خيـال المآتـة؛ لإنقاذهـم مـن مصيـرٍ رهيـب، لكـن القصـة سـتتركهم آمنيـن سـالمين فـي قصـر الأميـرة أوزمـا، مـع وعـدٍ مـن دورثـي إن برعـم باهـر مـع الفتيـات الثلاثـة سـيواجهن -فـي المسـتقبل القريـب- مغامـراتٍ مُدهِشـةً أخـرى فـي أرض أوز، والتـي أتمنَّـى أن أحكيهـا لكـم فـي الكتـب القادمـة.

فـي غضـون ذلـك، أنـا مُمتـنٌّ للغايـة لقُرَّائـي الصِّغـار علـى حماسـهم المسـتمرِّ لقصـص أوز، كمـا يتَّضـح مـن الرسـائل العديـدة التـي أرسـلوها إليَّ، والتـي نعتـزُّ بهـا جميعًـا. يتطلَّـب الأمـر المزيـدَ والمزيـدَ مـن كتـب أوز كلَّ عـامٍ لتلبيـة متطلَّبـات القُـرَّاء القدامـى والجـدد. كمـا تـمَّ تكويـن العديـد مـن "نـوادي أوز للقـراءة"، حيـث يقـرأ الأعضـاء كتُبَهـم بصـوتٍ عـالٍ. مُمتـنٌّ أيضًـا لـكل هـذا التقديـر؛ ممَّـا يُشـجِّعني علـى كتابـة المزيـد مـن القصـص، وعندمـا يكتفـي الأطفـال مـن قصـص أوز، آمـل أن يخبرونـي بذلـك؛ لأحـاول كتابـة شـيء مختلـفٍ.

ليمان فرانك باوم

مؤرِّخ أوز المَلَكي

أوزكوت

في هوليوود في كاليفورنيا 1915.

الفصل الأول

الدوَّامة الكبيرة

جلس كابتن بيل بجانب الفتاة تروت تحت شجرة آكسيا يتطلَّع لمشهد المحيط الأزرق الواسع، وقال متأمِّلًا: "بيتهيَّأ لي، يا تروت، إن كلما ازدادت معرفتنا، اكتشفنا أن ما نعرفه قليل"، أجابت الفتاة الصغيرة بعد لحظة تفكيرٍ عميق، وبصوتٍ جادٍّ: "أنا لا أفهم ذلك تمامًا، يا كابتن بيل!"، ووَجَّهَت نظرها لنفس المشهد الذي يتطلَّع له البحَّار، وأكمَلَت: "أمَّا أنا فأعتقد أن ما نكتسبه من معرفةٍ هو بالضبط على قدر ما نتعلَّمه من تجاربنا".

هَزَّ البَحَّارُ رأسه: "أعرف. هكذا يبدو الأمر في البداية، ولكن هؤلاء الذين يعرفون معرفةً محدودةً لديهم اعتقادٌ راسخ زائف أنهم يعرفون كل شيء، بينما هؤلاء الذين يتحصَّلون على معرفة كبيرة، يعترفون بأن هناك عالَمًا رهيبًا وشاسِعًا، خارجهم، وخارج حدود معرفتهم،

ويدركون أن حياتهم ليست كافيةً لتحصيل مجرَّد قطرات قليلة تقع من مجاديف المعرفة".

لم تُحِب تروت؛ فهي فتاه صغيرة، بعيون واسعة ورزينة، وبكلٍّ بساطة، صادِقَة فيما تقول. وتعتقد حقًّا أنها مَدينةٌ بالفضل لكابتن بيل، رفيقها المخلِص، منذ سنوات، أنَّه علمها كل شيء تقريبًا؛ فقد كان رَجُلًا رائعًا، لم يكن عجوزًا طاعِنًا في السِّنِّ، بل ما يجعلنا نقول إنه عجوز هو ما تبقي من شعرة الأشيب. فإمكانك أن ترى أن معظم رأسه صلعاء كأنها بيضة، تلمع كأنها مدهونة بزيت جوز الهند؛ ممَّا أظهر أذنيه بطريقة مُضحِكَة قليلًا، عيونه زرقاء، ولها نظرة ودودة وطيِّبة على الدوام. وجهه مُدوَّر، مليء بالتجاعيد، وتكسوه لفحةٌ برونزية. رجله اليسرى مفقودة، من عند الركبة؛ ولهذا لم يَعُد البَحَّارُ يُبحِر في البحار، فقد كانت رِجله الخشبية جيِّدة كفاية للتحرُّك على اليابسة، أو حتى اصطحاب تروت في نزهة بحرية في المحيط، ولكن عندما يتعلَّق الأمر "بالركض سريعًا" وتنفيذ واجباتٍ ومهامَّ بحريَّة على السفينة- لم يكن البَحَّار العجوز قادِرًا على القيام بهذه المهام بكفاءة. فقدان رِجلِه أفسد مهنةَ البحريَّة، ولكنه وجد الراحة في تكريس نفسه لرفقة الفتاة الصغيرة وتعليمها.

حادثة فقدان رِجله وتركيب ساق خشبيَّة بدلًا منها، حدَثَت تقريبًا وقت ولادة الفتاة تروت، ومنذ وقتها عاش في المنزل مع والدة تروت كـ "ساكن مُقيم" وكان قد ادَّخر أموالًا من رحلاته البحرية السابقة بما يكفي ليدفع أُجرَة المسكن الأسبوعية. أحبَّ الطفلة وحملها في حِجره أغلب الأوقات حينما كانت رضيعةً، وأوَّل ركوبة لها كانت على كتفيه، بمرور الوقت أصبحت الطفلة والبحار صدقين مُقرَّبَيْن، واستمتعا بكثير من المغامرات مع بعضهما البعض. وقيل إن الجِنِّيَّات حضرت ولادة تروت وطبعت علامةً غامِضةً غير مرئيَّة على جبهتها؛ لكي تتمكَّن من رؤية وفعل العديد من الأشياء الرائعة.

شجرة الأكاسيا مغروسة عميقًا على قمة منحدر مرتفع، ولكنها على جانب مَمَرٍّ يسير حتى ضفة المحيط بطريقة متعرِّجة، حيث رسا قارب

كابتن بيل المربوط بحبل متين في صخرة على الشاطئ. كانت ظهيرةً حارَّة جافَّة بدون نسمة هواء؛ لذا ظلَّ كابتن بيل مع تروت يستمتعان بظِلِّ الشجرة الضخمة، منتظرين الشمس تنكسر حدِّتُها قليلًا بما يكفي ليأخذا نزهة بالقارب. قرَّرا زيارة أحد الكهوف الكبيرة التي جرفتها الأمواج من الساحل الصخري خلال سنوات عديدة من المدِّ والجزر، والتي كانت مصدرَ سعادة دائمة لكلٍّ من الفتاة والبَحَّار، اللَّذَيْن أحبَّا استكشاف أعماقها الرائعة.

أخيرًا قالت تروت: "أعتقد يا كابتن، أن الوقت حان". نظر الرجل العجوز إلى السماء والبحر والقارب الذي لا يتحرَّك على الشاطئ، وأجاب: "احتمال أن الوقت حان فعلًا، لكني لا أحبُّ منظر الأشياء في هذه الظهيرة". سألته الفتاةُ بقَلق: "ما الخَطبُ؟"، قال بعد تنهيدة خاطفة: "لا أستطيع قولَ شيء مُحدَّدً، الأشياء هادئة جدًّا، لدرجة لا تريحُني، هذا كل ما في الأمر. لا نسائِمَ، ولا موج على سطح الماء، ولا حتى نورس يطير في الأفق، في النهاية اليوم هو أكثر الأيام سخونة طوال العام. أنا لست مُتنبِّئًا بالطَّقس يا تروت، ولكن أي بحار يعرف العلامات التي تُنذِر بالسُّوء".

قالت تروت: "لا يوجد شيء غير مناسب يمكنني رؤيته"، وأشارت إلى السماء: "انظُر يا كابتن، لو في السماء سحابة ولو بحجم إصبع، من الممكن أن نقلق، لكن يا كابتن، السماء صافية بكل وضوح". نظر البَحَّارُ مَرَّة ثانية بتمعُّنٍ، وأومأ برأسه، ووافقها؛ فلم يكن يريد أن يُخيِّب ظَنَّها: "احتمال نستطيع بلوغ الكهف بأمان، المسافة للكهوف قصيرة، وهناك بإمكاننا أن نستمتع بمشاهَدةٍ مُمتِعَة مثيرة داخل الكهوف. إذن هيا يا تروت".

نزل الصديقان على الممر الهابط للشاطئ، لم تُعانِ الفتاة من أي مشكلة للنزول على الممر المتعرِّج، لكنَّ الساق الخشبية للكابتن بيل جعلته يبذل جهدًا إضافيًّا لتخطِّي الصخور والحفاظ على نفسه من التَّدَحرُج للأسفل. على سطحٍ مُستَوٍ كان رشيقًا مثل أي شخص، ولكن التسلُّق لأعلى أو الهبوط لأسفل يتطلَّب بذل مجهودٍ مضاعف، ومزيدٍ من الحرص.

وَصَلَا للقارب بأمانٍ، وبينما ذهَبَت تروت لتَفُكَّ الحبل، توجَّه كابتن بيل إلى شقٍّ في جدار صخريٍّ قريب من الشاطئ، حيث أخرج عددًا من شموع الشحم الطويلة، وعلبة أعواد ثقاب دَفَسها في الجيب الرَّحب في قُبَّعة البَحَّار، وهي قُبَّعة مقاومة للماء، بغطاءٍ واسعٍ يُغطِّي الرقبة لتحميها من الرياح الشديدة. تَعوَّد كابتن بيل أن يلبسها على الدوام، فجيوبها دائمًا ما تحوي أشياء مفيدة وأدوات كثيرة، لدرجة أن تروت تتعجَّب في كثير من الأوقات من كَمِّ الأشياء التي يُخبِّئها فيها: خنجر كبير، ومُديَة صغيرة، قِطَع من حبل سميك، خطَّافات، دبابيس، هذه الأدوات عملية في كل المناسبات. ولكن أيضًا قد تجد صَدَفًا وصندوقَ صفيحٍ صغيرًا فارغًا، أزرارًا وكمَّاشة وزجاجةً مليئة بالرمل، وقِطَعَ حجارة بَدَت غير ضرورية ليحملها. ولكن هذا شأن كابتن بيل الخاص، والآن أضاف الشموع وعلبة الثقاب إلى مجموعته الغريبة. لم تُعلِّق تروت؛ لأنها عرفت أنهم سيحتاجون تلك الأدوات لإضاءة طريقهم داخل الكهوف.

مَهمَّـة البَحَّـار الأساسـية هـي التجديـف بالقـارب فـي البحـر؛ فهـو يتعامـل مـع المجاديـف بقـوَّةٍ ومهـارة. جلسـت تـروت فـي مؤخِّـرة القـارب مُمسِـكَةً بالدفَّـة. ووَجَّهَـت القـارب للخـروج مـن خليـجٍ صغيـر دائـري إلـى خليـج أكبـر، حيـث توجـد الكهـوف التـي تقـع مباشـرةً علـى حافَّـة الميـاه.

بعـد ميـل مـن الشـاطئ، وفـي منتصـف الطريـق تقريبًـا مـن الخليـج، وقَفَـت تـروت فجـأة وصرخـت: "مـا هـذا يـا كابتـن؟"؛ فتوقَّـف عـن التجديـف واسـتدار بظهـره، ونظـر إلـى حيـث تشـير، ورَدَّ ببُـطء: "يظهـر، يـا تـروت، أن هـذه دوَّامـة". قالـت: "ومـا الـذي يصنـع تلـك الدَّوَّامـة، يـا كابتـن؟"، قـال: "الدوَّامـة فـي الهـواء تصنـع دوَّامـةً فـي المـاء. أخشـى أننـا سـنواجه صعوبـات، فيـه حاجـة غلـط، فالهـواء سـاكن هنـا". صرخـت الفتـاة: "إنهـا تقتـرب!". قبـض البَحَّـارُ علـى المجدافيـن بقـوَّة، وقـام بالتجديـف بعيـدًا عنهـا بـكل جهـده.

شهق البَحَّار وقال: "إنها لا تقترب منَّا، بل نحن الذين نقترب منها، فهي تسحبنا كالمغناطيس". شحب وجه تروت البرونزي حينما أمسكت بالدفَّة ووَجَّهَت القارب بعيدًا، وكان ذلك بلا جدوى، ولكنها لم تَقُل ولا كلمة دليلًا على خوفها. تصاعَدَ من الدوامة حين اقتربوا منها هديرٌ مُزعِج مُثيرٌ للذُّعر، وكانت شَرِسةً وقوية لدرجة أنها جذَبَت سطح البحر لشكل حوض كبير، مائِلًا للأسفل نحو المركز كالمخروط؛ ممَّا صنع ثَقبًا كبيرًا في المحيط، وكأنها حفرة بجدران دائريَّة من الماء، ثابتة في مكانها عن طريق الدوران السريع والمستمر لماء المحيط.

القارب الذي يركب فيه كابتن بيل وتروت اقترب من الحافَّة الخارجية للمنحدر المائي الذي يشبه الحوض، وأدرك البَحَّارُ العجوز أنه إن لم يُبعِد القارب سريعًا عن التيَّار المتسارع، فسريعًا سينجذبون للثَّقب الأسود الكبير الذي يفتح فمه هناك ليبتلعهم؛ لذا انهمك في بذل كلِّ قُوَّته في التجديف، جدَّف كما لم يُجدِّف من قبل، جدَّف لدرجة أن المجداف الأيسر انكسر، ودفعت صدمةُ الكسر كابتن بيل لقاع القارب.

أفاق كابتن بيل سريعًا من الصدمة، وصعد من سقوطه في قاع القارب، ونظر حوله، فوجد تروت مُمسِكَةً بالدفَّة بجدِّيَّة، وبالرغم من أمارات الهدوء البادية عليها، لم يستَطِع تجاهُلَ نظرة القلق والترقُّب في عينيها الجميلتين الواسعتين. أمَّا القارب فانجذب من تلقاء نفسه بخفَّة، مُتَّبِعًا المحيط الدائري للحوض، في دوائر تصغر شيئًا فشيئًا ناحية المركز، في هذه اللحظة، أي مجهود للهروب من الدوامة هو بلا جدوى، حينما أدرك كابتن بيل هذه الحقيقة استدار نحو تروت ولفَّ ذراعه عليها كما لو كان يحميها من مصير مُروِّع، لم يحاول أن يتكلَّم؛ فهدير الماء حولهم سيُغرِق صوت كلامه في ضجيج مزعج.

واجَهَ هذان الرفيقان المخلصان أخطارًا من قبل، لكن لا شيء يضاهي ما يواجههما حاليًا. ومع ذلك، لم يَدَع كابتن بيل اليأس يتملَّكه تمامًا؛ فتطلَّع لعيون تروت الجميلة الواسعة، وتذكَّر عدد المرات التي

كانت فيها محميَّةً بقوى غير مرئية، لينفض عن نفسه أي مساحة لليأس تتسلَّل له أو للفتاة.

الثَّقب الكبير في المياه السوداء، الذي اقرب أكثر فأكثر، أصبح مُخيفًا أكثر من الأول، ولكنَّ الرَّفيقَيْن لديهما الشجاعة لمواجَهة هذا الشيء المخيف، وانتظار ما ستسفر عنه تلك المغامَرَة.

الفصل الثاني

الكهف تحت البحر

دوائر الدوَّامة تصغر أكثر فأكثر كلَّما اقتربنا من قاع الحوض البحري، والقارب يندفع في محيط تلك الدوائر بتَسارُع أكبر في كل دورة، حتى إن تروت أصابها الدُّوار والدوخة من تلك الحركات الدائرية، فقد كانا يدوران مثل النحلة الدَّوَّارة الخشبية، ولكنهم ما زالا متشبِّثَيْن بعضهما ببعض، فجأة كأن القارب قفز وغطس في أعماق الحفرة المظلمة. وعلى الرغم من أنهم وقعا عن القارب إلا أنهم أكمَلَا سقوطهما داخل ثقب الدوَّامة في أعمق أعماق المحيط.

سقوطهم، بعد وقوعهم من القارب، أصبح أشبه بحركة السهم. شيئًا فشيئًا أحسَّت تروت أن هناك أَذرُعًا غير مرئيَّة تتلقَّفهم، تُدعِّمهم وتحميهم، خَفَّفت من سرعة السقوط المستقيم لأسفل. لم تَرَ شيئًا فعليًّا؛ فالمياه غمرت عيونها وضَبَّبت رؤيتها، تشبَّثت بذيل قُبَّعة البَحَّار

كابتـن بيـل، وبذراعهـا الأخـرى تشـبَّثَت بذراعـه، تدريجيًّـا اندفعـا للأسـفل حتـى نقطـة مُعيَّنـة، ثـم بـدأ فـي الصعـود لأعلـى.

لكـن تـروت أحسَّـت أن صعودهـم ليـس بشـكلٍ مسـتقيم إلـى سـطح الميـاه حيـث بـدأت الدوامـة، فالمـاء لـم يَعُـد يـدور بهـم، ولكنـه يتحـرَّك بشـكلٍ مائـل نحـو أعمـاق المحيـط البـاردة. وفجـأة، بأسـرع ممَّـا أحكـي لكـم مـا حـدث، اندفعـا لسـطح المـاء، ووجـدا نفسـيهما علـى شـاطئٍ رملـيٍّ، يجاهـدان لالتقـاط أنفاسـهما، ولا يدريـان بمـا يحـدث لهمـا.

أفاقـت تـروت سـريعًا، وفكَّـت نفسـها مـن التشـبُّث بسـترة البحَّـار المبلولـة، فركـت المـاء مـن عينيهـا ونظـرت حولهـا. فوجـدت توهُّجًـا أزرقَ يُضـيء المـكان، الـذي بـدا ككهـف، فالصخـور الوعـرة تبـرز مـن كل جانـب عـدا الشـاطئ الرملـي الممدَّيْـن فوقـه، المطـل علـى بِركـة المـاء التـي صعـدا منهـا لتَـوِّه، والتـي بـلا شـك مُتَّصِلـة بالمحيـط الكبيـر الـذي كانـا يُبحِـران فيـه منـذ قليـل. انتَبَهـت تـروت بعـد فتـرة أن الكهـف كأنـه قُبَّـة فـوق بِركـة الميـاه.

كان كئيبًـا ومهجـورًا، لكـن تـروت مُمتنَّـة أنهـا مـا زالـت علـى قَيْـد الحيـاة، ولـم تتعـرَّض لإصابـة خطيـرة مـن مغامرتهـا تحـت المـاء، بينمـا كابتـن بيـل مـا زال ممـدَّدًا يكـحُّ ويحـاول التخلُّـصَ مـن الميـاه المالحـة التـي ابتلعهـا. وبالرغـم مـن أن كليهمـا يقطـر مـاء، فلـم يشـعرا بالبـرد؛ فالكهـف دافـئٌ، والشـاطئ مُريـحٌ، والبلـل لـم يزعـج الصغيـرة علـى الإطـلاق. زحفـت علـى تَـلٍّ صغيـر مـن الرمـال وقبضـت علـى حفنـة مـن الأعشـاب البحريـة الجافَّة، ومسـحت بهـا وجـه كابتـن بيـل وأزالـت الميـاه مـن عينيـه وأنفـه. اسـتعاد البَحَّـار نفسـه وقعـد علـى تبَّـةٍ رمليَّـة ونظـر حولـه وقـال: "يـا آلهـة البحـار والمحيطـات. تـروت. أيـن نحـن يـا تـروت. هـل وصلنـا لخزانـة ديفـي چونـز[1] هـذه المـرَّة! كيـف وصلنـا هنـا؟ ولمـاذا هنـا؟ رُحمـاااااك يـا ربُّونـا؟". ردَّت الفتـاة: "بهـدوء يـا كابتـن، خُـذ الأمـور بهـدوء. نحـن الآن بأمـان. علـى مـا يبدو. على الأقل في الوقت الحاضر".

---

(1) خزانـة ديفـي چونـز Davy Jones' Locker هـو تعبيـر يسـتخدمه البَحَّـارة للدلالـة علـى أعمـق أعـماق البحـر، حيـث يسـتقرُّ الغرقـى والسُّـفنُ المحطَّمـة.

عصر المياه من قيعان سرواله الفضفاض، وتحسَّس رجلَه الخشبية وذراعة ورأسه، وحين عرف أنه سليمٌ مُعافًى، هدأ قليلًا، قال: "أين نحن يا تروت؟"، قالت: "لا أعرف يا كابتن، احتمال هو أحد الكهوف التي نستكشفها". هَزَّ رأسه وقال: "لا. لا أظنُّ. المسافة التي قطعناها لم تبلغ نصف المسافة للكهوف التي اعتدنا أن نزورها. وبالتأكيد لاحَظتِ أن هذا الكهف لا يوجد فيه أي مدخل أو مَخرَج. إنه مجرَّد قُبَّة صخرية كبيرة على بِركة مياه. ونحن سُجَناء هنا، إلا لو عثرنا على ممرٍّ في الخلف".

نظرت تروت للخلف وقالت: "بعدما نرتاح قليلًا، سنذهب إلى هناك ونرى إذا كان هناك طريق للخروج". أخرج كابتن بيل من محفظة جلديَّة مُحكَمة غليونه، الذي ما زال جافًّا؛ فالمحفظة الجلدية مُغطَّاة بطبقة زيتية تمنع تَسرُّبَ الماء لها، حيث احتفظ أيضًا بتَبغٍ وأعواد ثقاب. في غصون لحظات قصيرة أشعل البَحَّارُ غليونه وتصاعَدت حلقات من الدخان، ساعتها عرفت تروت أنه يفكِّر بعمق في تلك الورطة التي وقعا فيها، فلم تعرف وقتها أن التدخين ضارٌّ جدًّا بالصحة. فقد خُيِّل إليها أنها مجرد عادة قبيحة اكتسبها من سَفره بين البِحار.

انهمكت تروت في عصر البَلَل من شَعرِها وتسريحه بيديها، ولاحظت أن الرمل تحتها جافٌّ؛ ممَّا ساعد على امتصاص الماء المتساقط من ملابسهم. رويدًا رويدًا استطاع الاثنان الوقوف على أقدامهما مرَّةً أخرى، فتسلَّلا بين كثبان الرمال إلى أقصى مؤخِّرة الكهف. قالت تروت باهتمام: "هناك فتحة دائرية هنا!". شاهد كابتن بيل الفتحة التي أشارت لها تروت وقال: "وهي سوداء كالليل بلا نجوم"، أجابت الفتاة: "لا يفرق ذلك في أي شيء، فينبغي علينا استكشافها، ونعرف إلى أين تؤدِّي؛ لأنها الفتحة الوحيد للخروج من هذا المكان". تَأمَّلها الكابتن مُتشكِّكًا، وقال: "صحيح أنها قد تؤدِّي بنا للخروج من هنا، ولكن أيضًا احتمال أن تؤدِّي بنا لمكانٍ أسوأ. أنا لست مرتاحًا لهذا يا تروت، أظن أن أفضل خطة هي البقاء هنا".

تـروت لـم تكـن مرتاحـة أيضًـا حيـن فكَّـرَت فيهـا كمـا قـال. فرجعـت للشـاطئ الرملـي مـرة أخـرى، وتبعهـا كابتـن بيـل، وحيـن قعـدا بجانـب بعـض، سـألته: "كـم معنـا مـن طعـام يـا كابتـن؟"، رَدَّ: "نصـف دسـتة بسـكويت، وقطعـة كبيـرة مـن الجبـن الرومـي، هـل تريديـن بعضًـا منهـا يـا صغيرتي؟"، هـزَّت رأسـها بالرفـض، وقالـت: "هـذه الكميـة تكفينـا أحيـاء لمـدة ثلاثـة أيـام، لـو كُنَّـا حريصيـن". قاطعهـا الكابتـن بصـوتٍ ينتابـه قليـل مـن القلـق: "فتـرة أطـول قليـلًا يـا تـروت"، ولكنهـا أكملـت: "ولكننـا لـو بقينـا هنـا لمـا بعـد ذلـك، فسـنتضوَّر جوعًـا. أمَّـا لـو دخلنـا فـي تلـك الفتحـة السـوداء.."، قاطعهـا مـرَّةً ثانيـة بجدِّيَّـة: "مواجَهـة بعـض الأشـياء أقسـى مـن الجـوع. نحـن لا نعـرف مـاذا يوجـد فيهـا ولا إلـى أيـن تـؤدِّي؟". ألَحَّـت قليـلًا: "هنـاك طريقـة لمعرفـة ذلـك!".

بـدلًا مـن الـرد عليهـا، بحـث فـي جيوبـه، وسـرعان مـا عثـر علـى خطَّـاف سـمك وقطعـة خيـط سـميك طويـل. شـاهدته تـروت يلضـم طـرف الحبـل فـي الخطَّـاف، وتسـلَّق صخـرة تُطـلُّ علـى المـاء مـن الشـاطئ، وبحـث بيـن شـقوقها قليـلًا، حتـى وجـد ثـلاث كابوريـات صغيـرة، أخـذ واحِـدة منهـا وشـبكها فـي الخطَّـاف، ووضـع الباقـي فـي جيبـه، ثـم عـاد للبحيـرة، وبـكل قـوة ذراعـه قـذف الخطَّـاف للمـاء وأمسـك بطـرف الحبـل صانِعًـا سـنَّارة سـمك، انتظـر حتـى وصـل الخطـاف لأبعـد مسـافة فـي البحيـرة، ثـم حيـن نـزل الخطَّـافُ بالطُّعـم عميقًـا فـي البحيـرة انتظـر قليـلًا، ثـم سـحب الحبل بهـدوء ويُبـطء حتـى طفـت الكابوريـا مـرَّةً ثانيـة علـى المـاء.

شـاهدته تـروت يحـاول اصطيـاد السـمك مـرَّةً ثانيـة وثالثـة بـدون جـدوى، ففكَّـرَت أن البحيـرة ليـس فيهـا سـمك، أو أن السـمك لا يعجبـه طعـم الكابوريـا، ولكـن كابتـن بيـل صيَّـاد سـمك قديـم لا يُسـتهان بـه، ولا يستسـلم بسـهولة، حينمـا تُفلِـت الكابوريـا مـن الخطـاف فـي المـاء؛ فإنـه يضـع واحـدة أخـرى، وحينمـا ينتهـي مـا معـه، فهـو يذهـب ثانيـة إلـى الصخـور ويبحـث ويعثـر علـى كابوريـات أخـرى تَصلُـح لطُعـم.

تعبت تروت من مَلَل محاولاته المستمرة ونامت على الرمل، في خلال ساعتين جفَّت ملابسهم بشكل كامل، ولحُسن الحَظِّ الاثنان كانا معتادَيْن على البَلَل من المياه المالحة، فلم يُصبهما بَردٌ. صَحَت الفتاة من طرطشة مياه وصيحة فرح من كابتن بيل، فتحت عيناها فوجدت سمكه بقشور فضية تَزِن حوالي اثنين كيلو جرام، تقاوم قبضة كابتن بيل، ولكنه انتصر أخيرًا وألقاها بعيدًا عن سطح الماء. شجَّعها ذلك كثيرًا، وسارَعَت لجمع أوراق من الأعشاب البحرية الملقاة على الشاطئ، بينما قام كابتن بيل بتقطيع السمكة باستخدام سكِّينه وتجهيزها للطهي.

لقد قاما بطهي سمك بهذه الطريقة من قبل، فهما يعرفان بالتأكيد ماذا يفعلان. في البداية لفَّ كابتن بيل السمكة جيِّدًا بأوراق عريضة من الأعشاب البحرية تشبه أوراق الموز، ثم غمسها في ماء البحر لترطيبها. ثانيًا: أشعل النار في كومةٍ من الحطب الجافِّ، التي احترقت بسرعةٍ إلى كومةٍ مُتوهِّجة من الجمر. ثالثًا وضَعَا السمكة الملفوفة على الجمر، وغطَّياها بمزيدٍ من الأعشاب البحرية، وقامت تروت بتغذية النيران بالحطب حتى يستمرَّ الجمر في التوهُّج. بعد إطعام النار بالأعشاب البحرية لبعض الوقت، قرَّر البَحَّارُ أخيرًا أن عشاءهم جاهزٌ؛ لذلك نبش الجمر بعصا ونثر الرماد بعيدًا واستخرج السمكة المشوية، التي ما يزال يتصاعد منها الدخان. ووَجَدَا السمكة مطبوخة ونَضَجَت جيدًا.

استمتعا بطعمها المليء بنكهة الأعشاب البحرية، وأبدَت تروت ملاحظةً عابِرةً حول الطَّعم، وكيف كان سيكون أفضل بقليلٍ من الملح. التوهُّج اللطيف للجمر الذي أضاء الكهف قليلًا، بدأ يخفت؛ لذا بعد أن انتَهَيَا من تناوُل السمكة المشويَّة، قام البَحَّارُ بإطعام الجمر مزيدًا من الأعشاب البحريَّة الجافَّة ليحافظ عليها حيَّةً ومشتعلة. ومن جيب معطفه الداخلي، أخرج قارورة مياه عذبة معدنية وفتح غطاءها المُحكَم، وناوَلَها للفتاة الصغيرة، التي شَرِبَت بضع قطرات، رغم أنها كانت تريد أكثر، ولكنها لاحَظَت أن كابتن بيل بالكاد بَلَّل شفتيه.

حدَّقَت الفتاة في الجمر وقالت ببطء: "افتَرِض أننا اصطدنا كل ما نريد من سمك، ماذا عن مياه الشرب يا كابتن؟". تَقلقَلَ من مكانه بقلقٍ، لكنه لم يَردَّ. كلاهما يفكِّران في الحفرة المظلمة في الخلف، لكن بينما تروت قاوَمَت الخوف الذي تَملَّكها في البداية، لم يستطع الرجل العجوز التغلُّبَ على عدم ارتياحه لدخول المكان. كان يعلم أن تروت على حَقٍّ، البقاء في الكهف، حيث هم الآن، يمكن أن يؤدِّي ليس فقط إلى الموت البطيء، ولكن الموت المؤكَّد.

كان الوقت ليلًا على سطح الأرض؛ لذلك شعرت الفتاة بالنعاس، وسرعان ما نامت. بعد فترةٍ نام البحَّارُ العجوز على الرمال بجانبها. كان المكان ساكِنًا جدًّا، ولم يزعجهما شيء لساعات.

عندما استيقظوا في اليوم التالي، وَجَدَا أن التوهُّج الأزرق الذي ينير الكهف عاد مرَّةً أخرى. فاقتسما قطعة بسكويت للإفطار، وبينما يمضغانها بهدوء، فوجئا برذاذٍ هائل من البحيرة؛ فقد انبثق من المياه أغرب مخلوقٍ رأوه في حياتهم، إنه بالتأكيد ليس سمكة، هذا أول ما خطر على بال تروت، وأيضًا ليس وحشًا؛ فقد كان يملك أربعة أجنحة، ولكنها أغرب أجنحة يُمكِن رؤيتها: كل واحدة منهم على شكل طاسة القلي، ومُغطَّاة بجلدٍ سميك بدلًا من الريش، ولديه أيضًا أربع أَرجُل، رفيعة مثل أرجل اللَّقلق، ورأسه يشبه إلى حَدٍّ كبير رأس الببغاء، بمنقار ينحني للأسفل في المقدِّمة، وينحني لأعلى على الجانبين، ورغم كل ذلك، فإن تسميته طائرًا كان أمرًا غير وارد؛ لأنه لم يكن له ريش على الإطلاق باستثناء قمَّة من الريش العريض متموِّجة كالتاج، ذات لونٍ قرمزي في أعلى رأسه. وينبغي أن يكون وزن هذا المخلوق في وزن كابتن بيل، فهو يتخبَّط ويكافح للخروج من الماء للشاطئ الرملي، كان حجمه كبيرًا وغير عاديٍّ لدرجة أن كلًّا من تروت ورفيقها حدَّقا فيه بدهشة، وعَجَبٍ ممزوجٍ برهبة.

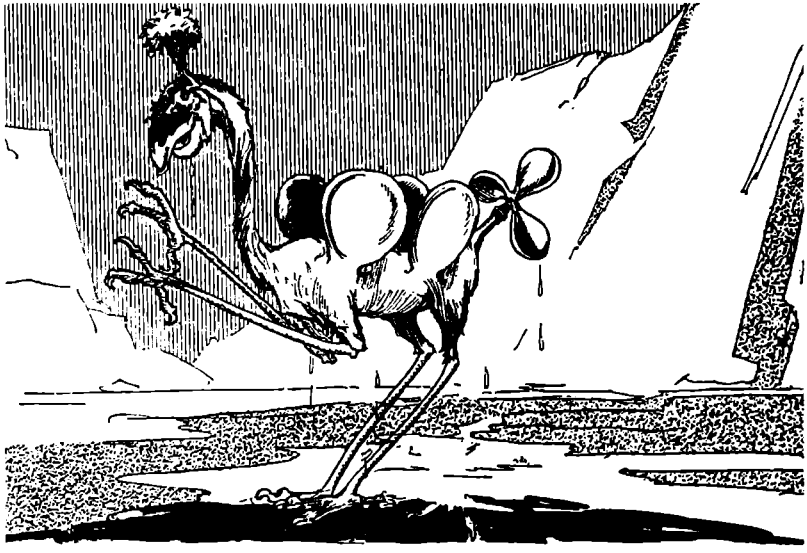

الفصل الثالث

الأورغ

نظر المخلوق -الذي يقطر ماءً على الشاطئ الرملي- إليهم بعيونٍ لامعة ومُشرِقة. ورغم أن نظرات تروت وكابتن بيل حملت قليلًا من الخوف لأي محاولة منه لمهاجمتهما؛ فإن نظراته حملت دهشةً أكبر من رؤية هذه الصحبة التي لم يتَوقَّع وجودها هنا.

همست تروت لكابتن بيل: "ما هذا؟"، ردَّ عليها المخلوق بصوتٍ مسرسع حاد: "مَن؟ أنا. أنا أورغ". قالت الفتاة: "أوه! ومَن هو الأورغ؟"، كرَّر بفخرٍ: "أنا"، ونفض الماء من أجنحته المُضحِكَة، وقال بنفس الصوت المسرسع: "وإذا كان الأورغ سعيدًا بالخروج من الماء والعودة للأرض الصلبة الجافَّة مرَّة أخرى؛ فيمكنك أن تكون متأكِّدًا تمامًا، أنَّ شخصية أورغ مُميَّزة".

استفسر كابتن بيل بدهشة: "هل كنتَ في الماء لفترة طويلة؟"، كانت الإجابة بطريقة حسابيَّة دقيقة: "الغطسة الأخيرة استغرقت عشر دقائق، أعتقد أنها لم تكن مريحةً لمدة تسع دقائق وستِّين ثانية"، ولكنه أكمل الحَكيَ بطريقة متوتِّرة: "الليلة الماضية كنتُ في مأزق فظيع، أؤكِّد لكم، أمسكتني الدَّوَّامة و..."، سألَت تروت بلهفةٍ: "أوه! هل أنت أيضًا أمسَكَتكَ الدوَّامة؟"، نظر لها نظرة ثاقبة إلى حدٍّ ما، وأكمل: "أعتقد أنني ذكرتُ حقيقة، أيتها الشابَّة، عندما قاطعتني رغبتك المُلِحَّة في الحديث"، وأكمل كأن شيئًا لم يكُن: "في العادة، لا أكون مُهمِلًا في تصرُّفاتي، لكن تلك الدوامة كانت نَشِطَةً للغاية أمس، لدرجة أنْ شَغلني التفكير فيما أثارها وجعلها تدور بهذا العنف؛ لذا طِرتُ فوقها، وحين اقتربت منها جذبني شَفطُ الهواء فجأةً لداخلها وإلى أعماق المحيط. أنا والماء أعداء طبيعيُّون، وهي بالطبع كانت من الممكن أن تتغلب عليَّ، لولا مساعدة مجموعة من حوريَّات البحر الجميلات قُمنَ بسحبي من دوران المياه بعيدًا إلى كهف، وبعدها تَرَكنَني".

صاحت تروت: "هذا نفس الذي حدث معنا. هل كان كَهفُكَ يُشبِه هذا الكهف؟"، أجاب الأورغ: "لم أتفحَّص هذا الكهف بَعدُ، لكن لو حدث أنهم متشابهان، فهذا يجعلني أرتجف من مصيرنا؛ فالكهف الآخر كان كالسجن، بدون مَنفَذٍ إلَّا عن طريق المياه. على العموم، قَضَيتُ فيه طوال الليل، وفي الصباح غطَستُ في البحيرة، لأسفل بقدر ما أستطيع، وسبحت بكل جهدي، لدرجة أن الصخور خدشت ظهري، وبالكاد أفلَتُّ من مخالب وحشٍ بَحريٍّ قبيح، ولكني بمرور الوقت صَعدتُ لألتقط أنفاسي ووجدت نفسي هنا، هذه كل حكايتي... أرى أنَّ لديك شيئًا تأكله، فأرجو أن تعطيني نصيبًا منه، الحقيقة أنا نصف جائع".

بعد انتهائه من الكلام، قعد بجانبهم. وعلى مَضَضٍ أعطاه كابتن بيل قطعة بسكويت، فقبض عليها بمخالب قدمه الأمامية، وشرع في

قضم البسكويت بنفس الطريقة التي يأكل البَّغاء بها. نظر له كابتن بيل نظرة فيها قليل من اللوم والعتاب، وقال: "ليس معنا الكثير من البسكوت، ولكننا مستعدُّون لأن نشاركها مع رفيق في محنة"، ردَّ الأورغ: "هذا صحيح"، ثم ساد الصمت بينهم لفترة، حتى قالت تروت: "أنا لم أسمع بالأورغ من قبل. هل هم كثيرون؟"، أجاب: "نحن قليلون، ومُميَّزون، على ما أعتقد. في البلد التي وُلِدتُ فيها نحن حُكَّام مطلَقون على جميع الكائنات الحية، من النَّمل إلى الأفيال". سأل كابتن بيل: "ما هي هذه البلد؟"، أجاب: "أورغلاند". استفسر كابتن بيل: "وأين تقع؟".

أجاب: "لا اعرف بالضبط. كما ترى، شخصيتي قَلِقَة لسببٍ ما، بينما بقية عِرقي هادئون ومُتَّزِنون، ونادرًا ما يبتعدون عن الوطن. منذ مراهَقَتي أحببتُ الطيران لمسافات طويلة، بالرغم أن أبي غالبًا ما يحذِّرني من أنني سأوجهه مشاكل بهذا التصرُّف. فهو دائمًا ما كان يقول: «إنه عالَمٌ كبير، يا فليبر يا ابني، وقد سَمِعتُ أن في أجزاء من هذا العالم يعيش مخلوقات غريبة برِجلَيْن اثنين فقط، يُسمُّونهم بشرًا. إنهم يحاربون بعضهم البعض، ويقاتلون بقية المخلوقات الحية أيضًا، وبالطبع يُكِنُّون قليلًا من الاحترام للأورغ». هذا بالطبع أثار فضولي. وبعدما أكملت تعليمي وأنهيت دراستي وتركتُ المدرسة، وقرَّرتُ الطيران لاستكشاف العالم ورؤية هؤلاء البشر. فتركت المنزل بدون قَول ولا كلمة وداع، وهو تصرُّفٌ سأظلُّ دائمًا أندم عليه كثيرًا. خُضتُ كثيرًا من المغامرات، ورأيت هؤلاء البشر عدَّةَ مَرَّات، ولكني لم أقترب منهم كثيرًا مثل الآن. أيضًا اضطُررتُ لشقِّ طريقي بصعوبة وحَذَرٍ في الهواء؛ لأني قابلت طيورًا عملاقة، بريش زغبيٍّ كثيف يكسو كلَّ جسدها، بالإضافة إلى أنني كنتُ مشغولًا دائمًا بالحذر من تلك المناطيد العائمة في الهواء. في أثناء تلك المناورات فقدتُ الإحساس بالاتجاهات والمسافات؛ لذا حين أرَدتُ العودة للوطن، لم يكن لديَّ أي فكرة عن مكان بلدي. أبحث عنها منذ عدة شهور، وفي إحدى رحلاتي البحرية فوق المحيط، قابَلتُ تلك الدوَّامة، وأصبحت ضحيَّتَها".

استَمَعَت تـروت مـع كابتـن بيـل لسـرد حكايـة الأورغ بمزيـدٍ مـن الاهتمام. ومـن النبـرة الـودودة والمظهـر البـريء لهـذا المخلـوق، قـرَّرا أنـه مـن المحتمـل ألا يكـون رفيقًـا بغيضًـا كمـا ظَنَّـا فـي البدايـة. قعـد الأورغ على خلفيَّتـه كمـا تفعـل القطـط، واسـتخدم أصابعـه الشـبيهة بالمخالـب فـي قدميـه الأماميَّتَيْـن بنفـس المهـارة التـي نسـتخدم بهـا اليديـن. الأغـرب فـي هـذا المخلـوق هـو ذيلـه، أو مـا يُفتَـرَض أن يكـون ذيـلًا؛ إنـه تكويـنٌ مـن العظـام والجلـد والعضـلات أشـبه بالرَّفَّـاص المسـتَخدَم فـي السـفن والطائـرات، لـه سـطح يشـبه المروحـة، محورهـا علـى مؤخِّـرة الأورغ. وبمـا أن كابتـن بيـل لديـة درايـة قليلـة بالماكينـات، فقـد لاحـظ مـدى غرابـة الذيل الـذي يشـبه الرَّفَّـاص، فقـال لـه: "أعتقـد أنـك طائـر رشـيقٌ!"، أجـاب بفخـر: "نعـم، بالطبـع، مـن المعـروف أن الأورغ ملـوك الجَـوِّ". تدخَّلَـت تـروت وقالـت ملحوظـة: "ولكـن أجنحتـك لا تبـدو كبيـرة"، اعتـرف الأورغ، وحَـرَّك الأربعـة أجنحـة برفـق: "حسـنًا، نعـم، هـي لا تبـدو كبيـرة حقًّـا. ولكنهـا تهـدف إلـى تدعيـم تـوازُن جسـدي فـي الهـواء حينمـا أطيـر بواسـطة ذيلـي. بالإضافـة أنهـا تجعلنـي وسـيمًا، ألا تعتقديـن ذلـك؟".

لـم تشـأ تـروت أن تـردَّ، ولكـن كابتـن بيـل هَـزَّ رأسـه بجدِّيَّـة وقـال: "بالنسـبة لِكَونِـكَ أورغ، أنـتَ أعجوبـة. فأنـا لـم أرَ مثيـلًا لـك قبـلًا. ولكنـي أتخيَّـل أنَّـكَ حَسَـنَ المظهـر مثـل كل أقرانـك". يبـدو أن هـذا الـكلام أرضـى غـرور المخلـوق، فبـدأ يتبختـر فـي أنحـاء الكهـف، فـي هـذه الأثنـاء أخـرج كابتـن بيـل قطعـة بسـكويت أخـرى ليكمـل إفطـاره مـع تـروت. وصـل الأورغ لنهايـة الكهـف، وأخيـرًا صـاح: "هـاي، هنـا حفـرة فـي الصخـور، فَجـوَة سـوداء، قـد تكـون مَخرَجًـا". ردَّت تـروت بصـوتٍ عـالٍ: "نحـن نعلـم، لقـد عثرنـا عليهـا ليلـة أمـس". أدخَـلَ رأسـه داخـل الفجـوة السـوداء وتشـمَّم الهـواء مـرَّةً واثنتيـن، ثـم قـال: "يبـدو الهـواء مُنعِشًـا ولطيفًـا، ولا يمكـن أن يـؤدِّي بنـا لمـكانٍ أسـوأ مـن هـذا المـكان". نهَضَـت الفتـاة والبَحَّـار عنـد سـماعهم تلـك الملحوظـة، واقتربـا مـن الأورغ، وشـرح كابتـن بيـل: "كُنَّـا علـى وشـك استكشـاف تلـك الفجـوة قبـل مجيئـك. لكنـه مـكان خطيـر فـي

الظلام؛ لذا قرَّرنا أن ننتظر حتى نُشعل شمعة". استفسر الأورغ: "ما هي الشمعة؟"، قالت تروت: "سوف ترى حالًا".

أخرج البَحَّارُ علبة شموع من جيب معطفه الواسع وعلبة ثقاب معدنية من جيب في قبَّعته. وحينما أشعل الثقاب، قفز الأورغ فَزِعًا للوراء، وعيناه مُركَّزتان على لهب النِّقاب بريبة، أكمل الكابتن عَملَه وأشعل الشمعة؛ ممَّا أثار دهشة المخلوق بشدَّة، وتابَعَه وهو يشعر بمزيدٍ من الإثارة.

قال بقليل من العصبية: "الضوء خيرُ دليل في هذه الفجوة السوداء، ولكن أتمنَّى ألَّا تكون تلك الشمعة شيئًا خطيرًا؟"، أجابت تروت: "في بعض الأحيان يمكن أن تلسع أصابعك، لكن هذا أسوأ شيء مُمكِن أن تفعله. عمومًا بإماكنِكَ دومًا أن تُطفِئَها بنفخة هواء حينما تريد".

تقدَّم كابتن بيل حامِلًا الشمعة وتسلل إلى داخل الفجوة، التي لم تكن كبيرةً؛ فتحتَّم عليه الزحف، وبعد عدَّة خطوات على ركبتيه، اتَّسَعَت الفجوة واستطاع التقدُّمَ بحُرِّيَّة أكبر، تَبِعَه تروت ثم الأورغ. غمغم البَحَّار: "يبدو أنه نَفَقٌ عاديٌّ"، رغم أنه يواجه صعوبة قليلًا في التَّقدُّم بسبب ساقه الخشبية، لدرجة أن الصخور جرحت رُكبَتَه.

لِمَا يقرب من نِصف السَّاعة تحرَّكوا ببطء داخل النفق، الذي أجبرهم على السير في عدَّة التواءاتٍ ومنحنيات وصعودٍ وهبوط، حتى توقَّف كابتن بيل فجأة، وسمعت تروت تَنهيدةً يائسة، فقالت: "ماذا حدث؟"، فلم تكن ترى ما أمام البحار؛ فقد كانت هيئته تُغطِّي النفق بالكامل، فجاء الرَّدُّ يحمل خيبة أمل: "أعتقد أننا وصلنا لنهاية رحلتنا". استفسر الأورغ: "هل النفق مسدود؟"، ردَّ كابتن بيل بحزن: "لا، أسوأ بكثير. أنا على حافَّة هاوية. انتظر دقيقةً. سوف أتحرَك حتى تريا بنفسيكما. احترسي يا تروت حتى لا تقعي".

زحف للأمام قليلًا ثم انتقل إلى جانب النفق مُفسِحًا مكانًا للفتاة حتى تتمكَّن من الرؤية، تبعها الأورغ. وهكذا من على الحافة الضَّيِّقة التي تهبط مباشرة للأسفل رأى الثلاثة هاوية الصخور المظلمة بشدَّة، ولم تستطع الشَّمعَةُ الضئيلة أن تُنيرَها. حدَّق الأورغ للأسفل وقال: "إمممم... هذا لا يبدو مُشجِّعًا. أعترف بذلك. لكن اسمح لي أن آخذ شمعتك وأطير للأسفل وأرى ما يوجد في الأسفل".

سألت تروت بجزع: "ألا تخاف؟"، رَدَّ: "بالطبع خائف. ولكن لو نوينا الهروب من هذا الموقف حقًّا، فلا يمكننا البقاء على الحافة للأبد. وقد لاحظت أنكم أيها المخلوقات المسكينة لا تستطيعون الطيران؛ لذا من واجبي استكشاف المكان بدلًا منكم".

أعطى كابتن بيل الأورغ الشَّمعةَ، التي احترقت حتى نصف طولها بذلك الوقت. تناوَلَها في مخلب واحد بحذر إلى حَدٍّ ما، ثم قام بإمالة جسده للأمام وانزلق فوق الحافَّة. سمعوا صوت أزيز غريب، فقد كان الذيل يدور كرفَّاص السفينة، وخفقانًا سريعًا للأجنحة الغريبة، لكنهم كانوا أكثر اهتمامًا في ذلك الوقت فقط بمتابعة بقعة الضوء

الصغيـرة التـي مَيَّـزَت موقـع الشـمعة بأعينهـم. شَـكَّل هـذا الضـوء فـي البدايـة دائـرةً كبيـرة، ثـم انخفـض ببـطء إلـى أسـفل، وفجـأة انطفـأ، تـاركًا كل شـيء أمامـه أسـود كحبـر.

صـدر صـوتُ الأورغ عاليـا مـن عمـق الهاويـة: "هـاي. مـاذا حـدث؟". ردَّ عليـه كابتـن بيـل: "لقـد انطفـأت الشـمعة، علـى مـا أعتقـد. تعـال إلـى هنـا لنشـعلها مـرة أخـرى"، قـال الأورغ: "أنـا لا أرى أيـن أنـتَ"؛ فأشـعل الكابتـن شـمعةً أخـرى، وعلـى ضوئهـا اسـتطاع الأورغ العـودة لهـم. عندمـا وصـل سـألهم: "مـا الـذي جعلهـا تُطفـأ؟"، أجابـت تـروت: "الريـاح. يجـب أن تكـون حريصًـا هـذه المـرة". استفسـر الكابتـن بلهفـة: "كيـف يبـدو شـكل المـكان بالأسـفل؟"، أجـاب: "لا أعـرف، حتـى الآن. لكـن يجـب أن يكـون هنـاك قـاعٌ لهـذه الهاويـة؛ لـذا سـأحاول أن أعثـر عليـه".

شـرع الأورغ للطيـران لأسـفل مـرة أخـرى، وظـلَّ حريصًـا هـذه المـرة فنـزل ببـطء، نـزل ونـزل حتـى خفـت ضـوء الشـمعة حتـى أصبـح مجـرَّد شـرارة صغيـرة، ثـم فجـأة انحرفـت الشـرارة ناحيـة اليسـار واختفـت. بعـد بضـع دقائـق، شـاهَدَا الشـرارة الصغيـرة ترجـع ثانيـة. وتتقـدَّم للأعلـى حيـث مـازال البَحَّـارُ يمسـك بالشـمعة الأخـرى ليرشـد الأورغ لمكانهـم.

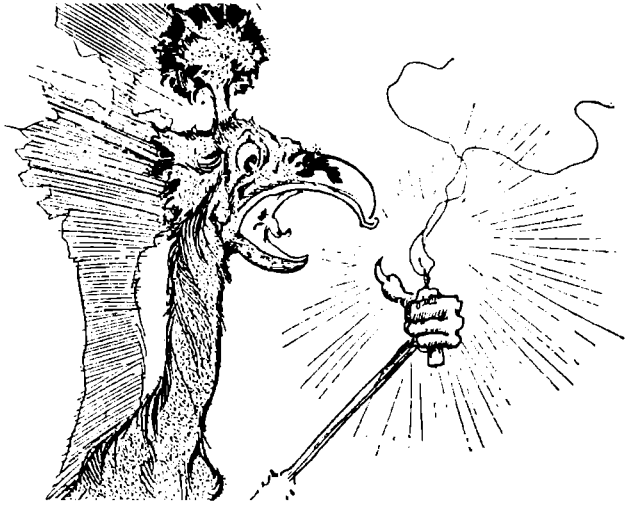

فجأة على بُعد أمتار قليلة من رحلته للصعود، وقعت الشمعة من يديه وأطلق صرخة ألم، وفي اللحظة التالية سقط ونزل يرفرف بعُنفٍ على الجوانب الصخرية للهاوية، ولكنه تَمالَكَ نفسه بسرعة. صرخت تروت: "ماذا حدث؟" صعد صوت الأورغ منتحبا: "لقد عضَّتني. أنا لا أحب شموعَكِ. لقد بدأت تصغر وتتلاشى ببطء منذ أخذتها منك بين مخالبي. واستمرَّت تصغر حتى لسعتني وعضَّتني. هذا تَصرُّف غير لطيف على الإطلاق. أوه... أوه... يا لها من عضَّة!".

شرح كابتن بيل بابتسامة: "إنها طبيعة الشموع. آسف أني أقول لكَ ذلك. يجب أن تمسكها بحرص. لكن أخبِرنا، ماذا وجدتَ في الأسفل؟"، حاول تضميد مخلبه الذي لُسِعَ، وقال: "وجدتُ طريقًا لكي نستكمل رحلتنا. في الأسفل بحيرة ماء سوداء، باردة جدًّا، لدرجة أنني ارتجفتُ بالقُرب منها، ولكن بعيدًا عنها نفق كبير، من السهل السير فيه. لا أعرف إلى أين يؤدي، فنحن، بالطبع، يجب أن نسير فيه لكي نعرف إلى أين يقودنا". احتجَّت الفتاة: "نحن لا نستطيع الطيران مثلك، يجب أن تتذكَّر ذلك"، قال الأورغ: "نعم. أتذكَّر. أجسادكم مُصمَّمة بطريقة بائسة، بما أن كل ما تستطيعون فِعله هو المشي على سطح الأرض. عمومًا يمكنكم الركوب على ظهري، وحينها أُعِدُكم برحلة آمِنة للنزول في هذه الهاوية".

قال كابتن بيل بتشكُّك: "هل أنتَ قويٌّ كفاية لتحملنا؟"، قال الأورغ بكل ثقة: "نعم. بالطبع. أنا قوي لحمل دستة أفراد منك، لو عثروا على مكان للجلوس على ظهري، للأسف لا يوجد غير مكان واحد بين جناحَيَّ؛ لذا يتحتَّم عليَّ أن أقوم برحلتين لأنقلكم لأسفل". قرَّر كابتن بيل بدون تردُّد وقال: "حسنًا. سأذهب أوَّلًا".

أشعل شمعة أخرى لتحملها تروت بينما هم غائبون في رحلتهم حتى يعود الأورغ ليحملها، ركب البحار العجوز على ظهر الأورغ ورِجلُه الخشبية بارزة جانبا بشكل مستقيم، فقال له: "لو شعرت أنك ستقع، تشبَّث بذراعَيْكَ حول عنقي"، قال الكابتن: "لو سَقَطتُ، ستكون ليلة

كحلي.."، فقال له: "هل أنت مستعد؟"، أجاب الكابتن بصوت مرتجف: "هيا، شَغِّل ذيلك الطنَّان". وعلى عكس ما تَوقَّع الكابتن، طار الأورغ بلُطفٍ لدرجة أنه لم يترنَّح أبدًا في مقعده. تابعت تروت ضوءَ شمعة كابتن بيل حتى اختفى عن نظرها، لم تحب أن تظلَّ وحيدة على حافة الهاوية الخَطِرَة، وبحيرة من الماء المظلمة تحتها بمئات من الأمتار، لكنها كانت فتاةً شجاعة، وانتظرت بصبرٍ عودة الأورغ. جاء أسرع ممَّا تَوقَّعَت، وقال: "صديقك بأمان في النفق. هيَّا، اصعدي على ظهري وسأحملك إلى هناك في لمح البصر".

أنا متأكِّد أن ليس هناك كثير من الفتيات الصغيرات كُنَّ مُهتمَّات بالقيام بتلك الرحلة المروعة عبر الكهف الأسود المظلم على ظهر الأورغ النحيف. تروت لم تكن مرتاحة. ولكن يتحتَّم عليها ذلك؛ لذا ركبت على ظهره بكل شجاعة تملكها فتاةٌ صغيرة، وعلى قدر إمكانها. كان قلبها ينبض بسرعة، ومتوترة للغاية، لدرجة أنها بالكاد استطاعت أن تمسك الشمعة بين أصابعها بينما يطير الأورغ بسرعة عبر الظلام.

بَدَت وكأنها رحلة طويلة، ولكن في الواقع، الأورغ قطع المسافة في فترة رائعة من الوقت، وسرعان ما وقفت تروت بجانب كابتن بيل على أرضية مستوية لنفق مقوَّس كبير. كان البحَّار سعيدًا بلقاء رفيقته الصغيرة مرة أخرى، وكان كلاهما مُمتنًّا للأورغ على مساعدتهما. وحين اطمأنَّ البَحَّار على الفتاة الصغيرة قال: "أنا لا أعرف إلى أين يؤدِّي هذا النفق، لكن بالتأكيد يبدو موقفنا مُشجِّعًا عن تلك الحفرة التي كُنَّا فيها". قالت تروت: "عندما يرتاح الأورغ، سوف نستكمل رحلتنا"، ردَّ الأورغ باستهانة: "لم تُتعِبني تلك الرحلة الصغيرة على الإطلاق. أنا معتاد على الطيران لأيام، دون التوقُّف ولا مرَّة واحدة".

اقترح الكابتن: "إذن هيا بنا". كان ما يزال يحمل الشمعة المضاءة، فأطفأت تروت شمعتها ووضعتها في جيب معطف البحَّار الواسع؛ فقد كانت تعرف أنه ليس من الحكمة إشعال شمعتين في وقت واحد.

النفـق مسـتقيم وأملـس؛ مِمَّـا سـهَّل المشي فيـه، فحقَّقـوا تَقدُّمًـا كبيـرًا. خمَّنَـت تـروت أنهـم قَطعـوا حوالـي ميليـن مـن الكهـف الـذي كانـوا فيـه حتـى وصولهـم إلـى هـذا النفـق، لكـن كان مـن الصعـب تخميـن المسـافة التـي يقطعونهـا فـي هـذا النفـق؛ فقـد سـاروا لسـاعاتٍ وسـاعات بشـكل مسـتقيم، بـدون أي تغييـر فـي شـكل النفـق. أخيـرًا توقَّـف الكابتـن للراحـة، وقـال: "هنـاك شـيء غريـب فـي هـذا النفـق، أنـا واثـق. لقـد اسـتهلكنا ثـلاث شـمعات حتـى الآن ولـم يتبـقَّ لدينـا غيـر ثـلاث شـمعات أخـرى. ورغـم ذلـك النفـق كمـا هـو منـذ بدأنـا. وإلـى أي مـدى يطـول بنـا النفـق، لا أحـد يعـرف".

اقترحـت تـروت: "ألا نسـتطيع السـير بـدون ضـوء. الطريـق يبـدو آمِنًـا"، كان الـرد عليهـا: "حتـى الآن... الطريـق آمِـنٌ. لكـن لا أحـدَ يعـرف مـا قـد نُقابِـلُ مُسـتَقبَلًا، قـد يكـون جُرفًـا أو هاويـة خطيـرة. فـي هـذه الحالـة قـد نتسـبَّب فـي هلاكنـا دون أن نـدري". اقتـرح الأورغ: "مـاذا لـو تقدَّمـتُ أمامكمـا فـي المسـير. أنـا لا أخشـى السـقوط، كمـا تعرفـون، وإذا حـدث ذلـك سـأناديكما وأحذِّركمـا".

صاحـت تـروت: "هـذه فكـرة جيـدة"، ووافقهـا كابتـن بيـل، فتقدَّمَهـم الأورغ فـي الظـلام، وسـار الاثنـان خلفـه، أيديهـم فـي أيـدي بعـض. بعـد فتـرة طويلـة أخـرى، توقَّـف الأورغ وطلـب طعامًـا. للأسـف لـم يتبـقَّ غيـر ثـلاث قطـع بسـكويت وقطعـة جبـن فـي حجـم إصبعيـن فقـط، ولكنـه أعطـاه نصـف قطعـة بسـكويت، وتنهَّـد حينمـا فعـل ذلـك، فهـو يعـرف أن مخزونهـم مـن الطعـام بـدأ يقـلُّ. قـام بإشـعال شـمعة بينمـا قعـدوا علـى أرضيـة النفـق يتناولـون طعامهـم. لـم يهتـمَّ المخلـوق بقطعـة الجبـن، فقسـمها البحـار بينـه وبيـن تـروت.

قـال لهـم الأورغ أثنـاء تنـاول الطعـام: "قدمـي تؤلمنـي، فأنـا لسـت معتـادًا علـى المشـي لمسـافات طويلـة، بالإضافـة إلـى أن أرضيـة النفـق مليئـة بالصخـور الصغيـرة التـي لا تجعلنـي أسـتريح فـي المشـي"، فسـألته

تـروت: "ألا تسـتطيع الطيـران بـدلًا مـن المشـي؟"، ردَّ: "لا؛ فسـقف النفـق منخفـض للغايـة".

بعـد تلـك الوجبـة اسـتكملوا رحلتهـم، وانتـاب تـروت قلـق أنهـا لـن تنتهي أبـدًا. حيـن لاحـظ الكابتـن أن الفتـاة الصغيـرة مُرهَقَـة، توقَّف وأشـعل عـود ثقـاب ونظـر فـي سـاعته الفضيـة الكبيـرة، وقـال: "الآن، حـان وقـت الليـل، نحـن نسـير طـوال النهـار، ومـا زلنـا فـي هـذا المـكان البغيـض، واحتمـال أنـه يَمـرُّ مباشـرةً عبـر منتصـف العالـم، واحتمـال أيضًـا أن النفـق هـو دائـرة فـي الكـرة الأرضيـة، وفـي هـذه الحالـة سـنظل نمشـي حتـى يـوم القيامـة. نحـن لا نعـرف مـا أمامنـا بقـدر مـا عرفنـا مـا خلفنـا؛ لـذا أقتـرح أن نتوقَّـف ونخلـد للنـوم حتـى الصبـاح".

أكَّـد الأورغ بتـأوُّه: "هـذا يناسـبني. قدمـي تؤلمنـي بشـكل رهيـب، فعلـى مـدى الأميـال القليلـة الماضيـة كنـتُ أعـرج مـن الألـم". قـال البحَّـار: "قدمي تؤلمنـي أيضًـا"، وبحـث عـن مـكانٍ مُسـتَوٍ علـى الأرضيـة الصخريـة ليجلـس، ولكـن الأورغ أردف باسـتنكار: "قَدَمُـكَ؟ أنـت لديـكَ قَـدمٌ واحـدة تُؤلِمُـك، لكـن أنـا لـديَّ أربـع أقـدام؛ لـذا أعانـي أربعـة أضعـاف بقـدر مـا تعانـي. هيـا. أمسِـكْ الشـمعة حتـى أتفحَّـص الألـم فـي باطـن كـفِّ مخالبـي".

جلسـت تـروت بجانبهـم وقالـت: "احتمـال أن عنـدك كالُّـو فـي قدمـك". احتـجَّ الأورغ: "كالُّـو. هـراء. الأورغ لا يصيبهـم كالـو أبـدًا"، وانهمـك فـي دعـك وفـرك باطـن قَدَمِـه. أكملـت تـروت: "يمكـن، عنـدك... عنـدك... مـاذا تُسـمِّيها يـا كابتـن بيـل. تلـك التـي تصيـب الحُجَّـاج فـي أسـفارهم. أنـتَ تعـرف يـا كابتـن"، ردَّ الكابتـن: "ورم". وَجَّهَـت تـروت كلامهـا للمخلـوق: "نعم. احتمـال عنـدك ورم"، قـال الأورغ بصـوت كالبـكاء: "مُمكِـن. ولكـن مهمـا كان مـا أصابنـي. فيـوم آخـر مـن المشـي عليهـم هكـذا سـأُصاب بالجنـون".

قـال كابتـن بيـل بشـكل مُشـجِّع: "أنـا متأكِّـد مـن أنـك ستشـعر بتحسُّـن فـي الصبـاح. اخلـد للنـوم وحـاوِلْ أن تنسـى قدَمَـكَ المؤلِمَـة." نظـر الأورغ للبَحَّـار بنظـرة توبيـخ، ولحُسـن الحَـظِّ لـم يَرَهـا البَحَّـار العجـوز. ثـم سـأله بحـزن: "هـل نـأكل الآن أم نتضـوَّر جوعًـا؟". أجـاب: "لـم يتبـقَّ لـك سـوى

نصف قطعة بسكويت. لا أحد يعرف كم من الوقت سنضطرُّ إلى البقاء في هذا النفق المظلم، حيث لا يوجد أي شيء نأكله؛ لذلك أنصحك بحفظ تلك اللقمة حتى وقت لاحق".

طالب بها الأورغ وقال: "أعطِني إيَّاها. إذا كنت سأتضوَّر جوعًا، فأُفضِّل أن يصيبني ذلك مرَّةً واحدة وليس على درجات". أعطاه القطعة الأخيرة، والتي تناولها الأورغ في قضمة واحدة. أحسَّت تروت بالجوع هي الأخرى، فهمست للكابتن أنها تريد أن تأكل نصيبها. لكن الرجل العجوز كسر نصفَ قطعة بسكويت سِرًّا إلى قسمين؛ ليوفِّر حصَّة للفتاة الصغيرة تروت لوقت الحاجة.

انتاب الكابتن شعور بالقلق على محنة الفتاة الصغيرة، وبعد فترة طويلة من نومها وشخير الأورغ يتصاعد بطريقة بغيضة إلى حدٍّ ما، جلس وظهره إلى صخرة ودخَّن غليونه، وحاول التفكير بطريقةٍ ما للهروب من هذا النفق اللامتناهي. لكن بعد فترة من الوقت، نام أيضًا؛ لأن العَرَجَ على ساق خشبية طوال اليوم كان مرهِقًا حقًّا، وهناك في الظلام نامَ المغامرون الثلاثة لساعات عديدة، حتى استيقظ الأورغ من تلقاء نفسه، وركل البَحَّارَ العجوز بقدم واحدة ليوقظه، وقال "يجب أن يكون الآن يوم آخر".

الفصل الرابع
أخيرًا، ضوء النهار

فـرَكَ كابتـن بيـل عيونـه وأشـعل عـود ثقـاب واستشـار سـاعته عـن الوقـت، وقـال وهـو مـا زال يتثـاءب: "السـاعة التاسـعة. نعـم، أعتقـد أنـه يـومٌ آخـر صباحًـا. هـل نسـتكمل مسـيرتنا؟"، رَدَّ الأورغ: "بالطبـع. إلا إذا كان هـذا النفـق مُختلفًـا عـن أي شـيء فـي هـذا العالـم، ولا يمتلـك نهايـة. هيَّـا لنعثـر عليهـا عاجِـلًا أو آجِـلًا". أيقـظ البَحَّـارُ تـروت برفـق. صَحَـت الفتـاة بهمَّـة ونشـاط؛ فقـد ارتـاح جسـدها المرهـق مـن اسـتغراقها فـي نـومٍ طويل وعميـق. وقـال لهـا بهـدوء: "هيـا يـا عزيزتـي، هيـا نسـتكمل رحلتنـا".

بعـد بضـع خطـوات قليلـة، صـاح الأورغ: "واووو"، ورفـرف بجناحيه وهزَّ ذيلـه فرحًـا، توقَّـف الآخـرون مندهشـين وقـال كابتـن بيـل: "مـاذا حـدث؟"، ردَّ: "أعطِنـي ضـوءًا. أعتقـد أننـا وصلنـا لنهايـة النفـق". وبينمـا يُشـعِل الكابتـن شـمعة ليضـيء، أكمـل الأورغ: "لـم يكـن علينـا الاسـتيقاظ مبكِّـرًا، فقـد كُنَّـا علـى مشـارف نهايـة هـذا المـكان، عندمـا شـرعنا فـي النـوم أمـس".

تقـدَّم البَحَّـار والفتـاة مـع الضـوء يشـاهدان النهايـة التـي يقصدهـا الأورغ، فوجـدا حائِطًـا صخريًّـا أمامهـم، لكنهـم لاحَظَـا فتحـةً علـى يسـار النفـق قبـل الحائـط مباشـرة، فمشـيا فـي ممـرٍّ عريـض، قادَهـم لفتحـة أخـرى علـى اليميـن، وهنـا قـال الأورغ: "أطفِئْ تلـك الشـمعة؛ فقـد وصلنـا أخيـرًا لضـوء النهـار".

فـور أن خَطَـت الفتـاة للمَمـرِّ علـى اليميـن حتـى اسـتقبلها شـعاعٌ مـن الضـوء الأصفـر الخافـت، تَبِعهـا البَحَّـارُ، ولكنـه انتبـه فـورًا أن الضـوء يأتيهـم مـن أعلـى، فنظـر الـكل إلـى الأعلـى، فوجـدوا أنهـم يقفـون فـي قـاع بئـرٍ صخـريٍّ عميـق، وقِمَّتـه بعيـدة، وهنـا الممـر ينتهـي.

لبرهـة، تفَحَّصـوا وضعهـم فـي صمـت، علـى الأقـل اثنـان منهـم شـعرا بخيبـة أمـلٍ مـن هـذا الوضـع. أمَّـا الأورغ فقـد أطلـق صفيـرًا فرِحًـا، وقـال بابتهـاج: "لقـد كانـت أصعـبَ رحلـةٍ يقودنـي حظِّـي العاثـر إليهـا، وأنـا سـعيد للغايـة أنهـا انتهـت. بالطبـع حتـى أتمكَّـن مـن الطيـران لقمـة هـذا البئـر، وإلَّا سـنظل مدفونيـن هنـا للأبـد"، فسـألت الفتـاة الصغيـرة بقلـق: "أَلَا تعتقـد أن المسـاحة غيـر كافيـة لـكَ للطيـران؟"، وأضـاف البحَّـار: "إنهـا هاويـة مسـتقيمة لأعلـى؛ لذلـك لا أعـرف كيـف سـتتمكَّن مـن الطيـران لأعلـى!".

قـال الأورغ: "هـل أنـا طائـرٌ عـادي؟ مثـل واحـد مـن تلـك الطيـور الرهيبة المكسـوَّة بالريـش! لـو أنـا كذلـك مـا فكَّـرتُ أصـلًا فـي الخـروج مـن هنـا. لكـنَّ ذيلـي لديـه ميـزة ميكانيكيـة مُذهِلـة تُمكِّننـي مـن فِعـل أمـور مذهلـة. وحينمـا تكونـان مسـتعدَّيْن سـأريكما إحـدى تلـك العجائـب". استفسَـرَت تـروت: "أوه. هـل تنـوي أن تُخرِجَنـا للأعلـى معـك؟"، قـال: "ولِـمَ لا؟"، قـال الكابتـن بتـردُّد: "اعتقـدتُ أنَّـكَ سـتذهب أوَّلًا، وتطلـب لنـا مسـاعدة، ويُدلَّـى لنـا حبـلٌ نتعلَّـق بـه للأعلـى؟". ردَّ الأورغ باسـتنكار: "الحبـال خَطِـرَة. واحتمال كبيـر أنـي لا أجـد شـخصًا بالأعلـى معـه حبـلٌ يَصِـل لـكل تلـك المسـافة لأسـفل. بجانـب أنـه مـن المنطقـي إذا تمكَّنـتُ مـن الخـروج بنفسـي، يمكننـي أيضًـا حمـل اثنيـن معـي".

قالت تروت التي كانت تتوق للوصول إلى سطح الأرض: "حسنًا. أنا لستُ خائفة"، لكن كابتن بيل قال متشكِّكًا: "افتَرِضْ أننا وقعنا؟". كانت إجابة الأورغ منطقيَّةً: "في هذه الحالة، سنقع كُلُّنا مع بعض. هيَّا، اصعدي على ظهري أيَّتها الفتاة الصغيرة، اقعدي بين كتفي وأمسكي بكلتا ذراعيكِ حول رقبتي". أطاعَت تروت إرشادات الأورغ، وحين استقرَّ بها المقام، استفسر كابتن بيل: "وأنا؟".

فكَّر الأورغ قليلًا وقال: "أظن أن أفضل طريقة هي أن تتشبَّث بقدَميَّ الخلفيَّتين، وتدعني أحملك بتلك الطريقة لأعلى". نظر كابتن بيل بتوجُّس لأعلى البئر، وبعدها نظر بتمعُّنٍ لقدم الأورغ النحيفة، وأطلق تنهيدةَ استسلام، وقال: "ستكون هناك بعض الخطورة -على ما أعتقد- لكن لو لن تضيِّعَ وقتًا في الصعود لأعلى، أظنُّ أني سأتحمَّل الصمود لبعض الوقت".

صاح الأورغ بصوته المسرسع: "إذن، هيَّا"، وعلى الفور بدأ ذيله في الدوران أفقيًّا، فشعرت تروت أنها ترتفع في الهواء. وحين غادَرَت أرجل المخلوق الأرضية أمسك وتعلَّق وتشبَّث كابتن بيل بقدمية الخلفيَّتين بكل قوة؛ حفاظًا على حياته. اندفع جسد الأورغ بحمولته لأعلى باستقامة، وكان على تروت احتضان رقبته حتى لا تنزلق. حتى في هذا الموقف جاهد الأورغ قليلًا ليتفادى الجوانب الصخرية البارزة للبئر. تأوَّه عدَّة مرَّاتٍ حين اصطدم أحد أجنحته بنتوء بارز، ولكن ذيله حافظ على الدوران بسرعة مدهشة، ورويدًا رويدًا أصبح نور النهار أكثر إشراقًا. بالتأكيد هي رحلة طويلة من أسفل البئر لأعلى، ولكن قبل أن تشعر تروت أنهم استغرقوا وقتًا طويلًا، بزغ الأورغ من البئر لسطح الأرض في الهواء الطَّلق. وغمرهم ضوء النهار من كل جانب.

تأثير ضوء النهار عليهم كان قويًّا، حتى إن الأورغ الذي يهتمُّ ويحرص على راكبيه، ارتبك للحظة، وأفلت كابتن بيل حين لمست قدماه الأرض وتخلَّى عن الإمساك بقدم الأورغ وتدحرج على الأرض. لكن حين نزلت تروت من على ظهر الأورغ، وجدت البَحَّار العجوز جالِسًا على الأرض ينظر حوله برضا كبير.

قال البَحَّار: "المكان هنا جميل حقًّا". هتفت تروت: "الأرض كلها مكان جميل". تأمَّل الأورغ ما حوله قليًلا، وقال: "دعونا نسأل أين نحن على سطح الأرض؟"، وأدار عينيه يتفحَّص المكان الذي خرجوا إليه، فشاهد كثيرًا من الأشجار وشجيرات حولهم، وزهورًا في كل مكان، وعشبًا أخضر يكسو المنطقة. ولكن لم يكن هناك أي بيوت على مرمى البصر، ولا ممرَّات أو طُرق، ليس هناك أي أثر لمدنية على الإطلاق.

قال الأورغ: "قبل أن أرتاح هنا، يجب أن ألقي نظرةً على المحيط، ولنَرَ إذا كنتُ ما أظنُّه صحيحًا أم لا"، وطار ناحية تَلٍّ صغير، وتبِعته تروت، والبحَّار بيل بهدوء وبُطء، وعلى قمة التل شاهدوا الأمواج الزرقاء للمحيط أمامهم، على يمينهم وعلى يسارهم. أمَّا خلف التل توجد غابة تحجب عنهم ما وراءها.

قـال كابتـن بيـل بجديـة: "أتمنـى ألَّا نكـون علـى جزيـرة، يـا تـروت". ردَّت: "لـو كان الحـال كذلـك، فأعتقـد أننـا مـا زلنـا محبوسـين". قـال البحَّـار بأسـى: "بالضبـط". تشـجَّعَت الفتـاة قليـلًا: "حتـى لـو كان ذلـك صحيحًـا، فهـو بالتأكيـد أفضـل مـن الأنفـاق والكهـوف الكئيبـة تحـت الأرض"، وافَقَهـا الأورغ: "مـا تقولينـه صحيـح، أيتهـا الفتـاة الصغيـرة. أي مـكان علـى سـطح الأرض أفضـل مـن المكـوث تحـت الأرض؛ لـذا دعونا لا نتشـاجر مـع مصيرنا، ولنكـن شـاكرين لأننـا اسـتطعنا الهـروب". قالـت الفتـاة: "بالطبـع نحـن شـاكرون. لكـن هـل يـا تُـرى نعثـر فـي هـذه الأرض علـى أي شـيء يُـؤكَل؟". بـادر الأورغ باقتـراح: "هيـا لنستكشـف، ونعـرف إجابـة هـذا السـؤال! أعتقـد أن تلـك الأشـجار علـى اليسـار تشـبه أشـجار التـوت".

في الطريق إلى هناك، كان على المستكشفين السير ما بين شجيرات متشابِكَة من الكروم. تقدَّم كابتن بيل، وحين اخترق الكروم المتشابكة، تعثَّر وانبطح على وجهه، رأت تروت ما تعثَّر فيه وصاحت ببهجة: "ياه. إنه بطيخ". وسريعًا عاد كابتن بيل للوقوف ثانية، فلم يكن أصيب بخدش، وتفحَّص البطيخة. ثم أخرج سكينته الكبيرة وشقَّها نصفين. كانت ناضجة وتبدو شهية جدًّا، ولكن البحَّار تَذوَّقها قبل أن يسمح للفتاة الصغيرة تروت بتناول أي شيء منها. اكتشف أنها لذيذة حقًّا، وأعطاها قطعة كبيرة منها، وعرض على الأورغ قطعة أخرى. نظر المخلوق بامتعاضٍ قليلًا للقطعة، ولكنه أقبل عليها مُقلِّدًا الفتاة، فأعجبه طعمها وتناول كلَّ ما أعطاه له البَحَّار.

في الكرم، عثروا على العديد من ثمار البطيخ الأخرى، فقالت تروت بامتنان كبير: "حسنًا، لن يكون هناك خَطَر من الجوع بعد الآن، حتى لو كُنَّا على جزيرة"، وأضاف كابتن بيل: "البطيخ هو ثمار تمدُّنا بالطعام والماء، ليس هنا وضع أفضل من ذلك". بعد ذلك، توجَّهوا إلى شجر التوت، وجمعوا بعض ثمارها، وعلى حافة الغابة وجدوا أشجار النخيل، الغابة نفسها مليئة بأشجار البرقوق والمشمش والموز،

فضمنوا أنهم لن يعانوا الجوع أبدًا، وسيكون لديهم الكثير من الطعام الصحي والمتنوِّع يكفيهم طوال مدَّة بقائهم هنا، حتى لو طالت.

قرَّرَت تروت مع كابن بيل أن يتجوَّلا في الغابة، حتى يستكشفا ما وراءها، لكن الأورغ قال لهم إنه يُفضِّل الطيران فوق الأشجار ومقابلتهم في الناحية الأخرى، فما زالت قدماه تؤلمانه من المشي على الأرضية الصخرية في النفق الطويل. لم تكن الغابة كبيرة، فبعد مشي حوالي ربع ساعة وَصَلَا لأبعد طرف منها، ووجدا هناك شاطئ المحيط.

تنهَّدَت تروت وقالت: "إذن هي جزيرة". قال كابتن بيل محاوِلًا إخفاء خيبة أمله وإضفاء قليل من البهجة على الصغيرة: "نعم، وهي جزيرة جميلة أيضًا. لكن ولا يهمك يا تروت، بإمكاني صنع طوف أو قارب من هذه الأشجار ونبحر إلى أي مكان نريد". لم يبهج هذا الاقتراحُ الفتاةَ، وقالت: "أنا لا أرى الأورغ. أين هو؟"، ونظرت حولها في كل اتجاه، وحينها رأت هيكلًا يشبه الكوخ بعيدًا على طرف الغابة، فصاحت: "أوه، يا كابتن بيل، أنا أرى منزلًا هناك، هناك على الطرف الأيسر من الغابة"، نظر البحار العجوز بتمعُّنٍ: "لا يبدو لي منزلًا يا تروت، أعتقد أنه مبنى من نوع آخر. هيا لنذهب إلى هناك ولنَرَ مَن يسكن فيه".

الفصل الخامس

شيخ الجزيرة الضئيل

على عكس المتوَقَّع، لم يستغرقا طويلًا للوصول للكوخ، الذي كان مجرَّدَ سقف من الأغصان مبنيَّة على مساحة مربَّعة، مع بعض أغصان الأشجار المثبَّتة على الجوانب لمنع الرياح من الإطاحة بالكوخ. وكانت الجهة الأمامية من السقيفة مفتوحة تمامًا وتواجه البحر، وعندما اقترب صديقانا منها، لاحظا أن شيخًا ضئيلًا، بلحيَةٍ طويلة مُدبَّبة، يجلس بلا حراك على كرسي أمام السقيفة ويحدِّق في المحيط بتمعُّن.

وحين اقتربا منه، صاح فجأة: "ابتعدا من أمامي، ألا تريان أنكما تُعيقان مجال رؤيتي؟". قال الكابتن بأدبٍ شديد: "صباح الخير". انفجر الشيخ الضئيل فيه قائلًا: "هذا ليس صباحَ خيرٍ. لقد رأيتُ صباحاتٍ خيِّرة وطيِّبة أفضل من اليوم. هل تُسمِّي صباح اليوم صباح خير وكل هذه الزحمة تضايقني؟".

استغربت تروت من هذا الرَّدِّ العنيف من رجُلٍ غريب قابلوه بكل أدب. احمرَّ وجه كابتن بيل من فظاظة كلمات الشيخ الضئيل، ولكنه استمرَّ في الكلام بلهجة مؤدَّبة: "هل أنت الوحيد الذي يعيش على هذه الجزيرة؟". كان الرَّدُّ أكثرَ فظاظة: "نعم، هذه هي جزيرتي الخاصَّة، وسأكون شاكِرًا جدًّا لو غادرتما بأسرع وقتٍ مُمكِن". ردَّت تروت بصرامة: "سنفعل "، واستدارت مع كابتن بيل وسارا على طول الشاطئ ليبحثا عن أرض أخرى في الأفق. كانا مُستفَزَّيْن من تلك المعاملة التي لا مُبرِّر لها، فلم يَنتَبِها أن الشيخ الضئيل قام من مقعده وتَبِعَهم في صمت.

رفع البحَّارُ كفَّه مُظلِّلًا عينيه يتطلَّع للأفق، وقال: "لا يوجد أي شيء في الأفق يا رفيقتي"، ثم تَنهَّد يائِسًا وأكمل: "أعتقد أننا سنظلُّ هنا لفترة طويلة، على أي حال. تلك الجزيرة ليست مكان سيئ يا تروت". اندفع الشيخ الضئيل بينهم وقال: "أهذا كل ما تعرفه عن الجزيرة! الأشجار خضراء جدًّا، والصخور أصعب ممَّا تتصوَّر، والرمال بها كثير من الحبيبات، والماء مبلولٌ بشكل رهيب. وكل نسيم يصنع تيَّارًا في الهواء، والشمس تشرق كل يوم بدون داعٍ وتختفي حين يحلُّ الظلام. لو بقيت هنا لن تجده مكانًا جيِّدًا". التفتت تروت إليه ووجها الجميل ما زال مُغبرًّا وقَذِرًا من الطريق الطويل الذي مشوا فيه، وقالت: "ممكن أعرف، مَن أنت أوَّلًا؟"، قال بفخر: "أسمَّى بسيم، ويسمونني المراقب"، قالت: "وماذا تراقب يا حضرة المراقب".

كان الرد، بلهجة الواثق: "كل شيء!"، ثم فجأة تراجَعَ للخلف خطواتٍ بانزعاج، ونظر إلى آثار خطوات على الرمال وصاح في قلق: "يا إلهي!"، تعجَّب كابتن بيل ونظر حوله وقال: "ماذا حدث؟"، قال: "أحدهم ضغط على الأرض؟ ألا ترى؟"، تفحَّصَت تروت آثار الأقدام التي أشار إليها الشيخ، وقالت: "وماذا في ذلك؟ إنها لن تُضير الأرض"، أصرَّ الشيخ: "كل شيء يُسبِّب ضررًا، ذلك الضغط على الأرض قد يُسبِّب كارثة". قالت تروت متعجِّبة: "وكيف ذلك؟"، قال بصوتٍ أقرب

للعويل: "لو استمرَّ الضغط على الأرض بتلك الطريقة لمسافة ميل، فقد يُسبِّب ذلك مصيبة كبيرة، يا للهول. كم هذا مروِّع!".

نصحه كابتن بيل بهدوء: "حاوِلْ أن تنسى ذلك، لقد بدَأَت تُمطِر! هيا بنا نذهب تحت السقيفة حتى لا يصيبنا البَلَل". نظر الشيخ للسماء وقال: "تمطر. حقًّا. إنها تمطر. ولكني لا أعرف طريقة لإيقافها، رغم أنني المراقب هنا". ردَّ عليه البَحَّار: "نحن لا نستطيع أن نوقف المطر"، فقال الشيخ: "هل أنت مشغول الآن؟"، قال البحَّار وهو يهرول ناحية السقيفة: "لن أكون مشغولًا حين أصل للسقيفة"، قال بسيم بتوسُّل: "إذن أريد أن أطلب منك خدمة"، وهرول وراء البَحَّار ناحية السقيفة، فقال البحار: "هذا يعتمد على ما تطلب؟"، قال بسيم: "أريدك أن تُحضِر المظلَّة إلى الشاطئ وتمسك بها فوق الأسماك المسكينة حتى لا تبتلَّ من المطر!". ضحكت تروت، وظنَّ كابتن بيل أن الشيخ يسخر منه؛ لذا عبس فيه بوجه غاضب ليبيِّن له رفضه لذلك الطلب الغريب.

وصلوا للسقيفة قبل أن يصيبهم البلل بالكامل. انهمر المطر عليهم بقطرات كبيرة، ولكن السقيفة حمتهم، وبينما هم واقفون يشاهدون العاصفة المطيرة، كان هناك شيء يدور حول رؤوسهم، وعلى الفور هتف المراقب بسيم بفزع: "نحلة! نحلة طنَّانة! نحلة كبير! إنها أغرب نحلة أراها في حياتي"، نظرت تروت لأعلى لترى ما أزعج المراقب بسيم لهذه الدرجة، فصاحت: "يا إلهي، إنه أورغ صغير جدًّا". استعجب كابتن بيل وقال: "هل هو أورغ حقًّا؟ هل أنتِ متأكِّدة؟".

في الحقيقة، لم يكن أكبرَ من نحلة كبيرة حقًّا، وحين طار ناحية تروت، سمحت له الفتاة الصغيرة أن يقف على كتفها، وسمعت صوتً مسرسع خافِتًا صغيرًا في أذنها: "نعم، إنه أنا. ولكنِّي في مأزق رهيب"، فقالت الفتاة بدهشة: "نعم. هو الأورغ صديقنا يا كابتن". سمعت الفتاة نفسَ الصوت قرب أذنها يقول: "نعم، أنا الأورغ الوحيد الذي تعرفونه". قال البَحَّار: "وماذا حدث لك؟"، وقرَّب رأسه من كتف تروت ليسمع ردَّ الأورغ، الذي قال: "تتذكَّران حين تركتكما وشَرَعتُ في التحليق فوق

الأشجار، وعندما وصلت للجانب الآخر من الغابة، شاهدتُ شجيرات مُحمَّلة بفاكهة لذيذة، في حجم التوت، ولونها لافندر لطيف، وعلى الفور نزلتُ من طيراني فوق تلك الشجيرات، والتَهمتُ من تلك الفاكهة المدلَّاة. وفي الحال بدأتُ في الانكماش وحجمي أصبح صغيرًا، وازداد انكماشي مرَّةً بعد مرَّة، فأصابني الفزع، فنزلت على الأرض للتفكير فيما يحدث لي. في بضع ثوان صَغُر حجمي كما ترون الآن. وظَلَلتُ هكذا لا يزداد حجمي ولا أستعيد حجمي السابق. بالتأكيد لقد وقعتُ في محنة كبيرة. بعدما تعافيت من الصدمة، وجدتُ أن المطر يهطل؛ فقرَّرتُ الطيران ثانيةً لأبحث عنكما، فرأيت هذه السقيفة، فذهبت لها أبحث عن ملجأ من زخَّات المطر، فوجدتكم هنا".

اندهش كُلٌّ من تروت وكابتن بيل من تلك القصة العجيبة، وشعرا بالأسى تجاه صديقهم المسكين الأورغ، ولكن يبدو أن الشيخ الضئيل بسيم حين سمع تلك الحكاية ظنَّها نُكتَة؛ فقد انقلب على ظهره من الضحك والقهقهة، حتى إن الدموع نزلت من عينيه على ذقنه المدبَّبة. رَمَقَته تروت بنظرة عتاب وغيظ وقالت: "أنا لا أجد أيَّ شيء مُضحِكًا

فيما قال"، قال بسيم: "ستجدين الأمر مُضحِكًا لو مَرَرتِ بما مَرَرتُ به". نهض الشيخ من الأرض، وتدريجيًّا استعاد جدِّيَّته وصرامته، وقال بلهجته المستفزَّة: "لقد حدث نفس الأمر معي".

سألت الفتاة: "أوه، أضحيح! وكيف أتيت لهذه الجزيرة في الأساس؟".

أجاب الشيخ بعبوسٍ من استعادة بعض الذكريات: "أنا لم آتِ إلى هنا، جيراني أحضروني. قالوا إنني مُشاكِسٌ وأتصيَّد الأخطاء، ولاموني لأنني قلتُ لهم على الأشياء غير الصحيحة التي يرتكبونها، ولأنني أُخبِرهم ما الطريقة الصحيحة التي ينبغي عليهم فعلها؛ لذا أحضروني إلى هنا وتركوني وحدي، وقالوا إنني لو تشاجَرتُ مع نفسي، لن يتسبَّب ذلك في ضيق أيِّ شخص آخر. أمر سخيف، أليس كذلك؟". استغلَّ كابتن بيل فرصة الرَّدِّ على سؤاله وقال: "بالنسبة لي، أعتقد أن هؤلاء الجيران فعلوا الصواب".

استكمل بسيم حكايته: "حسنًا. حين وجدتُ نفسي مَلِكًا على هذه الجزيرة، أصبحت مُضطرًّا لكي أعيش أن أتناول ثمار هذه الأشجار. عثرت على أنواع من الفاكهة لم أرها من قبل. أكلتُ منها الكثير، ولكن عندما عثرت على التوت اللاڤندر وأكلتُ منه -كما فعل الأورغ- انكمشتُ، وحجمي بدأ يصغر حتى أصبحت في حجم عقلة الأصبع. كانت حالةً مُزعِجَة للغاية، ومثل الأورغ أُصِبتُ بالخوف. لم أستطع المشي أو الذهاب بعيدًا؛ لأن كل كتلة تراب في طريقي كانت تبدو جبلًا، وكل ورقة عُشبٍ بَدَت شجرةً، وكل حبَّة رمل كأنها جلمود صخري. لعدَّة أيَّامٍ عانَيتُ عذابًا رهيبًا من الخوف. ذات يوم كاد يلتهمني ضفدع. وإذا خرَجتُ من ملجأ الغابة، انقضَّت النوارس عليَّ، وأخيرا قرَّرتُ أن آكُلَ حبَّة توت لاڤندر أخرى وأصبح لا شيء على الإطلاق؛ لأن الحياة -بالنسبة لشخص صغير مثلي- أصبَحَت كابوسًا كئيبًا لا يُطاق.

بعد بحث، عثرت على شجرة صغيرة اعتقدت أنها تُثمِر نفس نوع الفاكهة الغريبة التي أكلتها قبلًا، لكنَّ التوت كان لونه أحمر قانيًا بدلًا من اللاڤندر، ولكن بخلاف اللون كان يشبهه تمامًا، ولأنني في حجم

عقلة الأصبع لم أستطع تَسلُّقَ الشجرة؛ فاضطررتُ أن أنتظر حتى تسقط إحدى تلك الثمار على الأرض. انتظرتُ طويلًا حتى هَبَّت رياحٌ وهزَّت فرع الشجرة وسقطت حبَّةُ توت بنفسجي. كنتُ أظنُّ أني عندما آكلها سأصغر مرَّةً ثانية حتى أصبح لا شيء، فنظرت حولي نظرة أخيرة، ثم التَهَمتُ الثمرة في لمح البصر. وفجأة، غمرتني دهشة بمزيج من الأمل حينما بدأتُ أكبر وأكبر حتى عُدتُ إلى حجمي السابق. ومن يومها لم أقترب من تلك الفاكهة ثانية. وبدون الحاجة لقول ذلك، لم يقترب منها أيُّ وحش أو طائر يعيش على هذه الجزيرة أبدًا".

استمع الثلاثة باهتمام لهذه الحكاية العجيبة والغريبة، وحين انتهى سأله الأورغ: "هل تعتقد أن التوت الأحمر هو مُضادٌّ للتُّوت اللافندر؟". أجاب بسيم: "أنا متأكِّد من ذلك"، فقال الأورغ بتَوَسُّل: "إذن دُلَّنا على مكان تلك الشجرة؛ فهذه الهيئة المُصغَّرة مني تُرعِبُني بشكل رهيب". تفَحَّص بسيم المخلوق المصغَّر عن قُربٍ وقال: "أنت قبيحٌ كفاية في هذه الهيئة المصغَّرة. ماذا ستكون عليه لو كبرت، بالتأكيد ستكون خَطِرًا!". أسرَعَت تروت بالقول: "أوه، لا. الأورغ صديق مُخلِص وطيب. لو سمحت دُلَّنا على تلك الشجرة".

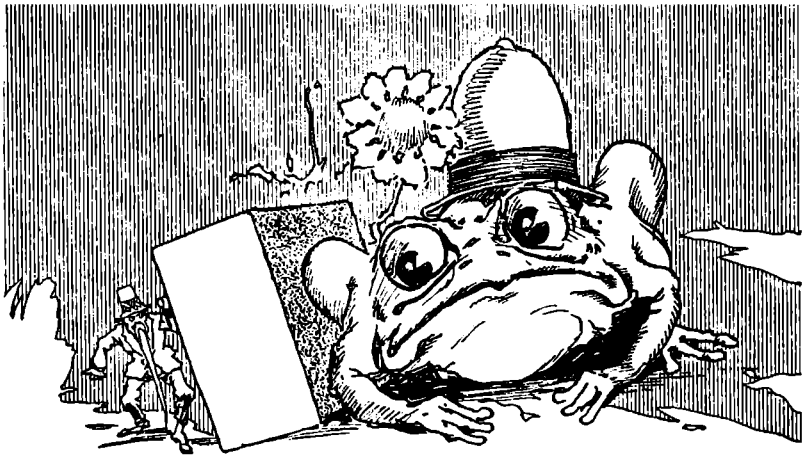

وافـق بسـيم علـى مضـضٍ، وقادَهـم ناحيـة اليميـن، وهـو الجانـب الشـرقي مـن الجزيـرة. وفـي غضـون بضـع دقائـق أوصلهـم إلـى حافَّـة البسـتان المواجـه لشـاطئ المحيـط. هنـاك وجـدوا شـجرة صغيـرة تحمـل توتًـا بلـونٍ أحمـر غامِـقٍ. بَـدَت الثمـار جذَّابـةً للغايـة، وقـام كابتـن بيـل باختيـار ثَمَـرةٍ ناضِجَـة منهـم.

ظـلَّ الأورغ المصغَّـر علـى كتـف تـروت منـذ مغادرتهـم السـقيفة إلـى شـجرة التـوت البنفسـجي، ولكنـه هبـط علـى الأرض فـي انتظـار كابتـن بيـل أن يقطـف لـه ثمـرة، وعندمـا حمـل لـه الثمـرة لـم يسـتطع أن يعطيهـا لـه، بسـبب سـاقه الخشـبية، فناولهـا للفتـاة التـي ركعـت علـى الأرض وقرَّبَـت الثمـرة الكبيـرة مـن فـم الأورغ، فقـال: "إنهـا أكبـر مـن أن تدخـل فمـي". قالـت تـروت: "سـيكون عليـك أكلهـا فـي عَـدَدٍ مـن اللُّقَيمـات الصغيـرة"، وهـذا مـا فعلـه فِعـلًا، نقـر علـى الثمـرة الناعمـة الناضجـة بمنقـاره، وأكلهـا بسـرعة كبيـرة؛ فقـد كانـت لذيـذةَ الطَّعـم.

قبـل أن ينتهـي الأورغ مـن تنـاوُل الثمـرة، لاحـظ الـكلُّ أن حجمـه بـدأ يكبـر، وفـي دقائـق معـدودة اسـتعاد حجمـه الطبيعـي وتبختـر أمامهـم سـعيدًا فَرِحًـا، وقـال بفخـر: "حسـنًا، حسـنًا، مـا رأيكـم بـي الآن؟". قـال بسـيم: "أنـت قبيـحٌ ونحيـفٌ جـدًّا"، ردَّ الأورغ بكبريـاء: "أنـت لا تسـتطيع الحُكـمَ علـى مخلوقـات الأورغ العظيمـة. أي شـخص يـرى كـم أنـا وسـيم مـن تلـك الأشـياء المسـمَّاة بالطيـور، بـكل مـا فيهـا مـن زغـب وريـش". جـادل بسـيم: "ذلـك الريـش يصنـع أسـرَّةً وثيـرة"، ردَّ الأورغ: "وجلـدي يصنـع طبـولًا فاخـرة، ومـع ذلـك، الطائـر مقطـوف الريـش والأورغ بـدون جلـد لـن يكـون ذا فائـدة لنفسـه؛ لـذا دعنـا لا نتجـادل حـول مـا سـيحدث بعـد موتنـا. يـا أيهـا الصديـق بسـيم، أخبِرنـي مـا هـو الجيـد الـذي سـتجنيه لنفسـك، إذا كنـتَ لسـتَ علـى قيـد الحيـاة". تدخَّـل كابتـن بيـل: "لا تشـغل بالـك. فهـو فـي الأسـاس ليـس لـه فائـدة وهـو علـى قيـد الحيـاة".

احتـجَّ بسـيم: "اسـمح لـي أن أخبـرك، إننـي مَلِـكُ هـذه الجزيـرة، وأنتـم تَتَعـدَّون علـى ممتلكاتـي. وإذا كنتـم لا تُحبُّوننـي -وأنـا واثـق مـن أنكـم لا

تُحبُّونني؛ فلا أحد يُحبُّني- لماذا لا تغادرون وتنصرفون من هنا، مع ألف سلامة؟". أجابت تروت في حِدَّة: "الأورغ بإمكانه أن يطير، ولكننا لا نستطيع. ونحن لا نريد البقاء هنا للحظة أخرى، ولكننا لا نجد أي مكان آخر نذهب إليه". قال بسيم بفظاظة: "بإمكانكم العودة للحُفرَة التي أتيتم منها". هَزَّ كابتن بيل رأسه في استياءٍ، وامتعَضَت تروت من تلك الفكرة، أمَّا الأورغ فضحك وقال: "يمكن أنت صحيح الملك هنا. ولكننا نعتزم إدارة الأمور على هذه الجزيرة بأنفسنا، نحن ثلاثة وأنت واحد فقط، وميزان القوى في صالحنا".

لم يَرُدَّ الشيخ الضئيل على كلام الأورغ، ولكنَّ وجهه حمل أقسى عبوس مُمكِن طوال عودتهم للسقيفة. جمع كابتن بيل بمساعدة تروت الكثير من أوراق الأشجار العريضة ليستخدموها كسرائر في السقيفة التي لم يكُن بها أي أثاث على الإطلاق، عدا مقعد خشبي، اعتاد شيخ الجزيرة الجلوس عليه ليراقب كل شيء، والذي كان يطلق عليه "العرش"؛ لذا تركوه له.

وعلى هذا الحال، عاشوا على الجزيرة لمدة ثلاث أيام، استراحوا وأكلوا ما لَذَّ وطاب من ثمار الغابة. ورغم ذلك لم يكونوا سعداء بهذه الحياة بسبب بسيم. كان باستمرارٍ يجد فيما يفعلون أخطاء، وكل ما يحيط بهم يجد عيوبًا. الغريب أنه لم يَرَ أيَّ شيء جيد أو جميل في كل العالم. وفَهِمَت تروت لماذا تخلَّص جيران الشيخ الضئيل منه وأحضروه إلى تلك الجزيرة، وتركوه بمفرده مع نفسه حتى لا يزعج أحد. بالتأكيد من سوء حظهم أن طريق مغامرتهم وصل بهم إلى هذا المكان؛ فقد كانوا في كثير من الأحيان يُفضِّلون رفقة وحشٍ بَرِّيٍّ على رفقة بسيم.

في اليوم الرابع، خطرت للأورغ فكرة جيدة. كان كابتن بيل وتروت والأورغ يُجهِدون عقولهم طوال الأيام الماضية في طريقة للخروج من هذه الجزيرة، وظلُّوا باستمرار يناقشون الطُّرُق المحتملة للمغادرة، دون العثور على خُطَّة عملية صالحة للتنفيذ. فقد اقترح الكابتن بناء طوف

مـن خشـب الأشـجار، ولكنـه لـم يكـن معـه إلا سـكاكين جيـب صغيـرة، ولـم يكـن مـن الممكـن تقطيـع الأشـجار بمثـل هـذه الشـفرات الصغيـرة. قالـت تـروت رَدًّا علـى اقتـراح كابتـن بيـل: "ولنفتـرض أننـا اسـتطعنا صنـع طـوف يعـوم علـى سـطح المـاء، إلـى أيـن نتوجَّـه؟ وكـم سيسـتغرق منـا مـن وقـت حتـى نصـل إلـى أرض أخـرى؟".

اعتـرف البَحَّـار العجـوز أنـه لا يعـرف إجـاب تلـك الأسـئلة. كان فـي مقـدور الأورغ الطيـران مـن الجزيـرة فـي أي وقـت يريـد، لكن هـذا المخلوق الغريـب مُخلِـص لأصدقائـه الجُـدُد، ورفـض أن يغادرهـم فـي هـذا المـكان المنعـزل والمهجـور. قـدَّم الأورغ فكرتـه حينمـا حَثَّتـه تـروت فـي صبـاح اليـوم الرابـع أن يطيـر ويذهـب لحـال سـبيله. قـال: "سـأذهب. لـو وافقتـم علـى الركـوب علـى ظهـري، ونغـادر سـويًّا". اعتـرض كابتـن بيـل: "سـنكون حمـلًا ثقيـلًا عليـك، واحتمـال كبيـر أن تتعـب ونسـقط منـك فـي المحيـط أثنـاء الطيـران". اعتـرف الأورغ قائِـلًا: "مـا تقولـه صحيـح"، ولكنـه أكمـل بنبـرة مُشـجِعَّة: "إلا لـو أكلتـم مـن التـوت اللافْنـدر وأصبحتـم صغيريـن ومُصغَّريـن؛ وبذلـك أسـتطيع حملكـم بيسـر وسـهولة".

هـذه الفكـرة اللامعـة أذهلـت تـروت، ونظـرت بجدِّيَّـة إلـى الأورغ بينمـا تتأمَّـل الفكـرة جيـدًا، ولكـن كابتـن بيـل أسـرع بالـرَّدِّ عليـه: "ومـا الـذي سـيحدث لنـا بعـد ذلـك؟ لـن نكـون فـي حـال جيـد إذا كُنَّـا بطـول عقلـة الأصبـع. لا يـا أسـتاذ أورغ. أنـا أُفضِّـل أن أبقـى هنـا، وأحافـظ علـى هيئتـي وحجمـي، علـى أن أكـون فـي مـكان آخـر بطـول بضـع سـنتيمترات". كان رَدُّ الأورغ بـأن أكمـل كلامـه وفِكرَتـه: "ولمـاذا لا نأخـذ معنـا ثمـارًا مـن التـوت الأحمـر، وتتناولونـه بعدمـا نصـل إلـى وجهتنـا، وهنـاك تعـود لحجمـك الطبيعـي؟". صفَّقَـت تـروت إعجابًـا وهتفـت بفـرح: "هـذه طريقـة ممتـازة. دعنـا نفعـل ذلـك يـا كابتـن بيـل!".

لـم تعجـب الفكـرة كابتـن بيـل فـي البدايـة، لكنـه فكـر فيهـا بعنايـة وتَمعُّـن، وكلمـا فكَّـر فيهـا بَـدَت لـه وجيهـةً وقابِلَـةً للتنفيـذ. واسـتمرَّ يطـرح الأسـئلة علـى الأورغ وقـال: "وكيـف سـتتمكَّن من حملنـا إذا كُنَّـا صغارًا جـدًّا؟".

ردَّ الأورغ بعد تفكيرٍ قليل: "بإمكاني أن أضعكم في كيسٍ وَرَقيٍّ، وأربط الكيس حول عنقي". تَدخَّلَت تروت في النقاش وقالت: "ولكن ليس لدينا كيسٌ وَرقيٌّ". نظر لها الأورغ وقال: "إذًا نستخدم قُبَّعَتَكِ الشمسيَّة، إنها مُجوَّفة في المنتصف، وبها خيطان يُمكِنكِ ربطهما حول عنقي".

خلعت تروت قبعتها الشمسية وتَفحَّصَتها بدقَّة. وفَكَّرت أنه صحيح بإمكان تلك القبعة أن تكون كالحقيبة يمكن أن يركب فيها شخصان صغيران دون خطر السقوط، بعد أن تربط حبلها حول عنق الأورغ.

فقالت: "أعتقد أننا بإمكاننا أن نفعلها يا كابتن"، تنهَّد البحَّار العجوز في حيرة ولم يستطع تقديم اعتراض منطقي، غير أن الخطة خطيرة للغاية، وخطيرة بأكثر من طريقة. واجَهَت تروت هواجس كابتن بيل قائِلةً في رصانة: "عن نفسي، أعتقد أنها خطيرة حقًّا. لكن لا أحد يستطيع البقاء على قيد الحياة دون التعرُّض للخطر في بعض الأحيان، والخطر لا يعني التَّعرُّض للأذى، يعني أن احتمال أن نتعرَّض للأذى. وهذا احتمال قائم في كل الحالات؛ لذلك أعتقد أننا سنضطر إلى المخاطرة." وأكمل الأورغ التحفيزَ قائلًا: "هيا بنا نجمع بعض التوت".

لـم يخبـروا شـيخ الجزيـرة بسـيم، الـذي كان جالسًـا علـى كرسـيه ويعتلي وجهـه عبـوسٌ، بينمـا يُحـدِّق فـي المحيـط. بـدأوا علـى الفـور فـي البحـث عـن الأشـجار التـي تحمـل الثمـار السـحرية. تذكَّـر الأورغ المـكان الـذي ينمـو فيـه تـوت اللافْنـدر وقـاد رفيقيـه بسـرعة إلـى المـكان. جمـع الكابتـن ثمرتيـن مـن تـوت اللافْنـدر، ووضعهمـا بحـرصٍ فـي جيبـه، وبعدهـا ذهـب للجانـب الشـرقي مـن الجزيـرة ليجمـع التـوت البنفسـجي، وقـال: "مـن الأفضـل جمـع أربـع ثمـرات، فـي حالـة أن واحـدةً فقـط لـن تكفـي لنسـتعيد حجمنـا مـرة ثانيـة". نصحـه الأورغ: "الأفضـل جمـع سـت ثمـرات، لنكـون فـي الجانـب الآمـن، أنـا متأكِّـد أن هـذه الأشـجار لا تنمـو فـي أي مـكان". وافَقَـه، ووَضَـعَ سِـتَّ ثَمَـراتٍ ثمينـة فـي جيبـه الداخلـي، وتوجَّهـوا إلـى السـفيفة ليودعـوا شـيخ الجزيـرة بسـيم، ربمـا لـم يرغبـوا فـي وداع هـذا الرجـل العابـس دومًـا، إلَّا لحاجتهـم لشـخصٍ يربـط القبعـة الشمسـية حـول رقبـة الأورغ.

عندمـا علـم أنهـم علـى وشـك تركـه بـدا فـي البدايـة مسـرورًا للغايـة، لكنـه تذكَّـر فجـأة أنـه لا يوجـد شـيء يجـب أن يرضيـه؛ ولـذا بـدأ يتذمَّـر مـن تركـه بمفـرده. فقـال البَحَّـار: "نحـن كُنَّـا نعلـم أنـه لـن ترضيـك مغادرتنـا كمـا لـن يرضيـكَ بقاؤنـا أيضًـا". اعتـرف بسـيم: "هـذا صحيـح. لـم يُرضِنـي أي شـيء حسـبما أتذكَّـر؛ لـذا لـن يهمنـي إذا بقيتـم أو غادرتـم"، لكـن كان مُهتمًّا بتلـك التجربـة؛ لـذا وافـق عـن طيـب خاطـر علـى مسـاعدتهم. علـى الرغـم مـن أنـه تنبَّـأ أنهـم سـوف يسـقطون مـن القُبَّعـة الشمسـية فـي طريقهـم ويغرقـوا فـي المحيـط أو يتـم سـحقهم علـى الشـواطئ الصخريـة. لـم يُثبِّط هـذا الاحتمـالُ غيـر المبتهـج تـروت، لكنـه جعـل كابتـن بيـل متوتـرًا للغايـة.

قالـت تـروت: "سـوف آكل التـوت أوَّلًا"، ثـم أكلـت تـوت اللافْنـدر، وفـي بضـع ثـوانٍ أصبحـت صغيـرة جـدًّا، لدرجـة أن كابتـن بيـل حملهـا بلُطـفٍ بإبهامـه وإصبعـه، ووضعهـا فـي منتصـف القبعـة الشمسـية. ثـم وضـع بجانبهـا حبَّـات التـوت السِّـت البنفسـجية -كل واحـدة بحجـم رأس تـروت الصغيـر- وحيـن اطمـأنَّ أنهـا اسـتقرَّت داخـل القبعـة، أكل تـوت اللافْنـدر وأصبـح صغيـرًا جـدًّا، حتـى سـاقه الخشـبية صغـرت، وكل شـيء!

تعثَّر كابتن بيل في محاولته التَّسلُّق إلى داخل القُبَّعة الشمسية، ونزل بجانب تروت رأسًا على عقب؛ ممَّا جعل بسيم غير السعيد يضحك ويقهقه. ثم حمل ملك الجزيرة القبعة الشمسية -بوقاحَةٍ شديدة، لدرجة أنه هَزَّ ساكنيها مثل البازلَّاء في كيس- وربطها من خيوطها بإحكام حول عنق الأورغ.

قال كابتن بيل بقلق: "آمل، يا تروت، أن تكون قد خيطت تلك الخيوط بإحكام".

أجابت: "نحن لسنا ثقيلَيْن، كما تعلم؛ لذلك أعتقد أن الخيوط ستصمد. لكن كُنْ حَذِرًا ولا تسحق التوت يا كابتن". قال وهو ينظر إليهم: "أعتقد أن إحداها قد هُرِسَت بالفعل". سأل الأورغ: "هل أنتما مُستعدَّان؟".

تصاعد صوتاهما من داخل القبعة: "نعم!"، فاقترب بسيم من القبعة الشمسية وهتف: "ستتحطَّمان أو تغرقان، أنا متأكِّد أن هذا سيحدث لكما! لكن وداعًا وبئس المصير". أثار هذا الخطاب غير اللطيف استفزاز الأورغ؛ لذا أدار ذيله نحو الشيخ الضئيل، وجعله يدور بسرعة كبيرة، لدرجة أن اندفاع الهواء دفع بسيم إلى الوراء وتدحرج عدَّةَ مَرَّات على الأرض قبل أن يتمكَّن من الوقوف مُجدَّدًا، وحينها صعد الأورغ طائِرًا عاليًا -وبخفَّةٍ- في الهواء، وفوق المحيط.

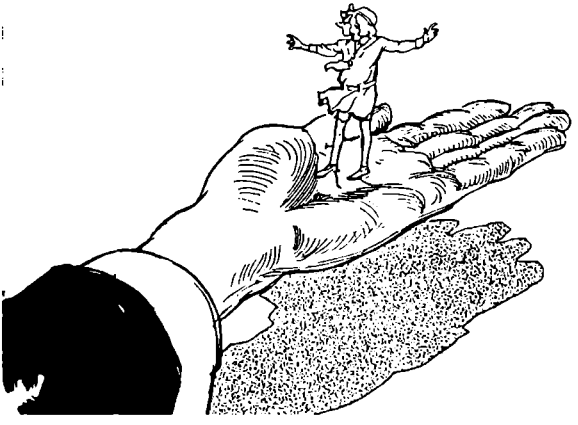

الفصل السادس

الرحلة في القُبَّعة

كان كابتن بيل وتروت مرتاحين في القُبَّعة الشمسية، والطيران مستقر وهادئ؛ فوزنهم خفيف على الأورغ ولم يبذل مجهودًا في حملهم، لكن كلاهما متوتِّر إلى حدٍّ ما بشأن مصيرهم في المستقبل، وكل ما يتمنَّيانه ويشغل بالهم أن يهبطا على الأرض بسلام ويستعيدا حجمهما الطبيعي.

قال البحَّار: "سنكون عرضًا مُدهِشًا فضوليًّا، لو كُنَّا في السيرك. لكن في قبعة شمسية ونطير في السماء فوق محيط شاسع، لا توجد كلمة في أي كتاب لوصفنا". قالت الفتاة: "يا كابتن، في حالتنا هذه، نحن أصغر من مجرَّد أقزام، لن نكون ذا فائدة في السيرك". طار الأورغ لمدة طويلة، وشعر الكابتن بالنعاس من التأرجح اللطيف الرتيب من القُبَّعة أثناء الطيران، بينما ظلَّت تروت مستيقظة، وبعد

أن تحمَّلَت قدرًا كبيرًا من الرحلة الرتيبة، صاحت: "ألا ترى أي أرض يا أستاذ أورغ؟"، أجاب: "ليس بعدُ، إنه محيط كبير. وليس لديَّ أي فكرة في أي اتجاه تقع أقرب أرض للجزيرة التي كُنَّا فيها، لكن لو ظللنا نطير في خطٍّ مستقيم، أنا متأكِّد أننا سوف نصل لمكانٍ ما".

ما قاله الأورغ بدا منطقيًّا؛ لذا ظل الشخصان الصغيران في القُبَّعة صَبورَيْن قدر الإمكان؛ وهذا يعني أن كابتن بيل غطَّ في نعاس عميق، وتروت تُحاوِلُ تَذكُّرَ دروس الجغرافيا حتى تتمكَّن من معرفة الأرض التي من المحتمل أن يصلوا إليه. بينما راقب الأورغ الأفق بعيون ثاقِبةٍ بحثًا عن أرض، محافظًا على الخَطِّ المستقيم بثبات. وأخيرًا قال: "هناك. أرى شيئًا هناك، أعتقد رأيت لمحة من أرض".

بهذا الإعلان، انتبه البَحَّار والفتاة، ووقف الكابتن واستفسر: "كيف تبدو؟"، قال: "تبدو كجزيرة أخرى، ولكن يمكنني الحُكمُ عليها بشكل أفضل بعد دقيقة أو دقيقتين"، قالت تروت: "لا مشكلة في ذلك، لقد كُنَّا على جزيرة ولن يضيرنا أن نكون على أخرى". بعد دقيقة قال الأورغ: "إنها بالتأكيد جزيرة، لكنها جزيرة صغيرة... لكنني لن أتوقَّف عليها... فأنا أرى جزيرة أكبر بعدها مباشرة". وافَقَه البحَّارُ: "نعم، كلما كانت الجزيرة أكبر، ستكون بالتأكيد مناسبة أكثر".

قال الأورغ وكأنه يُحدِّث نفسه: "إنها تقريبًا في حجم قارة. أتكون تلك هي أورغلاند، موطني الذي أبحث عنه منذ زمن؟"، سمعه كابتن بيل فهمس للفتاة تروت بحيث لا يسمعهم: "أتمنَّى ألَّا تكون. فأنا لا أحب أن أكون حيث عدد كبير من الأورغ. واحد ليس رفيقًا سيِّئًا، لكن الكثير منهم لن يكون لطيفًا".

بعد فترة صمت، قال الأورغ بحزن: "لا ليست موطني. إنه مكان لم أره قبلًا، رغم أني طِرتُ وتجوَّلتُ لمسافات بعيدة. إنها بلد بها جبال وصحاري ووديان ومدن غريبة وبحيرات وأنهار، كله مختلط ببعض بطريقة مُحيِّرة". لم يهتم كابتن بيل بوصفة كثيرًا، وقال: "هل اقتربت من الأرض؟".

ردَّ الأورغ: "قريبًا. هناك قمة جبل أمامنا مباشرة. ما رأيك أن نهبط عليها؟". قال: حسنًا"؛ فقد كانا مُرهقَيْن في القبعة الشمسية ويشتاقان للوقوف على أرض ثانية. خفَّف الأورغ من سرعة طيرانه استعدادًا للهبوط، ثم توقَّف ونزل بهدوء على الأرض. حاول أن يفكَّ العقدة خلف عنقه، ولكنه لم يستطع؛ فالعقدة مربوطة بشدَّة، وبعيدًا عن متناول قدميه الأماميَّتَيْن اللتين يستخدمهما في كثير من الأحيان كيَدَيْن. بعد عدَّة محاولات قال: "أخشى أنني لا أستطيع إخراجكم من القبعة، ولا يوجد أحدٌ هنا لمساعدتي". أثار ذلك إحباطَهم قليلًا، ولكن كابتن بيل جاءت له فكرة فقال للفتاة تروت: "إذا لم تُمانِعي، أستطيع قطع شقٍّ في قبعتك الشمسية بمُديَتي الصغيرة، لتكون فتحة نخرج منها"، أجابت بحماس: "افعَلْ ذلك... بإمكاني خياطتها بعد ذلك، عندما أستعيد حجمي".

بالفعل نجح البحَّار في قطع شقٍّ وتمكَّن من الخروج، وبعدها ساعد تروت للعبور من الفتحة. وكان أول عمل لهم على الأرض هو تناوُل التوت البنفسجي. خافت الطفلة الصغيرة تروت قليلًا من أن يكون طعم التوت البنفسجي مُرًّا، خصوصًا أن حجمه كبير بالنسبة لحجمهما. فقالت للكابتن: "أنا لستُ جائِعةً. تناوَلْها أنتَ أوَّلًا"، فردَّ عليها ناصِحًا: "الجوع لا يهم في حالتنا هذه. إن الأمر أشبه بتناول دواء لشفائك، يجب علينا تناوله، بأي طريقة كانت".

التوت -على عكس ما كانا يتوقَّعان- كان لذيذًا. شرَعَا يأكلان من حوافها، بدأت أشكالهما تنمو في الحجم ببطء ولكن بثبات. كلَّما كبر حجمها، كان من الأسهل بالنسبة لهما تناول التوت، والذي أصبح بالطبع أصغر بالنسبة لهما، وبحلول الوقت الذي تمَّ فيه الانتهاء من تناول الفاكهة، استعاد صديقانا حجميهما الطبيعيَّين.

شعرت الطفلة بارتياح كبير عندما وجدت نفسها كبيرة كما كانت في الماضي، وشاركها كابتن بيل في ارتياحها؛ على الرَّغم من أنهما رأيا تأثير التوت على الأورغ، إلا أنهما لم يكونا مُتأكِّدَيْن من أن الفاكهة

السحرية سيكون لها نفس التأثير على البشر، أو أن السحر سيعمل في أي بلدٍ آخر غير البلد الذي نما فيه التوت.

سألت تروت: "ماذا سنفعل بحبَّات التوت الأربعة الأخرى؟ إنها ليست صالِحة لنا الآن، أليس كذلك، يا كابتن؟"، أجاب: "لست مُتأكِّدًا من ذلك. إذا أكلها شخصٌ لم يأكل توت اللاڤندر مُطلَقًا، قد لا يكون لها أي تأثير على الإطلاق؛ ويمكن العكس. لن نعرف إلا بالتجربة. عمومًا سأرمي واحدة منهم لأنها هُرِسَت وفسدت تمامًا، والثلاث الأخرى سأحملها معي. إنها أشياء سحرية، كما تعلمين، وقد تكون مفيدةً لنا في وقتٍ ما".

بحث في جيوبه الكثيرة ووجد علبة خشبيَّةً بغطاء منزلق، احتفظ بها ليضع فيها مجموعة من المسامير، التي ألقاها بإهمالٍ ووضع مكانها حبَّات التوت الثلاث الثمينة السحرية. وأعاد العلبة الخشبية لجيبه الداخلي مرة أخرى. حينما انتهت تلك المهمَّة، تفرَّغا للبحث عن ماهية المكان الذي هبطا فيه.

الفصل السابع

أُذُن الجبل

لم تكن أرض الجبل الذي هبطوا عليه قاحِلةً جرداء، فقد تناثرت على جوانبه مساحات عشبية خضراء، وبعض الشجيرات، وقليل من الأشجار النحيلة، وهنا وهناك تبعثرت كُتَلٌ صخرية. بدت جوانب الجبل شديدة الانحدار، لكن بحذر يمكن للمرء تسلُّقها هبوطًا وصعودًا بسهولة وأمان. المنظر من حيث يقفون يُطِلُّ على وديان رائِعَةٍ وتلالٍ خصبة تقع عند سفح الجبل. ظنَّت تروت أنها رأت بعض المنازل ذات الأشكال الغريبة متناثرة في الأسفل، وشاهدت نقاط متحرِّكةً قد تكون بشرًا أو حيوانات، لكنها كانت بعيدة جدًّا عن رؤيتها بوضوح.

ليس بعيدًا عن مكان هبوطهم مكانٌ آخر أعلى الجبل، بدا مساحة مُسطَّحة. فاقترح الأورغ أن يطير إلى هناك ليرى ماذا يوجد. قالت تروت: "هذه فكرة جيدة؛ فالشمس في طريقها للغروب، ونحتاج مكانًا

لنقضي فيه الليل". لم يستغرق الأورغ أكثر من بضع دقائق حتى ظهر لهما من حافَّة القِمَّة الأقرب لهما وناداهما. تسلَّقت تروت والكابتن مُنحَدَر الجبل لأعلى، وفي خلال دقائق وصلا إلى حيث ينتظرهم صديقهم الأورغ.

غمرتهم سعادة عند رؤيتهم قمَّة الجبل؛ فقد كانت المساحة المسطَّحة مستويةً بشكل لم يتوقَّعوه، ومفروشة بعشب أخضر لامع. وفي المنتصف يوجد منزل من الحجر مبنيٌّ بتصميمٍ دقيق وجميل. لم يكن أحد في المكان، برغم أن الدخان يتصاعد من المدخنة؛ لذلك تقدَّم الثلاثة بالاتجاه نحو المنزل بحماس في نفس الوقت.

كان عقل تروت يموج بالأسئلة، وأفصَحَت بالقليل منها لصديقَيْها: "ياه، أين نحن؟ وما هي هذه البلد التي هبطنا فيها؟ وكم تبعد عن منزلي في كاليفورنيا؟"، أجاب كابتن بيل: "لا أعرف يا رفيقتي. لكن ما أنا متأكِّد منه أننا قطعنا شوطًا طويلًا منذ أن وقعنا في الدوَّامة"، وافَقَته الفتاة بأسى: "نعم، يجب أن تكون تلك المسافة أميالًا وأميالًا"، قال الأورغ: "المسافات لا تعني شيئًا. لقد طِرتُ لمسافات شاسعة لكل أنحاء العالم، مُحاوِلًا أن أعثر على موطني. من المدهش عدد البلاد التي صادَفتُها، المخفية بين أركان الكرة الأرضية. لو سافَرتَ كثيرًا ستعثر على بلد جديد في كل مكان تذهب إليه، والعجيب أن كثيرًا منهم لن تجده على الخرائط". ابتسمت تروت وقالت: "أعتقد أن هذه البلد ليست على الخريطة".

وصَلوا للمنزل الحجري، ودَقَّ كابتن بيل الباب، وعلى الفور فتح رجلٌ قويُّ البنية لديه "كدمات في كل أنحاء جسده" كما وصفته تروت بعد ذلك، يلبس بذلة رماديَّةً مُهَندَمَة، لكنها لم تكن تناسبه بسبب البروزات والنتوءات من الكدمات في جسده، والتي لم يستطع إخفاءها. شعرت تروت بالارتياح لهذا الرجل بسبب عيونه المتلألئة البَرَّاقة، الذي رحَّب بهم وقال: "يوم سعيد! هيا ادخلوا وأغلِقوا الباب وراءكم، بدأت البرودة تتسلَّل من الخارج، والشتاء قادم".

أثار ذلك اندهاش تروت وقالت: "الجوُّ ليس باردًا، ولا يمكن للشتاء أن يأتي الآن". قال الرجل: "ستُغيِّرين رأيك بعد قليل. كدماتي دائمًا ما تخبرني بحالة الطقس. وهي تشعر الآن أن عاصفة ثلجية على وشك الهبوب. اعتَبِروا البيت بيتكم، أيُّها الغُرَباء. العشاء سيكون جاهزًا بعد قليل، وبه طعام يكفينا كلنا".

داخل المنزل، لم يكن هناك إلا صالة واحدة كبيرة، بسيطة، لكن مُؤثَّثة جيِّدًا. بها مقاعد وثيرة وطاولة كبيرة ومدفأة، وكلها مصنوعة من الحجر. على الموقد قِدرٌ يغلي ويَتصاعد منه بخار كثيف، وشمَّت تروت رائحةً شهيَّة. جلس الزُّوَّار على المقاعد الصخرية، عاد الأورغ الذي جلس بجانب المدفأة بينما الرجل المضياف يقلِّب القدر بسرعة.

بادر كابتن بيل واستفسر: "هل لي يا سيدي أن أسأل ما هي هذه البلد؟"، اندهش الرجل وتوقَّف عن التقليب وقال: "يا الهي، ألا تعرف أين أنتَ؟"، قال الكابتن: "لا. نحن وصلنا لهنا لِتوِّنا"، استفهم الرجل: "هل تُهتَ؟"، ردَّ: "ليس بالضبط، لم يكن لدينا طريق مُحدَّد حتى نتوه". كان ردُّ فعل الرجل هو "آه" طويلة، ثم أكمل بفخر بصوتٍ مَهيب ومثير للإعجاب: "أنت يا سيدي في أرض مو الشهيرة"[1]، فكان

(1) قابلنا شخصيَّة الحمار الحكيم من أرض مو في الرواية السابعة "فتاة قصاقيص القماش"، وهو حمار كان في زيارةٍ لأرض أوز، في نفس اليوم الذي تمَّ عَزلُ أرض أوز عن بقية العالم. فأصبح مضطرًا لأن يبقى هنا للأبد. أرض مو هي أرض بجانب أرض أوز من ناحية مُقاطَعَة الموشكيين، على الجانب الآخر من الصحراء المميتة، وهي مسرح أحداث أوَّل كتاب قصصي يكتبه فرانك باوم، وهو مجموعة قصص بعنوان The King of Phunnyland. في إحدى تلك القصص كان الحمار أحمقَ، ولكن تَمَّ حَبسُه عن طريق الخطأ في مدرسةٍ بعد ظُهر الجمعة. وبحلول صباح الاثنين، التهم مَكتبة المدرسة بالكامل، وبعد هضم كل تلك المعرفة أصبح حكيمًا للغاية. رغم أن فرانك يقول إنه كتبها عام 1896 إلا أنه حاول أن ينشرها بعد نجاح كتاب بعنوان "الأم بجعة" Mother Goose in Prose، وهو مجموعة أشعار للأطفال، ولكن دار النشر الأولى التي تعامل معها فرانك والتي نشَرَت "الأم بجعة" أغلقت. بعد نجاح كتابه الثاني بعنوان "الأب بجعة" Father Goose تحمَّسَ ناشِرٌ آخر لأن ينشر تلك المجموعة القصصية، لكنها نُشِرَت بعد شهر واحد من رواية ساحر أوز العجيب عام 1900، ونجاح وشعبية رواية أوز غطَّى على ذلك الكتاب؛ فلم يطبع الناشر منه طبعات أخرى. ونشرها ناشِرٌ آخر بعدها بعامين بعنوان The Magical Monarch of Mo وهو الاسم المعروفة به حتى الآن.

ردُّ فعل الزوَّار الغرباء هو "آه" طويلة مثله، رغم أنهم لم يسمعوا عن أرض مو أبدًا.

راقب الأورغ الرَّجُلَ وهو يعاود التقليب المستمر للقدر وسأله: "وأنت.. مَن أنت؟". أجاب الرجل القويُّ البنية: "أنا.. ألم تسمع عني من قبل؟... أنا معروف، على نطاق واسع، باسم أُذُن الجبل". تَقبَّل الزُّوَّار تلك المعلومة بصمت، فهم لم يعرفوا أي شيء عن أذن للجبل من قبل، فتشجَّعَت تروت: "وما هو أذن الجبل، إذا سمحتَ؟". لكي يجيبها، استدار الرجل، ولوَّح بالملعقة كأنها عصا موسيقار، وقال بصوت رنَّان:

"هـذا الجبـل، سَـمْعُه ثقيـل، شـيء محـزن ومحتـاج تشـجيعًا
شـغلتي هـي الاسـتماع لـكل مـا يحـدث فـي الطبيعـة
وإخبـاره بـكل شـيء حتـى لا يتضايـق، فيسـعل ويعطـس
فهـذا الرهيـب، عندمـا يخـاف، يصبـح عُرضـة للـزَّلازل
يمكنـك سـماع رنيـن الجـرس ويمكننـي سـماع غنـاء البشـر
لكن الجبل لا يعرف تلك الأصوات
حينمـا تهـبُّ عاصفـة أو تمطـر بغـزارة أو تهطـل الثلـوج
مَهمَّتي هي إنذاره بما يحدث وسيحدث
وهكـذا أفيـد كل النـاس بينمـا أعيـش علـى هـذا البـرج؛
لأنـي أُبقي الجبـل ثابتًـا حتـى يتمكَّـن جيراني مـن التحـرُّك بحرية.
وهـذا يجعلني في غاية الأهميـة لدرجة أنني فخور بهذه المهمة".

حينما انتهى من إلقاء تلك الأبيات الرَّنَّانة، استدار ليكمل التقليب. ابتسم الأورغ وضحك كابتن بيل وخطر على بال تروت أن هذا الرجل بالتأكيد به مَسٌّ من الجنون. وضع أذن الجبل أربعة أطباق حجرية على المائدة، وسكب في كل طبق قليلًا ممَّا في القدر. اقترب الزُّوَّار من المائدة وقالت تروت بدهشة: "إنها حلوى دبس السُّكَّر[1]". قال أذن الجبل: "بالطبع، تناولوا منها بسرعة وهي مذابة وساخنة، فقد تبرد في هذا الطقس الشتوي"، وأسرع بتناولها بملعقةٍ حَجريَّةٍ، بينما الزُّوَّار ينظرون له بدهشة، وسألت تروت: "ألا تلسع فمك؟"، قال: "بالطبع لا. لماذا لا تأكلون؟ ألستم جَوعَى؟"، رَدَّت الفتاة: "بلى. نحن جَوعَى، لكننا في العادة نأكل تلك الحلوى عندما تبرد وتصبح صلبةً، وتتشكَّل إلى عسليَّة قبل أكلها".

ضحك أذن الجبل: "ها ها ها. يا لها من فكرة غريبة! من أين أتيتم؟"، قالت: "كاليفورنيا"، قال: "كاليفورنيا، بووه، لا يوجد مكان بمثل هذا الاسم. أنا أعرف كل مكان في أرض مو. لكني لم أسمع أبدًا بهذا الاسم"، قالت: "إنها ليست في أرض مو!"، قال: "إذن هي ليست مهمَّة"، وقام يغرف لنفسه طبقًا آخر من المولاس؛ فقد كان يأكل أثناء حديثه مع تروت.

تنهَّد كابتن بيل: "بالنسبة لي، أريد وجبةً مُغذِّية متكاملة، مرة واحدة على سبيل التغيير. في آخر مكانٍ كُنَّا فيه لم يكن هناك غير الفاكهة لتناولها، وهنا لا يوجد غير الحلوى". قالت تروت: "حلوى دبس السكر ليست سيِّئةً يا كابتن، نصيبي برد كفاية لكي آكله. انتظر قليلًا ليبرد وحينها ستتمكَّن من تناوله".

---

(1) أذن الجبل يطبخ Molasse في القدر، وحلوى المولاس هي دبس السُّكَّر، والمعروف بالعسل الأسود، وهو السائل البُنِّيُّ اللَّزِج المتبقِّي بعد تكرير السكر الخام بالبلورة، وعندما يبرد يتشكَّل بحلوى العسلية، وهو في الأصل اسم الطبقة المكوِّنة من صخور الحصى والحجارة الرملية، وأصبح يتمُّ استخدامها أيضًا كمصطلح يُظهر الفترة الزمنية للمحطات الأرضية الچيولوچية.

بعدما انتهت تروت من تناول ما في طبقها الحجري، طلبت شربةَ ماء. استعجب أذن الجبل: "ماء! ما هذا الشيء؟"، قالت: "شيء ما لنشرب؟ ألا يوجد عندكم ماء في أرض مو؟"، قال: "لم أسمع بهذا من قبل. ولكن مُمكِن أقدِّم لكم ليمونادة منعشة. لقد استطعت توفير جَرَّة مملوءة آخر مرَّة أمطَرَت، منذ يومين فقط"، استفسرت تروت: "أوه، هل تمطر ليمونادة هنا في أرض مو"، قال: "دائمًا، وهي مُنعِشَة وصِحِّيَّة".

نهض أذن الجبل وأحضر جَرَّةً حجرية من الخزانة، وعددًا من الأكواب الحجرية. شربت الفتاة وقالت للكابتن إنها ليمونادة لذيذة حقًّا، فتناول منها وأعجبته كثيرًا، لكن الأورغ رفض أن يَقرَبَها، وقال: "إذا لم يكن هنا ماء في هذا البلد، فلن أستطيع البقاء هنا لفترة طويلة. الماء يعني الحياة للإنسان والحيوان والطيور". قالت تروت: "يجب أن يكون في الليمونادة ماء"، ردَّ الأورغ: "نعم. وأفترض أن هناك أشياء أخرى في ماء الليمونادة، وهو ما يُفسِد الماء الصافي".

تسبَّبَت مغامرات اليوم في إرهاق المغامرين؛ لذا أحضر أذن الجبل لهم بضع بطانيات، فتغطَّوا بها واستلقوا بجانب نار المدفأة، والتي أبقاها مضيِّفُهم مُشتَعِلَة طوال الليل. استيقظت تروت عدَّة مرَّاتٍ أثناء الليل، فوجدت أذن الجبل مُنتَبِهًا يسمع باهتمام لأقل صوت، ولكن الفتاة لم تسمع سوى شخير البحار العجوز.

الفصل الثامن

بُرعُم باهِر... "تاه ولقيناه"!

صحت تروت على صوت أذن الجبل يهتف: "استيقظوا.. استيقظوا. ألم أخبركم ليلة أمس أن الشتاء قادم؟ لقد سمعته يأتي بالكدمة في أذني اليسرى، والدليل أن الثلوج تنهمر في الخارج. هيَّا".

فرَكَت عينيها وزحفت من أسفل البطانية: "حقًّا؟ في البلد التي أعيش فيها، كاليفورنيا، لم أرَ الثلوج أبدًا إلا بعيدًا على قمم الجبال". قال: "حسنًا، نحن على قِمَّة الجبل الآن؛ ولهذا السبب تهطل الثلوج بشدَّة في الخارج". نظرت الفتاة من النافذة. رأت الهواء مليئًا برقائق بيضاء مُتساقِطَة، كبيرة الحجم، وشكلها غريب لدرجة أنها تحيَّرَت، وسألته: "هل أنت متأكِّد أن هذا ثلج؟"، قال: "بالطبع. الآن يجب أن أحضر مجرفة الثَّلج لأكسح الثلوج من الممر، هل ترغبين في الخروج معي؟"، هَزَّت رأسها بالموافقة، وتبعت أذن الجبل للخارج.

عندما فتح الباب صاحت: "إن الجو ليس بارِدًا"، ردَّ: "بالطبع، كان بارِدًا ليلة أمس، قبل العاصفة الثلجية. أمَّا الآن، فالثلوج المتساقطة هشَّة ودافئة". جمَعَت تروت حفنةً منه في يدها وصاحت: "إنه فيشار!"، قال: "بالتأكيد، كل الثلوج فيشار. ماذا كنتِ تتوقَّعين؟"، قالت: "الفيشار ليس ثلجًا في موطني"، قال بنَفاد صبر: "حسنًا، هذا هو الثلج الذي لدينا في أرض مو. ينبغي أن تتعوَّدي على ما يحدث هنا. أنا لست مسؤولًا عن الأشياء الغريبة التي تحدث في بلدك. حين تكونين في أرض مو، يجب عليكِ أن تفعلي ما يفعله أهل مو. كُلي بعضًا من ثلجنا، ستستمتعين بطعمه. العيب الوحيد في ثلجنا هنا، أنه كثيرٌ جدًّا في كلِّ مرَّة يهطل فيها".

عمل أذن الجبل بهمَّة ونشاط في كسح الفيشار، لدرجة أنه صنع تلالًا صغيرة على جانبي الممرِّ، وبينما يعمل، تذوَّقَت تروت الفيشار، فوجدته لذيذًا ومُقرمشًا، فقعدت بجانب تلٍّ صغير من الفيشار تأكل منه، بعد دقيقة، خرج كابتن بيل من المنزل وانضمَّ لها، فاندهش ممَّا تفعل، فسألها: "ما هذا؟"، فقالت: "إنه ثلج مو، لكنه ليس ثلجًا حقيقيًّا، بالرغم من أنه يسقط من السماء، بل فيشار مقرمش ومملَّح ولذيذ". وسرعان ما انضمَّ لهما الأورغ، وقعد الثلاثة يتناولون فطورهم من فيشار أرض مو.

فجأة سمعت تروت أذن الجبل يصرخ: "يا لطيف اللطف، شخص ما مدفون في الثلج". هبَّت تروت مع كابتن بيل والأورغ يهرعون إلى حيث يقف، وفي طريقهم داسوا على فيشار وطحنوه تحت أقدامهم، فقد كان ثلج مو كثيفًا، ولم يكن أذن الجبل قد كسح الثلج من عند سفح الجبل بعد. وجَدَا أذن الجبل يمسك بالمجرفة ينظر مُتحيِّرًا إلى قدمين بارزتين من بين بياض الثلج الذي في حقيقته فيشار. صاح كابتن بيل: "يا إلهي! شخص ما تاه في العاصفة. أتمنَّى أن يكون ما زال على قيد الحياة".

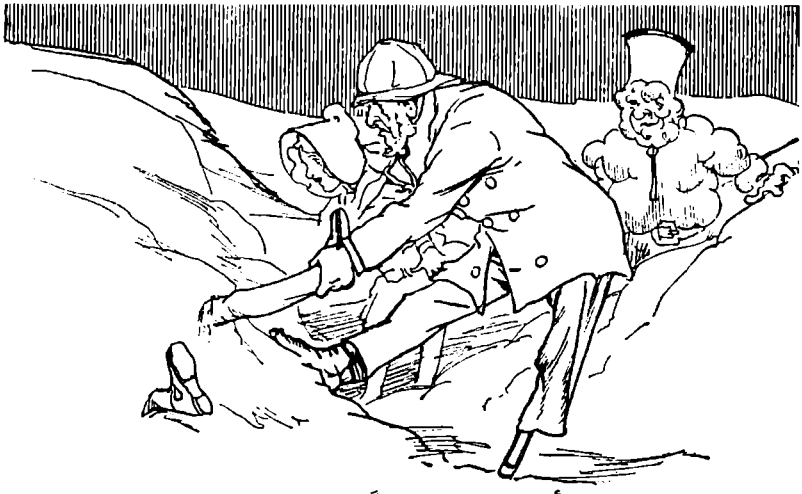

ساعد كابتن بيل أذن الجبل، وشَدَّا ذلك الشخص من كومة الثلج الذي في حقيقته فيشار، ووَجَدَا أنه صبي صغير. يرتدي سترةً مخمليَّةً بُنِّيَّة اللون وبنطلون چينز، مع جوارب بُنِّيَّة وحذاء بإبزيم وقميص أزرق بخصر مُزيَّن بكشكشة من الأمام. عندما سُحب الصبي من الكومة كان يمضغ حفنة فيشار، وكلتا يديه ممتلئتان به؛ لذا في البداية لم يستطع التحدث إلى الرجال الذين أنقذوه، لكنه ظلَّ هادئًا ونظر إليهم بهدوء حتى ابتلع ما في فمه. ثم قال: "أين قُبَّعتي؟"، ووضع المزيد من الفيشار في فمه.

سأل الأورغ بينما أذن الجبل مشغول بإخراج قبَّعة الصبي من الثلج: "مَن هذا الغريب؟"، أجابت تروت: "إنه برعم باهر بالطبع[1]. لو أي شخص وجد صبيًّا ضائِعًا، فهو بالتأكيد بُرعُمٌ باهر. ولكن كيف

(1) كان أول ظهور لبرعم باهر في رواية "الطريق إلى أوز"، حيث عثرت عليه دورثي والمتشرِّد أثناء توجُّههم إلى أرض أوز، وهناك بعد انتهاء عيد ميلاد الأميرة أعاده سانتا كلوز إلى منزله. في تلك الرواية لا نعرف أي شيء عنه لسبب بسيط؛ أنه يجاوب على كل سؤال بـ "ما اعرفش". نقابله مرَّةً ثانية وتالية في رواية "جزيرة السماء"، وهي السلسلة الأخرى التي كان ينوي باوم كتابتها في فترة توقُّف سلسلة عالم أوز وقد كبر قليلًا. يقابل تروت وكابتن بيل ويعرفان منه أنه من فيلادلفيا.

تتوه في هذا البلد الغريب البعيد، إنها أبعد كثيرًا من أبعد مكان وصلت له من قبل؟". استفسر الأورغ: "إلى أين ينتمي هذا الصبي؟"، أجابت: "منزله في فيلادلفيا. على ما أعتقد. ولكني أظنُّ أنه لا ينتمي لأي مكان". هَزَّ الصبي رأسه بالموافقة وابتلع حفنةً أخرى من الفيشار.

قال الأورغ: "كل شخص ينتمي لمكان ما"، جادَلَ الصبي: "إلا أنا. أنا على بُعد نصف العالم بعيدًا عن فيلادلفيا. وبما أنني فقدتُ مَظلَّتي السحرية، التي أستخدمها للسفر لأي مكان، من المنطقي ألَّا أتمكَّن من العودة؛ لذا ليس لديَّ منزل. ولكني لا أهتمُّ بذلك كثيرًا. هذه بلد جيدة يا تروت، لقد استمتعت كثيرًا فيها".

عثر أذن الجبل على قُبَّعَة برعم باهر، واستمع لتلك المحادثة باهتمام بالغ، وقال: "يبدو أنكِ تعرفين هذا الصبي المسكين التائه المغطَّى بالثلوج"، أجابت تروت: "نعم بالطبع، ذات يوم، لقد قُمنا برحلة في جزيرة السماء، كنَّا -وما زلنا- أصدقاء"، فقال: "إذن يَسرُّني أني أنقذتُ حياتَكَ".

قال برعم باهر: "مُمتَنٌّ لك جدًّا يا أستاذ كدمات. ولكني أعتقد أنك لم تنقذ إلَّا بعض الفيشار الذي ربما أكون قد أكلته لو لم تزعجني. لقد كان ساخِنًا ولذيذًا، أضِفْ إلى ذلك أنه وفير. ما الذي دفَعَكَ لإخراجي من تَلِّ الفيشار؟ ثم ما الذي يجعلك مليئًا بالكدمات والنتوءات هكذا؟"، رَدَّ أذن الجبل بفخر: "بالنسبة للكدمات والنتوءات: لقد وُلِدتُ بها، وأظنُّ أنها هدية من الجِنِّيَّات. إنها تجعلني صلبًا وقويًّا مثل الجبل الذي أقوم بخدمته"، قال برعم باهر: "طيب"، وعاد لأكل الفيشار مرَّةً أخرى.

توقَّف هطول الثلج وتجمَّعَت الطيور من مختلف الأشكال والألوان حول تلال الثلوج الذي في حقيقته فيشار، وانقضَّت عليها تأكل منها بدون هوادة، ولكن العجيب أنهم لم يهتمُّوا بوجود البشر حولهم. مدَّ برعم باهر يده ليأخذ حفنة أخرى من الفيشار، وفي نفس اللحظة هجم طائرٌ على نفس الموضع ليأكل الفيشار من الصبي بدون تخطيطٍ

أو قصد. فغضب برعم باهر وقبض على قدمه، فكان ردُّ فِعل الطائر أن طار حامِلًا الصبيَّ الصغير مُعلَّقًا في قدمه. وبما أن برعم باهر خفيف فطار به مسافة قليلة حتى أفلت الصبي يده من قدم الطائر. اندهش كابتن بيل من أن الطائر حلَّق وعاد يأكل الفيشار وكأن شيئًا لم يحدث، ومن هذه اللحظة خطرت في ذهنه فكرة، ولكنه لم يَقُلها لأي شخصٍ، فقام بإخراج عدَّة قطع من الحبال القوية من جيوب معطفه الواسع، ثم تحرَّك بهدوء شديد، حتى لا يزعج الطيور، تسلَّل إلى أكبر الطيور حجمًا، وربط الحبال حول أرجلهم؛ ممَّا جعلهم أسرى. كانت الطيور مشغولةً بأكلها لدرجة أنها لم تلاحظ ما حدث لها، وعندما تمَّ أَسرُ حوالي عشرين بهذه الطريقة قام كابتن بيل بربط أطراف جميع الخيوط معًا وربطها بحجر ضخم، فلم تتمكَّن من الفرار.

شاهد أذن الجبل تصرُّفات البحَّار العجوز بفضولٍ كبير، وقال: "ستكون هذه الطيور هادِئةً حتى تلتهم كل الثلج، ولكن بعد ذلك سيرغبون في الطيران بعيدًا إلى منازلهم. أخبِرْني، أيُّها البَحَّار، ما الذي سيفعله هؤلاء المساكين عندما يدركون أنهم لا يستطيعون الطيران؟"، أجاب: "قد يقلقهم ذلك قليلًا، لكنهم لن يتأذوا إذا أخذوا الأمر ببساطة".

في هذه الأثناء، كان أصدقاؤنا قد انتهوا من تناول إفطارٍ جيِّد من الفيشار اللذيذ، ثم توجَّهوا نحو المنزل مرَّةً أخرى. مشى برعم باهر بجانب تروت وأمسك يدها، فهم أصدقاء قدامى، كما أنه مُعجَبٌ بالفتاة كثيرًا. لم تَكُن أكبرَ منها، فهي أطول منه بمقدار نصف رأس فقط. ألطف صفة في برعم باهر أنه كان هادِئًا وراضيًا، مهما حدث، بالإضافة أنه لم يكن هناك شيء يمكن أن يُدهِشَه. أمَّا تروت فقد أعجبها برعم باهر لأنه لم يكن وَقِحًا ولم يحاول أبدًا أن يضايقها. وبالنسبة لكابتن بيل، فقد أحبَّ الصبي لأنه دائمًا ما يجده مُبتَهِجًا وشجاعًا، ومستعدًّا لفِعل أي شيء يُطلب منه بدون سؤال.

قبل الدخول للمنزل الحجري، شمَّت تروت رائحة في الهواء، فسألت بتلقائية: "أليس ذلك عطرًا؟"، أجاب أذن الجبل: "نعم. أنتِ تَشمِّين رائحة البنفسج، وهذا يثبت أن هناك رياحًا قادمة من الجنوب. كل رياحنا ونسماتنا مُعطَّرة. رياح الجنوب دائمًا لها رائحة البنفسج؛ رياح الشمال لها رائحة الورود البَرِّيَّة، ورياح الشرق مُعطَّرة بزنابق الوادي، والرياح من الغرب بأزهار الليلك؛ لذلك لا نحتاج إلى دَوَّارَة رِيَّاحٍ لتخبرنا عن اتجاه هبوب الرياح. كل ما علينا فِعلُه هو شَمُّ العطر، ونعرف على الفور".

في المنزل، انتبه برعم باهر لوجود مخلوق الأورغ، تفحَّص المخلوق الغريب عن قرب، وسأله: "في أيِّ اتجاه يدور ذيلك؟"، قال في لهجة مَن له مزاجٌ مُتعكِّر: "في كلا الاتجاهين". مَدَّ برعم باهر يده ولمس ذيل الأورغ مُحاوِلًا لَفَّه، انزعج الأورغ وقال: "لا تَفعَلْ ذلك"، استفسر الصبيُّ: "لماذا؟"، قال: "أوَّلًا لأن هذا ذيلي أنا، وثانيًا أنا الوحيد الذي له الحَقُّ في لَفِّه يمينًا أو يسارًا". اقترح الصبي: "إذن، هيَّا لنخرج ونطير إلى مكانٍ ما، أريد أن أرى كيف يعمل هذا الذيل"، قال الأورغ بصرامة: "ليس الآن. أقدِّر طبعًا اهتمامك بي، والذي أستحقُّه بالكامل

لأني مخلوق مُميَّز. لكني أطير فقط حينما أريد أن أذهب إلى مكانٍ ما. وإذا فعلت لن أتوقَّف إلَّا إذا وصلتُ إلى هذا المكان".

تدخَّل كابتن بيل مُوَجِّها كلامه للأورغ: "هذا يُذكِّرني لأن أسألَكَ، يا صديقي الأورغ، كيف سنخرج من هنا؟". استنكر أذن الجبل ما سمع وقال: "تخرجون من هنا! لماذا؟ أرض مو جميلة! لماذا لا تبقون هنا؟ لن تعثروا على مكانٍ أفضل من أرض مو!"، سأله كابتن بيل: "هل ذهبتَ إلى أي مكان يا حضرة أذن الجبل؟"، اعترف: "لا. لا أستطيع أن أقول إنني خرجتُ من أرض مو أبدًا"، قال كابتن بيل بجِدَّة: "إذن أنت لا تستطيع أن تحكم على ذلك"، ثم تَوجَّه بحديثة للأورغ وقال: "أنتَ لم تُجِب على سؤالي يا صديقي. كيف سنخرج من هذا الجبل؟".

فكَّر الأورغ بُرهَةً قبل أن يجيب، وقال: "ربما أحمل واحدًا منكم -الصبي أو الفتاة- على ظهري، لكن ثلاثة أشخاص كبار فهذا أكثر ممَّا أستطيع، على الرغم من أنني حملت اثنين منكم لمسافة قصيرة. أعتقد أنكم أخطأتم بأكل التوت البنفسجي مُبكِّرًا". اعترف الكابتن: "معك حَقٌّ، ربما ارتكبنا ذلك الخطأ حقًّا". اقترَحَت تروت بأسف: "أو ربما كان علينا إحضار عدد من توت اللاڤندر معنا، بدلًا من الكثير من التوت الأحمر".

لم يَرُدَّ كابتن بيل على تصريح تروت الأخير، يمكن لأنه لا يوافق تمامًا على ما قالته الفتاة الصغيرة، أو لأنه استغرق في تفكير عميق، وأخيرًا قال بغموض: "إذا كان التوت الأحمر يجعل الأشياء تنمو وتكبر، بغَضِّ النظر عن إذا أكلت توت اللاڤندر أم لا. فأعتقد أني وجدتُ الحَلَّ لمشكلتنا". لم يفهم أيُّ شخص منهم معنى كلام البحار العجوز، وانتظروا أن يُقدِّم شرحًا أو تفسيرًا لما يقصد. ولكن تصاعَدَت أصوات من الخارج تقول: "ها... أنتم... أطلِقوا سراحنا. أطلقوا سراحنا. لماذا تُهينونا بهذا الشكل. يا أذن الجبل. تعال وساعِدْنا".

جرت تروت للنافذة ونظرت لمصدر الأصوات وقال: "إنها الطيور التي أَسَرتَها يا كابتن. لم أكن أعرف أن الطيور تتكلَّم". قال أذن الجبل: "أوه. طبعًا. طيور أرض مو متعلِّمة"، ووَجَّه حديثه للكابتن: "اسمح لي

بسؤالك ماذا ستفعل بهذه المخلوقات المسكينة؟"، رَدَّ البَحَّار: "سوف ترى"، وخرج من المنزل حيث الطيور ترفرف وتشتكي من ربطها بالحبال التي لا تسمح لها بالطيران.

هتف الكابتن بصوت جهوري: "اسمعوني"، وعلى الفور سكنت الطيور، وأكمل: "نحن ثلاث غرباء في أرضكم ونريد الذهاب إلى بلد أخرى. ونحن نرغب في ثلاثة طيور منكم أن تحملنا. نحن نعلم أننا نطلب منكم خدمة كبيرة، ولكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا التفكير فيها للخروج من هذا المكان، إلَّا طبعًا بالمشي، وأنا لست جيِّدًا في المشي لمسافات طويلة بسبب ساقي الخشبية. بالإضافة أن تروت وبرعم باهر صغيرين لكي يتحمَّلا رحلةً طويلة ومرهقة لا نعرف نهايتها. الآن، هل لي أن أعرف أي ثلاثة منكم المستعدَّة أن تتحمَّل تلك المَهمَّة؟".

نظرت الطيور إلى بعضها البعض كما لو كانت مُندَهِشَة للغاية. ثم أجاب واحدٌ منها: "لا بُدَّ أنَّكَ رجل عجوز مجنون. لا أحد منَّا كبير بما يكفي للطيران حتى مع أصغر واحدٍ منكم".

قـدَّم لهـم البحـار وعـدًا بصراحـةٍ وأمانـة: "أنـا سـأهتمُّ بمسـألة الحجـم! لـو ثلاثـة منكـم وافَقـوا على حملنـا. سـأجعل كلَّ واحِـدٍ منهـا كبيـرًا وقويًّـا كفايـة ليقـوم بتلـك المَهمَّـة؛ لذلـك لا ينبغـي أن تقلقـوا بشـأن ذلـك إطلاقًـا".

نظَـرَت الطيـور إلى وعـد البَحَّـار بجدِّيَّـة، فهـي تعيـش فـي بلـد سـحري، وليـس عندهـا شَـكٌّ فـي أن مـا قالـه الرَّجُـل العجـوز برِجـلٍ واحـدة قابِـلٌ للتحقيـق. بعـد قليـل سـأل واحـد منهـا: "لـو نمـا حجمنـا كبيـرًا، هل سـنظل هكـذا للأبـد؟"، ردَّ الكابتـن بحسـم: "أعتقـد ذلـك"، ثرثَـرَت الطيـور فيمـا بينهـا قليـلًا، ثـم قـال آخـر: "أنـا مُسـتعدٌّ، أنـا أوَّل واحـد"، بعـده قـال آخـر: "وأنـا الثانـي"، وبعـد تَـردُّد قـال آخـر: "وأنـا الثالـث".

احتمـال تَقـدُّم عـدد أكبـر مـن الطيـور للتطـوُّع لهـذه المهمـة؛ فالـكل يرغـب أن يكـون أكبـر وأقـوى، لكـن الكابتـن احتـاج ثلاثـة طيـور فقـط لتنفيـذ خطتـه. بينمـا كان الكابتـن يفـك قَيـدَ الطيـور الباقيـة وإطـلاق سـراحها، تحدَّثَـت تـروت مـع الطيـور الثلاثـة، وعَلِمَـت أنهـم أبنـاء عمومـة، وأنهـا غـادرت أعشاشـها منـذ عـدة أسـابيع. كان حجـم الواحـد فيهـا أكبـر قليـلًا مـن حجـم صقـر، وتمتلـك نفـس نـوع الريـش اللامـع. لقـد كانـت طيـورًا صغيـرة قويـة، ذات عيـون صافيـة وشـجاعة، فقـرَّرَت الفتـاة الصغيـرة أنهـا أجمـل مخلوقـات ذات ريـش التـي رأتهـا علـى الإطـلاق. أخـرج كابتـن بيـل الصنـدوق الخشـبي بالغطـاء المنزلـق مـن جيبـه فوجـد فيهـا الثـلاث حبَّـات التـوت البنفسـجية لا تـزال فـي حالـة جيِّـدة.

نـاوَلَ كُلٌّ واحـد مـن الطيـور الثلاثـة حبَّـة تـوت، وقـال: "كُلُـوا". أطاعـوه، وفـي ثـوانٍ قليلـة، كبـر حجمهم تدريجيًّـا باسـتمرار، لدرجة أن تروت خَشِـيَت أنهـم لـن يتوقفـوا عـن النمـو، لكـن أخيـرًا توقَّفـوا عـن النمـو، وأصبحـوا أكبر مـن صديقهـم الأورغ، وفـي حجـم نعامـة كبيـرة الحجـم. هـذه النتيجـة أسـعَدَت كابتـن بيـل، وقـال: "يمكنهـا أن تحملنـا الآن". تَبَختَـرَت الطيـور الثلاثـة فـي فَخـرٍ وخُيَـلاء، سـعيدة بحجمهـا الجديـد.

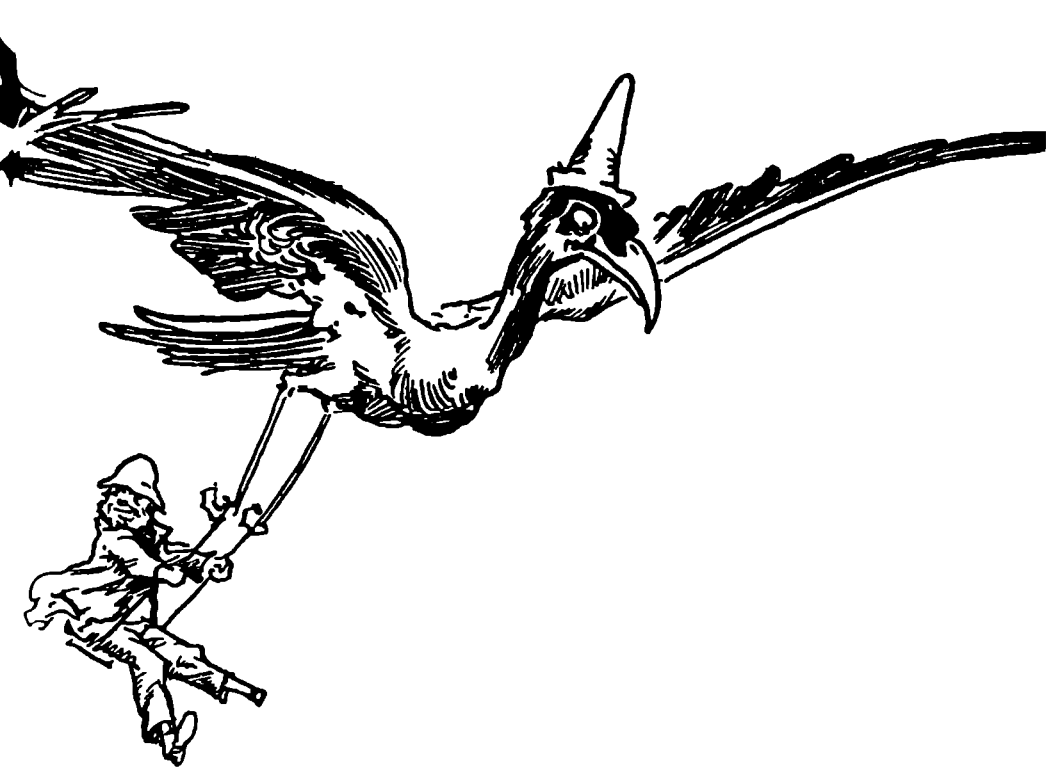

نظرت تروت لهم مُتشكِّكة، وقالت: "أنا لا أعرف كيف سنركب على ظهورهم بدون خطر السقوط أثناء الطيران"، أجاب كابتن بيل: "لن نركب عليهم. ولكني سأصنع أرجوحةٍ لكلٍّ واحد فينا ليركب فيها". طلب من أذن الجبل حبالًا، لكن الرجل لم يكن لديه حبال، ولكنه عرض عليه بذلةً قديمةً رماديَّة، يمكن تفيده. والفعل وجدها الكابتن مفيدةً، فقطع القماش ولفَّه بحيث يصبح قويًّا مثل حبلٍ متين. ربط كل طرف في رِجْل طائر وصنع أرجوحة تتدلَّى تحت قدميه. قام برعم باهر برحلة تجريبية في إحداها لإثبات أنها آمنة ومُريحة.

عندما انتهت الترتيبات، سأل أحد الطيور: "إلى أين تريد أن نأخذك؟"، قال البَحَّار: "اتبعوا الأورغ. سيكون قائِدَكم في الرحلة، أينما يَطِرْ طيروا وراءه، وأينما يهبط اهبطوا معه، هل هذا واضحٌ لكم؟". وافَقَت الطيور على ذلك.

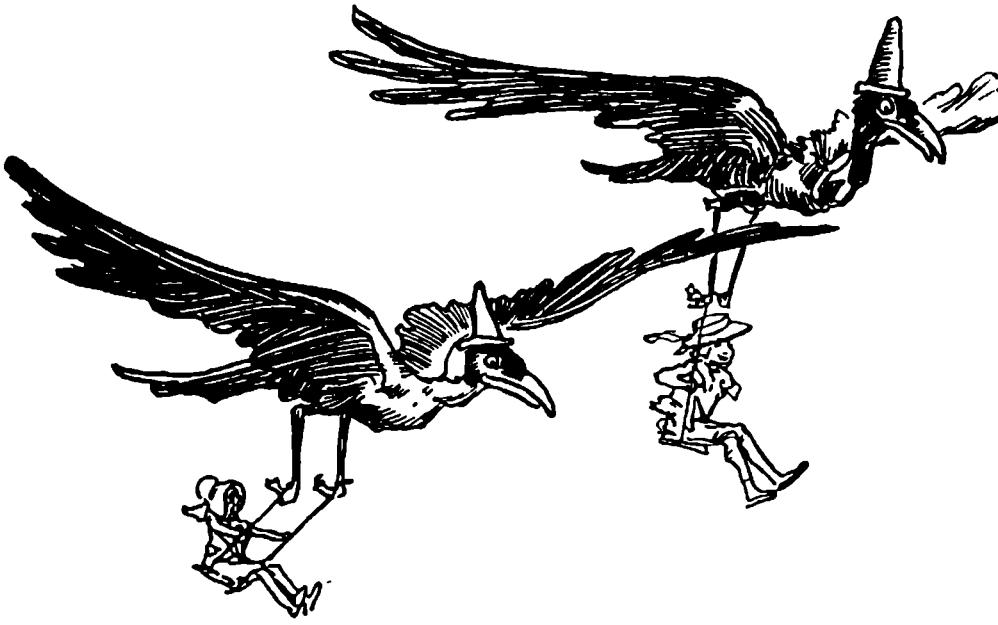

تَشاوَر البَحَّار مع الأورغ الذي قال: "في طريقنا لهنا، لاحَظتُ صحراء عريضة رمليَّةً على يساري، لم يكن عليها أي شيء حي"، رَدَّ البحَّار: "إذن من الأفضل الابتعاد عنها"، قال: "بالعكس. في أسفاري العديدة، كنتُ دائمًا ما أجد أكثر البلدان جَمالًا وسط الصحاري؛ لذا فأنا أرى أنه من الحكمة أن نطير فوق الصحراء ونستكشف ما وراءها؛ لأن في الاتجاه الذي أتينا منه يوجد المحيط -كما تعلمون- وفي نفس الاتجاه للأمام توجد الصحراء. ونحن نعلم أن خلف هذا الجبل تقع أرض مو التي لا نهتمُّ باستكشافها، والناحية الأخرى، كما ترون، أرض خالية تمامًا منبسطة شاسعة من السهول. بالنسبة لي أقترح أن نطير باتِّجاه الصحراء". قال كابتن بيل لشريكته الفتاة: "ما رأيك يا تروت؟"، فقال: "الأمر سيَّان بالنسبة لي". لم يفكر أحد أن يأخذ رأى برعم باهر؛ لذا تقرَّر الطيران فوق الصحراء.

وَدَّعـا أُذُن الجبـل وشـكروه علـى لُطفـه وحُسـن ضيافتـه. ثـم ركـب كُلٌّ واحـد فيهـم فـي أرجوحـة أسـفل كلِّ طائـر وطلبـوا منهـم أن يتبعـوا الأورغ. أذهـل ذيـل الأورغ الطيـورَ العملاقـة فـي البدايـة، لكـن بعـد أن ارتفـع فـي الهـواء مسـافة قصيـرة، صعـدوا وراءه، حامليـن الـرُّكَّابَ، بسـهولة ويسـر، وحلَّقـوا بأجنحـة قويـة فـي أعقـاب قائدهـم الجديـد.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

الفصل التاسع

مملكة جينكسلاند.

شعرت تروت بالراحة في ركوبتها بأفضل ممَّا تَوقَّعَت، على الرغم من تَأَرجُح الأرجوحة لدرجة أنها اضطرَّت إلى الإمساك بها بقوَّة بكلتا يديها. الطائر الذي حمل أرجوحة كابتن بيل، طار وراء الأورغ، وتبعهم طائر تروت، وجاء وراءهم طائرٌ برعم باهر. لقد كان موكبًا مهيبًا للغاية، ولكن لسوء الحظ لم يكن هناك مَن يراه؛ فقد تَوَجَّه الأورغ مباشرة نحو الصحراء الرملية العظيمة، وبعد بضع دقائق من انطلاقها حلَّقَت عاليًا فوق المساحات الواسعة، حيث لا يمكن أن يوجد شيء حيٌّ.

فكَّرَت الفتاة أنه سيكون موقف سيئًا للغاية أن تفقد أحد الطيور عزمها أو تخور قواها، أو حتى قماش الأرجوحة يتمزَّق، فوق تلك الصحراء التي تبدو مُميتةً. ولكنها لم تشعر بالتوتُّر والقلق، فقد

كانت واثِقةً من قوَّة الطائر الضخم ذي الريش اللامع الذي يحملها، وكذلك واثقة في معرفة كابتن بيل بكيفية لَفِّ عُقدَة حبال الأرجوحة وتثبيتها جيِّدًا. ولم يكن من السهل عدم التفكير أن تلك الصحراء كبيرة للغاية، فلم يكن هناك ما يُخفِّف من رتابة الرؤية، فقد كانت كل دقيقة تبدو وكأنها ساعة، وكل ساعة تبدو وكأنها يوم. بالإضافة إلى تَصاعُد أبخرة وغازات كريهة من الرمال، والتي كان من الممكن أن تكون قاتِلةً للمسافرين لو لم تكن الصُّحبة مُرتَفِعة في الهواء.

عندما رفعت نظرها من التطلُّع في الصحراء، ونظرت أمامها، رأت سحابة كبيرة من الضباب الوردي، وقبل أن تسأل نفسها عن ماهية هذا الساتر الوردي، اخترقها الأورغ بجرأة، وتبعته الطيور الأخرى حامِلةً الصُّحبَة بدون تَردُّد، لم تتمكَّن تروت من رؤية شيء لفترة من الوقت، تمامًا مثل الطائر الذي يحملها، ولكنه اتَّبع غريزته وطار بشكل مستقيمٍ في نفس خط الأورغ، وهكذا فعلت باقي الطيور، لم يستغرق الأمر لحظات معدودة، حتى عبَرَا الجانب الآخر من سحابة الضباب الوردي، وعندها شاهَدَت الفتاة أجمل منظر طبيعي، ممتدًّا بقدر ما يمكن أن تصل إليه عيناها.

رأت غابة كثيفة، وتلالًا خضراء، وحقولًا من الفاكهة، ونوافير، وأنهارًا، وبحيرات؛ وتناثرت مجموعات لطيفة من المنازل الجميلة مع عدد قليل من القلاع والقصور الكبرى على الأرض المكتَشَفَة حديثًا على حافَّة الصحراء. فوق كل هذه المناظر الطبيعية المبهجة -التي ظهرت وكأنها صورة مرسومة رائعة من أرجوحة تروت المعلَّقة في الطائر- رأت توهُّجًا ورديًّا كما نراه أحيانًا في الغرب عند غروب الشمس، ولكن الغريب، أنه لم يكن في الغرب فقط، ولكن في كل مكان.

توقَّف الأورغ مؤقَّتًا للدوران ببطء فوق هذا البلد الجميل؛ ليختار مكانًا مُناسِبًا للهبوط، وتبعته الطيور الأخرى. ثم، باتِّفاق واحد، شكَّل الأربعة مجموعة وتوجَّهوا بهدوء إلى الأسفل. هبط الأورغ والطيور بسلام، ونزل الرُّكَّاب الثلاثة في الحال من أراجيحهم.

صاحت تروت بحماسة: "أوه، كابتن بيل، أليس هذا رائعًا؟ كم نحن محظوظين لاكتشاف هذا البلد الجميل!". ظلَّت تروت تتلفَّت حولها قليلًا وقالت بإعجاب: "تلك البلد تبدو فخمة إلى حدٍّ ما". أجاب البحَّار القديم: "لكننا لا نعرف، حتى الآن، كيف هُم شعبها؟"، قالت بجدِّيَّة: "لا يمكن لأحدٍ أن يعيش في مثل هذا البلد دون أن يكون سعيدًا ولطيفًا- أنا متأكِّدة من ذلك. ألا تعتقد ذلك، برعم باهر؟".

أجاب الصبي: "أنا لا أعتقد في شيء، حتى الآن. يتعبني التفكير، وفي النهاية كل حاجة تِطلَع على فشوش. حينما نتعرف على الناس هنا، سنعرف حالهم وأحوالهم. لن يتطلَّب ذلك مني التفكير ولن يُغيِّر من الأمر شيئًا"، وافَقَه الأورغ: "هذا معقول جدًّا". ثم قال بجدية: "لكن اسمحوا لي بأن أتقدَّم باقتراح. بينما تتعرَّفون على هذه البلد الجديدة، التي تبدو وكأن بها كل ما يحتاجه المرء ليكون سعيدًا. أرغب في الطيران بمفردي وأحاول العثور على موطني في الجهة المقابلة من تلك الصحراء الكبيرة. وإذا عثرت عليها، سأبقى فيها بالطبع. ولكن لو فشلت في العثور على أورغلاند، سأعود لكم بعد أسبوع. لأرى إذا كنتم في حاجة لمساعدتي".

شعرت الفتاة بالأسف لأن رفيقهم الغريب سيغادرهم، ولكن لم يستَطِع أحدهم أن يعترض على خطَّة الأورغ، فودَّعَهم وارتفع بخفَّة في الهواء، دار مرتين فوقهم واتَّخذ طريقًا وطار بعيدًا حتى اختفى عن أنظارهم. أمَّا الطيور الثلاثة الأخرى فطلبوا الإذن للعودة لمنازلهم لأنهم متلهِّفون لكي ترى عائلاتهم كم أصبحوا أكبر وأقوى. شكرهم كابتن بيل وتروت وبرعم باهر بامتنانٍ لمساعدتهم القَيِّمة، وفورًا حَلَّقت الطيور عائِدةً لأوطانها في أرض مو.

أصبح الثلاثة بمفردهم في تلك الأرض الغريبة، فاختارت تروت ممرًّا، وشرع الرفاق الثلاثة في المشي عليه، اعتقدت الفتاة أن الطريق سوف يوصلهم إلى قصر كبير رائع شاهدته من فوق أثناء الطيران ورحلتها إلى هنا، والذي كانت أبراجه أعلى بكثير من قِمَم الأشجار

التي تحيط به. لم يكن بعيدًا جدًّا؛ لذا ساروا بتمهُّل وهدوء، مُعجَبين بالسراخس والزهور الجميلة المصطفَّة على الممر، ويستمعون بغناء العصافير والنقيق الرقيق للجراد.

بعد فترة قصيرة، صعد الممر على تَلٍّ صغير، وفي وادٍ يقع خلف التل شاهدوا كوخًا صغيرًا محاطًا بحديقة زهور وأشجار الفاكهة. وحينما اقتربوا منه، رأوا في شرفة الكوخ المظلَّلة امرأةً لطيفة تجلس وسط مجموعة من الأطفال، تحكي لهم القصص. على الفور انتبه الأطفال للغرباء، فأسرعوا إليهم وعلى وجوههم تعلو أمارات الدهشة والاستغراب. أصبحت تروت وأصدقاؤها مركَزَ مجموعة فضوليين صغار، يتحدَّثون بحماس. فقد بدا أن ساق كابتن بيل الخشبية تثير استغراب الأطفال، حيث لم يتمكَّنوا من فهم سبب عدم وجود ساقين من اللحم. بدا أن هذا الاهتمام يرضي البَحَّار العجوز، الذي كان يربِّت

على رؤوس الأطفال بلُطفٍ، ثم رفع قُبَّعته للمرأة وسأل: "هل يمكنك أن تخبرينا، يا سيدتي، ما هذا البلد بالضبط؟".

حدَّقَت بشدة في كل الغرباء الثلاثة وهي تجيب بإيجاز: "جينكسلاند". صاح كابتن بيل بنظرة مُتحيِّرة: "وأين جينكسلاند، من فضلك؟"، قالت: "في مقاطعة جودلينج"، هتَفَت تروت، في إثارة مفاجئة: "هل تقصدين أن تقولي أن هذه هي مقاطعة جودلينج في أرض أوز؟". أجابت المرأة: "بالتأكيد، كل الأراضي المحاطة بالصحراء العظيمة هي أرض أوز؛ ولكن يؤسفني أن أقول إن جينكسلاند مفصولة عن بقية مقاطعة جودلينج بهذه السلسلة من الجبال العالية التي ترينها هناك، والتي لها جوانب شديدة الانحدار بحيث لا يستطيع أحدٌ عبورها؛ لذلك نحن نعيش هنا جميعًا معزولين، ويحكمنا مَلِكٌ خاصٌّ بنا، بدلًا من الأميرة أوزما".

قال برعم باهر: "لقد زُرتُ أرض أوز من قبل، لكنني لم آتِ إلى هنا من قبل" سألته تروت: "هل سمعت عن جينكسلاند من قبل؟"، قال برعم باهر: "لا". أكَّدَت المرأة: "إنها على خريطة أوز، وهي بلد رائعة، أؤكِّد لكم. إلا إذا.."، ثم توقَّفَت للنظر حولها بخوفٍ وتَردَّدَت: "إلَّا إذا.."، تردَّدَت مرَّةً أخرى، وكأنها لا تجرؤ على مواصَلة حديثها. سأل كابتن بيل: "إلا إذا ماذا؟ يا سيدتي؟".

أرسلت المرأة الأطفال إلى المنزل، ثم اقتربت من الغرباء وهمَسَت: "إلَّا إذا كان لدينا مَلِكٌ مختلفٌ آخر، سنكون سعداء للغاية وراضين". سألت تروت بفضول: "ما الأمر مع مَلِكِكم؟"، تراجَعَت إلى شرفة منزلها، فقد بدت خائِفةً من قول المزيد، وقالت بحرصٍ زائد: "الملك يعاقب بشدَّة أي خيانة من رعاياه". سأل برعم باهر ببراءة: "ما الخيانة؟".

أجاب كابتن بيل: "في هذه الحالة، الخيانة هي مُعارضة الملك؛ أعتقد أننا نستنتج تصرُّفاته الآن كما لو أن السيدة قالت المزيد". سألت تروت بلُطفٍ المرأةَ: "لو سمحتِ، إذا كان بإمكانك تقديم لنا شيئًا لنأكله. لم يكن لدينا لنأكله سوى الفيشار وعصير الليمون لفترة

طويلة"، أجابت المرأة بسرور: "بالطبع يمكنني تقديم لكم الطعام، يا عزيزتي"، ودخلت كوخها سرعان ما عادت بصينيَّةٍ مُحمَّلة بالشطائر والكعك والجُبن. قام أحد الأطفال بملء دلو من الماء الصافي البارد من نبع قريب، وأكل الرفاق الثلاثة بشهيَّةٍ واستمتعوا بالطعام اللذيذ كثيرًا.

عندما انتهى برعم باهر من تناول الطعام، ملأ جيوب سترته بالكعك والجبن، ولم يعترض أحد على ما فعل، حتى الأطفال. في الواقع، بدا أنهم جميعًا سعداء برؤية الغرباء يأكلون؛ لذا فكَّر كابتن بيل أنه بغَضِّ النظر عن شكل ملك جينكسلاند، فأهلها أثبتوا له أنهم وَدودون ومضيافون؛ لذا تَشجَّع بسؤالها وهو يشير بيده نحو الأبراج التي تعلو فوق الأشجار: "لمن هذه القلعة، يا سيدتي؟".

قالت: "إنها ملك جلالة الملك كرول"، ردَّ: "أوه، حقًّا، وهل يعيش هناك؟"، فأجابت: "عندما لا يخرج للصيد مع حاشيته الشرسة وچنرالات الحرب". استفسرت تروت: "هل هو في رحلة صيد الآن؟"، قالت

المـرأة: "لا أعـرف يـا عزيزتـي. كلمـا قَـلَّ مـا نعرفـه عـن تصرُّفـات الملـك كُنَّـا أكثـر أمانًـا". كان مـن الواضـح أن المـرأة لا تحـبُّ التحـدُّث عـن الملـك كـرول، وهكـذا، بعـد أن انتهـوا مـن وجبتهـم، وودَّعوهـا وعـادوا للسَّـير علـى الطريـق.

سـألت تـروت: "ألا تعتقـد أنـه مـن الأفضـل الابتعـاد عـن قلعـة الملـك، يـا كابتـن؟"، قـال: "أوكـي، سيكتشـف الملـك كـرول، عاجـلًا أم آجِـلًا، أننـا فـي بلـده؛ لذلـك ربمـا خيـرٌ أن نواجِـهَ مِـن الآن. ربمـا لـن يكـون سـيئًا للغايـة كمـا تعتقـد تلـك المـرأة. لا يتمتَّـع الملـوك دائمًـا بشـعبية مـع شـعوبهم، كمـا تعلميـن، حتـى لـو بذلـوا قصـارى جهدهـم".

قـال برعـم باهـر: "أوزمـا لهـا شـعبية كبيـرة ومحبوبـة"، قالـت تـروت بتأمُّـل، وهـي تمشـي بجانـب الصبـي: "أوزمـا تختلـف عـن أي حاكـم آخـر، حسـبما سـمعت. ورغـم كل شـيء، نحـن حقًّـا فـي أرض أوز، حيـث أوزمـا تحكـم كل الملـوك تحـت سُـلطَتِها. ولـم أسـمع أبـدًا عـن أي شـخص يتـأذَّى تحـت نفوذهـا، أليـس كذلـك، يـا برعـم باهـر؟"، أجـاب: "ليـس حينمـا تعلـم بمـا يحـدث، يُخيَّـل لـي أن تلـك الطيـور هبطـت بنـا فـي المـكان الخطـأ. ربمـا كان ينبغـي أن تنقلنـا مباشـرة عبـر هـذه السلسـلة مـن الجبـال إلـى مدينـة الزمـرد".

قـال كابتـن بيـل: "هـذا صحيـح. لكنهـم لـم يفعلـوا؛ لـذا يجـب أن نحقِّـق أقصـى اسـتفادة مـن وجودنـا فـي جينكسـلاند. فمـن الأفضـل ألَّا نخـاف". قـال برعـم باهـر: "أوه، أنـا لسـت خائفًـا"، وتوقَّـف لمشـاهدة أرنـب ورديٍّ أخـرج رأسـه مـن حفـرة فـي حقـل قريـب. أضـاف تـروت: "ولا أنـا، يـا كابتـن، أنـا سـعيدة ومتحمِّسـة جـدًّا لوجـودي فـي أرض أوز الخياليـة الرائعـة، لدرجـة أننـي أعتقـد أننـي الفتـاة الأكثـر حظًّـا فـي كل العالـم. تعيـش دورثـي فـي مدينـة الزمـرد، كمـا تعلمـون، وخيـال المآتـة والحطَّـاب الصفيـح والمتشـرِّد، والبقيَّـة، الذيـن سـمعنا الكثيـر عنهـم- ناهيـك عـن أوزمـا، التـي يجـب أن تكـون أحلـى وأجمـل فتـاة فـي كل العالـم!".

نصحها برعم باهر: "خذي نَفَسكِ يا تروت، ليس عليكِ أن تقولي كل شيء في نفس واحد". قال كابتن بيل بجدية: "مدينة الزمرد، التي تتكلمون عنها، تَصادَف أن تكون على الجانب الآخر من تلك الجبال، وقيل لنا إنه لا أحد قادِرٌ على عبورها. لا أريد إحباطكم، لكننا منفصلون تمامًا عن دورثي وأوزما، كما لو كُنَّا نعيش في كاليفورنيا".

كان هناك الكثير من الصِّحَّة فيما قاله كابتن بيل، فخَيَّم عليم صمتٌ لبعض الوقت. وصلوا أخيرًا إلى بستان الأشجار الفخمة المحاذية لأراضي قلعة الملك. عندما مَرُّوا في منتصف الطريق تناهى إلى مسامعهم صوت النحيب -مثل صوت شخصٍ يَمرُّ بضائِقةٍ مريرة- إلى آذانهم وجعلهم يتوقَّفون فجأة.

الفصل العاشر

بون، صبي البستاني.

أوَّل مَـن اكتشـف مصـدر صـوت النحيـب هـو برعـم باهـر. عثـر علـى شـابٍّ مسـتلقٍ علـى وجهـه تحـت شـجرة عريضـة بالقـرب مـن الطريـق وجسـده يرتعـش مـن بـكاء مريـر لا يتوقَّـف. كان يرتـدي ثوبًـا بُنِّيًّـا طويـلًا وصنـدلًا بسـيطًا، ويظهـر عليـه أنـه رفيـق الحـال ويعيـش حيـاة متواضِعـةً. كان حاسِـرَ الـرأس يكشـف عـن شـعر بُنِّـيٍّ مُجعَّـد، فسـأله: "عـلامَ تبكـي وتبتئـس؟"، صـاح الشـاب مـن بيـن تَنهِداتـه: "علـى قلبـي الجريـح!".

سـأله الصبـي ببـراءة: "ألا يمكنـك الحصـول علـى واحـد آخـر سـليم؟"، قـال الشـاب مـن بيـن دموعـه: "لا أريـد آخـر، فهـو قلبـي!". بحلـول هـذا الوقـت وصلـت تـروت وكابتـن بيـل إلـى المـكان، وانحنـت الفتـاة تُربِّـت علـى كتفـه، وقالـت بصـوت مُتعاطِـف: "أخبِرنـا بمشـاكلك وربمـا يمكننـا مسـاعدتك".

وقف الشاب على قدميه، لكنه استمر في فرك يديه وهو يحاول مسح دموعه. اعتقدت تروت أنه كان شجاعًا جدًّا للسيطرة على هذا الألم المروِّع. وقال: "اسمي بون. وأنا صبي البستاني"، قالت تروت: "إذًا فإن بستاني الملك هو والدك، على ما أعتقد"، رَدَّ: "ليس والدي، ولكن سيدي"، وأكمل: "البستاني يعطي الأوامر، أنفِّذ وأقوم بأعمال البَستَنَة والفِلاحة. ولم يكن خَطَئي، على الأقل، أن الأميرة جلوريا وقعت في حُبِّي". هتَفَت الفتاة الصغيرة: "حقًّا؟"، قال برعم باهر وهو يحدِّق في الشاب: "لا أفهم السبب". استفسر كابتن بيل: "ومَن تكون الأميرة جلوريا؟".

قال بون: "ابنة أخت الملك كرول، وهو وليُّ أمرها. تعيش في القلعة وهي أجمل وأحلى فتاة في جميع أنحاء جينكسلاند. إنها مولَعَة بالزهور، وتتمشَّى في الحدائق مع مرافقيها دائمًا، في مثل هذه الأوقات، حينما كنت أعمل، اعتدت أن ألقي عليه نظرة كلما مرَّت. ذات يوم نظرتُ إليها ووجدتها تحدِّق فيَّ بنظرةٍ رقيقة للغاية في عينيها. اقترَبَت مني، بدأت في التحدُّث معي، قالت إنني لمستُ قلبها كما لم يفعل أيُّ شابٍّ آخر. قبَّلتُ يدها. وعندها جاء الملك من منعطف الممشى، وضربني بقبضته وركلني بقدمه، ثم قبض على ذراع الأميرة وسحبها بوقاحة إلى القلعة".

قالت تروت لاهِثَةً بسخط: "أليس هذا فظيعًا!"، قال بون: "إنه ملك مُتكبِّر للغاية؛ لذلك كان ما فعله أقلُّ ممَّا يمكن أن أتوقَّعه. حتى ذلك الوقت لم أفكر في حُبِّ الأميرة جلوريا، لكنني أدركت أنه سيكون من غير المهذَّب عدم ردِّ حُبِّها، وهو ما فعلته. كنَّا نتقابل في المساء، بين الحين والآخر، وأخبرتني أن الملك يريدها أن تتزوَّج من رَجُلٍ من حاشية الملك ثريٍّ، يُدعى جنجلي جول، الذي يبلغ من العمر ما يكفي ليكون والدها. لقد رفضته 39 مرة، ولا يزال مستمرًّا في جلب العديد من الهدايا الثمينة لرشوة الملك. بالإضافة، أمر الملك كرول ابنةَ أخته بالزواج من الرجل العجوز، لكن الأميرة أكَّدَت لي، مرارًا وتكرارًا، أنها

ستتزوَّجني فقط. لقد حدث هذا الصباح عند كرم العنب، وبينما كنت أُقبِّل يد الأميرة باحترام، قبض عليَّ اثنان من حُرَّاس الملك وضرباني بشدَّة أمام عينَيْ جلوريا، وأجبرها الملك بنفسه على مشاهدة ما يحدث". دمَعَت عين تروت وهي تقول: "لماذا، هذا الملك يجب أن يكون وحشًا!"، قال بون بحزن: "إنه أسوأ من ذلك"، قاطعه كابتن بيل الذي كان يستمع له باهتمام: "لا يقع اللوم على الملك كثيرًا، فرغم كل شيء. الملوك هم أناس فخورون جدًّا بأنفسهم؛ لأنهم في مكانه متميِّزة، ونفوذ واسع، ويشعرون بكبرياء، وليس من المعقول أن تتزوَّج أميرةٌ مَلَكيَّة من صبي بستاني عادي".

أيَّد برعم باهر كلام كابتن بيل: "الأميرة يجب أن تتزوَّج أميرًا". احتجَّ بون قائلًا: "أنا لست صبيَّ بستانيٍّ عادي، إذا حصَلتُ على حقوقي الملكية، فيجب أن أكون الملكَ بدلًا من كرول؛ فأنا أمير، ومن العائلة الملكية". سأل كابتن بيل: "كيف؟"، قال "والدي كان الملكَ، وكرول رئيسَ وزرائه. ولكن ذات يوم أثناء رحلة صيد، تشاجَرَ الملك فْيرسي -وهذا هو اسم والدي- مع كرول، وقام بضربه بلُطفٍ على أنفه بأطراف أصابعه؛ ممَّا أثار استفزاز كرول اللئيم، لدرجة أنه دفع والدي إلى الوراء، فوقع في بِركَة وَحلٍ عميقة. وفي الحال ألقى كرول حجرًا ثقيلًا أطبق على والدي المسكين لدرجة أن جسده لم يستَطِع أن يرتفع مرَّةً أخرى إلى السطح. من المستحيل قتلُ أيِّ شخص في هذه الأرض، كما تعلمون، ولكن عندما حبست الحجارة والدي في الوحل في قاع البركة العميقة ولم يتمكن من الهروب، لم يَعُد ذا نفع لنفسه أو للعالم؛ فكان كما لو قد مات. حينما عرف كرول ذلك نَصَّب نفسه ملكًا، واستولى على القلعة الملكية، وطرد جميع حاشية والدي. كنت صبيًّا صغيرًا وقتها، لكن عندما كبرت، أصبحت بستانيًّا. لقد خدَمتُ الملك كرول دون عِلمه بأنني ابن الملك الذي تخلَّص منه بقسوة".

قالت تروت بعد نَفَسٍ طويلٍ: "هذه قصة مثيرة بشكل مخيف! لكن أخبرنا، يا بون، مَن هو والد جلوريا؟". بون: "أوه، لقد كان الملكَ قبل والدي، وكان والدي رئيسَ وزير الملك كيند، والد جلوريا. كانت طفلةً صغيرة فقط عندما سقط الملك كيند في الأخدود الكبير الذي يقع على هذا الجانب من الجبال، نفس الجبال التي تفصل جينكسلاند عن بقية أرض أوز. يُقال إن هذا الأخدود العظيم ليس له قاع. ولكن، مهما كان الأمر، لم يُر الملك كيند مرَّةً أخرى، وأصبح والدي ملكًا مكانه".

قال تروت: "يبدو لي أنه لو حصلت جلوريا على حقوقها لأصبحت هي ملكة جينكسلاند". اعترف بون: "حسنًا، كان والدها ملكًا، وكذلك كان والدي؛ لذلك نحن متساوون في المكانة، على الرغم من أنها سيدة نبيلة وأنا صبيٌّ بستاني متواضِع. لا أستطيع أن أفهم لماذا إذا أردنا الزواج ألَّا يُسمح لنا بذلك".

علَّق كابتن بيل: "يا لها من فوضى، إذا نظرنا لها بصورة كاملة، لكننا في طريقنا لزيارة الملك كرول، وإذا سنحت لنا الفرصة، أيُّها الشاب، فسنقول في حقِّكَ كلمة طيبة". قال بون متوسِّلًا: "إذا سمحتم، أرجوكم!". استفسر برعم باهر: "هل كان الضرب الذي تعرَّضتَ له هو الذي جرح قلبَكَ؟".

قال بون: "لقد انجرح قلبي من تلك المعاملة، بالطبع". قال برعم باهر وهو يلقي بحصاةٍ على سنجاب أعلى شجرة: "لو كنتُ مَكانكَ، سأصلح قلبي. يجب أن تمنح جلوريا قلبًا سليمًا مثل القلب الذي تمنحك إيَّاه". قال كابتن بيل: "هذا منطقيٌّ جدًّا"؛ لذلك تركوا صبيَّ البستاني واقفًا بجانب الطريق، واستأنفوا رحلتهم نحو القلعة.

الفصل الحادي عشر

الملك اللئيم وجنجلي جول.

عندما اقترب أصدقاؤنا من مدخل القلعة الكبير، شاهَدوا عددًا من الجنود يرتدون زيًّا مهيبًا مُوحَّدًا، ومُسلَّحين بالسيوف والرماح يحرسون البوَّابة. توجَّه كابتن بيل مباشرةً إليهم وسأل: "هل جلالة الملك موجود في القلعة؟". جاء الرَّدُّ قاسيًا وصارِمًا بصوتٍ جَهوَريٍّ: "جلالة الملك كرول العظيم والمجيد موجود حاليًا في قلعته المَلَكيَّة". أكمل كابتن بيل: "إذًا أعتَقِد أننا سندخل له لنقدِّم له التحية". محاولًا الدخول من البوابة الكبيرة. لكنَّ جُنديًّا أوقفه وقطع طريقه برُمحٍ وهتف بصوت جهوري حاد: "مَن أنتم، وما هي أسماؤكم، ومن أين أتيتم؟".

قال البحَّار: "لن تعرف حتى لو قلنا لك، نحن غرباء في أرض غريبة". قال الجندي وهو يخفض رمحه: "أوه، إذا كنتم غرباء سيسمح لكم بالدخول، جلالة الملك مُغرَم بالغُرَباء". سألت تروت: "هل يأتي

الكثير من الغرباء إلى هنا؟". قال الرجل: "أنتم أوَّلُ مَن جاء إلى بلدنا، لكن جلالة الملك كثيرًا ما قال إنه إذا وصل الغرباء إلى جينكسلاند، فسوف يحرص على أن يحصلوا على وقتٍ مثيرٍ". حَكَّ كابتن بيل ذقنه بعناية. فلم يكن مُعجَبًا جدًّا بهذه الملاحظة الأخيرة. لكنه قرَّر أنه نظرًا لعدم وجود طريقة للهروب من جينكسلاند؛ سيكون من الحكمة مواجهة الملك بجرأة ومحاولة كسبه لصالحهم. فدخلوا القلعة برفقة أحد الجنود.

كانت بالتأكيد قلعةً رائعة، بها العديد من القاعات الكبيرة الفخمة، وجميعها مؤثَّثة بشكل جميل، والممرَّات مُتعرِّجة ومُزَخرَفة بشكل رائع. قادهم الجندي إلى ساحة مفتوحة احتلَّت مركز المبنى الضخم. كانت مُحاطةً من كل جانب بجدران ذات أبراج عالية، وتحتوي على أحواض زهور متنوِّعة ونوافير وممرَّات من الرخام الملوَّن المعَشَّقة في تصميمات غريبة. في مكان مفتوح بالقرب من منتصف الساحة الرخامية، رأوا مجموعة من رجال وسيدات البلاط، أحاطوا برجُلٍ نحيف يرتدي على رأسه تاجًا مُرصَّعًا بالجواهر. كان وجهه صلبًا ومُتجهِّمًا، ومن الجفنين نصف المُغلَقَيْن توهَّجَت عيناه مثل جمر النار. كان يرتدي قميصًا فاخرًا من الحرير، عليه عباءة مخمليَّةً، ويجلس على كرسي عرش ذهبي.

كان هذا الشخص هو الملك كرول، وبمجرد أن رآه، عرف البحَّارُ القديم على الفور أنه لن يحبَّ ملك جينكسلاند. قال جلالته بعبوس عميق: "مرحبًا! مَن هنا؟"، أجاب الجندي بينما ينحني بشدَّة لدرجة أن جبهته لامَسَت البلاط الرخامي: "غرباء، يا سيدي". جاء رد الملك بصوتٍ قاسٍ مثل ملامحه: "غرباء، إيه؟ حسنًا، يا لها من زيارة غير مُتوَقَّعة! تقدَّموا أيُّها الغرباء، وقدِّموا أنفسكم".

ارتجفت تروت قليلًا من صوته، لكن كابتن بيل ردَّ بهدوء وثبات: "ليس لدينا الكثير لنقوله، عَدَا أننا وصلنا لبلدكم لنرى حالها وأحوالها. وبالطريقة التي تتحدَّث بها، فأنت لا تعرف مَن نحن، وإلَّا نهضتَ وقَدَّمتَ استقبالًا يليق بنا، ولعرضتَ علينا مقاعد للجلوس. في العادة يعاملنا الملوك في العالم الخارجي الكبير الذي أتينا منه بشكل أكثر فخامة واهتمامًا، ولكن في هذه المملكة الصغيرة -التي ليس لها أهمية كبيرة، على أية حال- لا يبدو أن بها كثيرًا من المَدَنيَّة".

استمع الملك بذهول إلى هذا الخطاب الجريء بعبوس، ثم نظر إلى الطفلين والبَحَّار العجوز بفضول واضح. تَمَلَّك رجال البلاط خوف ورهبة؛ إذ لم يجرؤ أحد على التحدُّث بهذه الطريقة مع ملكهم القاسي العنيد. ومع ذلك، كان جلالة الملك خائفًا إلى حدٍّ ما؛ لأن القساة دائمًا جُبَناء، ويخشى أن يحوز هؤلاء الغرباء الغامضون قوى سحريَّةً من شأنها أن تُدمِّره ما لم يعاملهم بشكل جيد. فأمر خَدَمَه بمنح الوافدين مقاعِدَ، وأطاعوا بسرعة مرتجفين.

بعد جلوسهم، أشعل كابتن بيل غليونه وبدأ ينفث الدخان منه، وهو مشهد غريب جدًّا بالنسبة لهم، لدرجة أنه ملأهم جميعًا بالدهشة. سأل الملك الآن: "كيف قَدِمتَ لبلدنا المخفي عن العيون؟ هل عَبَرتَ الصحراء أم الجبال؟"، أجاب كابتن بيل: "الصحراء"، قالها كما لو كانت المَهمَّة سهلة للغاية بحيث لا يمكن الحديث عنها.

قال الملك: "في الواقع، لم يستَطِع أحدٌ فِعل ذلك من قبل"، ردَّ كابتن بيل بلا مبالاة، لدرجة أنه أثار إعجاب مستمعيه: "حسنًا، إنه سهل بما فيه الكفاية، إذا عرفت كيف تفعلها". تنحنح الملك في عرشه بقلق. لقد كان خائفًا من هؤلاء الغرباء أكثر من ذي قبل. كان سؤاله يحمل كثيرًا من القلق: "هل تنوون البقاءَ طويلًا في جينكسلاند؟".

قال كابتن بيل: "هذا يعتمد على إذا طاب لنا البقاء هنا، الآن، أقترح على جلالتك أن تطلب تجهيز بعض الغرف لنا في قلعتك الصغيرة الأنيقة. كما تأمر لنا بتجهيز وليمة مَلَكيَّة، والحرص على تقديم

مُقبِّلات من البصل المقلي والمخلل؛ فذلك من شأنه أن يجعل بطوننا تشعر ببعض الراحة". قال الملك كرول: "سوف يتمُّ تنفيذ رغباتكم"، لكنَّ عينيه ومضتا من بين جفنيه بطريقة شريرة جعلت تروت تأمل ألَّا يُسمَّم الطعام. بأمر من الملك، سارع العديد من حاشيته لإعطاء الأوامر المناسبة لخدم القلعة.

وما إن غادر الخَدَمُ لتنفيذ الأوامر، حتى دخل رجل عجوز نحيف إلى الفناء وقدَّم تحيات للملك. هذا الشخص البغيض يرتدي رداء من المخمل الفخم، مزركشة بالعديد من الشيالان الملوَّنة المكشكشة، وتغطي صدره مجموعة مُدهِشة من السلاسل الذهبية، وفي يده خواتم مصنوعة بدقة من الماس والياقوت. سار بخطوات مُتَبَختِرة، ونظر إلى جميع الحاشية كما لو كان يعتبر نفسه أعلى بكثير من أي منهم أو جميعهم. وحينما وصل للملك قال بصوت حادٍّ متصدِّع: "حسنًا، جلالة الملك، ما الأخبار؟".

رمقه الملك بنظرة فظَّة، وقال: "ليس هنا أخبار، يا لورد جنجلي جول، عدا وصول هؤلاء الغرباء"، فنظر لورد جنجلي جول لكابتن بيل والطفلين بنظرة ازدراء، ثم قال: "الغرباء لا يهمُّونني يا جلالة الملك. لكن الأميرة جلوريا هي المهمة... إنها مثيرة جدًّا حقًّا! ماذا تقول يا سيدي؟ هل ستُزوِّجني إيَّاها؟"، رَدَّ الملك: "اسألها"، قال: "سألتها مرَّات عديدة، وفي كل مرة رفَضَت"، قال الملك بقسوة: "حسنًا، وماذا ينبغي عَليَّ أن أفعل؟".

قال لورد جنجلي جول بنبرة مبتهجة: "حسنًا، الطائر الذي يمكنه الغناء ولا يغني، يجب أن يُجبر على الغناء"، قال الملك بلهجة ساخرة: "ها! هذا سهل، مع طائر؛ لكن من الصعب التعامُل مع تلك الفتاة". أكمل جنجلي: "ومع ذلك، يجب علينا التغلُّب على الصعوبات. المشكلة الرئيسية هي أن جلوريا تتخيَّل أنها تحب ذلك الصبيَّ البائس، بون. افتَرِض أننا ألقينا به في الأخدود العظيم، يا صاحب الجلالة؟". ردَّ الملك: "لن يفيدك ذلك، ستظلُّ تُحبُّه".

تنهَّد لورد جنجلي: "هذا سيِّئ. سيئ للغاية! لقد خصَّصتُ مقدارًا عظيمًا من الأحجار الكريمة -تساوي مقدار فدية ملك- لأقدِّمه لجلالتك في اليوم الذي أتزوَّج فيه جلوريا". تألَّقَت عينا الملك، فهو يحب الثروة فوق كل شيء؛ لكن في اللحظة التالية عبس بعُمقٍ مرَّةً أخرى وتمتم: "لن يفيدنا قتل بون، ما يجب علينا فعله هو قتل حب الأميرة جلوريا لصبيِّ البستاني بون"، وافق جنجلي بحماس: "نعم، هذا أفضل بكثير، إذا كان بإمكانك إيجاد طريقة للقيام بذلك، كل شيء سيكون على ما يرام. إذا تمكَّنتَ من قتل حب جلوريا لصبي البستاني هذا. آه، يا سيدي، الآن بعد أن فكَّرتُ في الأمر، يجب أن يكون ما خصَّصتُ من الأحجار الكريمة ما يَزِن حقيبتين من تلك الجواهر!".

عندها دخل رسولٌ إلى البلاط ليقول إن المأدبة أُعِدَّت للغرباء؛ لذلك دخل كل من كابتن بيل وتروت وبرعم باهر إلى داخل القلعة، إلى قاعة الاستقبال حيث تمَّ تقديم وليمة رائعة على مائدة عريضة كبيرة. علَّقَت تروت بخفوت لأنها كانت مشغولة في تناوُل الطعام: "لا أحب ذلك اللورد جنجلي جول"، قال كابتن بيل: "ولا أنا، ولكن من الحديث الذي سمعناه أعتقد أن صبي البستاني لن تكون له فُرَصٌ على الإطلاق للزواج من الأميرة"، ردَّت الفتاة: "ربما كما تقول، ولكن آمل ألَّا تكون هناك فرص للُّورد جنجلي جول العجوز أيضًا". قال برعم باهر وفمه مليء بالكعك والمربَّى: "ما يهم الملك هو بيعها مقابل كل تلك الجواهر". تَنهَّدَت تروت وقالت: "أميرة مسكينة!"، وأكملت بعدما بلَعَت قطعة خبز بالمربَّى: "أنا أشعر بالأسف لها، على الرغم من أنني لم أرها من قبل. ولكن إذا قالت «لا» للورد جنجلي جول، فهي تعني الرفض، فماذا يمكنهم أن يفعلوا بها؟". قال كابتن بيل ناصِحًا: "دعنا لا نقلق بشأن أميرة غريبة عنَّا. فلديَّ إحساس أننا لسنا آمِنين مع هذا الملك القاسي اللئيم".

شعر الطِّفلان بنفس شعور كابتن بيل، وسيطر على الثلاثة جميعهم شعورٌ بالرهبة إلى حدٍّ ما أثناء تناولهم الطعام. وعند الانتهاء، رغم

أنهم لم يشبعوا بالكامل، قادهم الخدم إلى غرفهم. كانت غرفة كابتن بيل بعيدة على مستوى عالٍ من أطراف القلعة، وغرفة تروت في الطابق الأسفل على الطرف المقابل من غرفة كابتن بيل. أمَّا برعم باهر، فقد وضعوه في المنتصف، بحيث كان الجميع مُتباعِدين قدر الإمكان. لم يعجبهم هذا الترتيب، لكن جميع الغرف كانت مُؤثَّثة بشكل رائع، وكونهم ضيوفًا للملك لم يجرؤوا على الشكوى.

بعد أن غادر الغرباء ساحة البلاط الملكي، دار بين الملك وجنجلي جول حديثٌ طويلٌ بمفردهما، قال الملك: "لا يمكنني إجبار جلوريا على الزواج منك الآن؛ لأن هؤلاء الغرباء قد يتدخَّلون. أظنُّ أن الرجل ذا الساق الخشبية يمتلك قوى سحرية عظيمة، وإلا لن يكون قادرًا على عبور الصحراء المميتة مع هؤلاء الأطفال".

أجاب جنجلي جول: "نعم، يبدو خطيرًا. لكن ربما تكون مُخطئًا في الظَّنِّ أنه ساحر. لماذا لا تختبر قواه؟"، سأل الملك: "كيف؟"، قال ببساطة: "أرسِلْ للساحرة الشريرة. ستخبرك في لحظة ما إذا كان هذا الشخص ذو الساق الخشبية هو رجل عاديٌّ أم ساحر"، صاح الملك:

"هـا! هـذه فكـرة جيـدة. لمـاذا لـم أفكّـر فيهـا مـن قبـل؟ لكـن تلـك المـرأة تطلـب مكافـآت كبيـرة مقابـل خدماتهـا"، قـال جنجلـي جـول بـدون تـردُّد: "لا تهتـمَّ، سـأدفع لهـا".

أرسـل الملـك خـادم لاسـتدعاء السـاحرة الشـريرة، التـي كانـت تعيـش علـى بُعـد أمتـار قليلـة مـن قلعـة الملـك كـرول. وبينمـا كانـوا فـي انتظارهـا، اقتـرح التاجـر الثـري العجـوز أن يقومـوا بزيـارة الأميـرة جلوريـا ومعرفـة مـا إذا كانـت الآن فـي حالـة مزاجيـة تسـمح لهـا بمناقشـة أمـر زواجهـا منـه؛ لذلـك ذهـب الاثنـان لهـا وبحثـا عنهـا دون العثـور عليهـا. أخيـرًا، اقتـرح جنجلـي جـول أنهـا ربمـا تتنـزَّه فـي الحديقـة الخلفيـة، والتـي كانـت عبـارة عـن حديقـة كبيـرة مليئـة بالشـجيرات والأشـجار، ومحاطـة بجـدار مرتفـع خلـف القلعـة. عندمـا دخلـوا الحديقـة، وشـاهدوا الأميـرة الجميلـة فـي مكان هـادئ ويركـع أمامهـا صبـي البسـتاني بـون! فثـار غضبهـم. اندفـع الملـك وعـلا صـوت هديـره الغاضـب. لكـن بـون، عندمـا رأى الملـك قادمًـا، ركـض وصعـد السـور بواسـطة سُـلَّمٍ قائـمٍ علـى مقربـة، ونجـح فـي الهـروب. تـارِكًا جلوريـا فـي مواجهـة ولـيِّ أمرهـا الغاضـب: الملـك، وجنجلـي جـول العجـوز، الـذي كان يرتجـف مـن الغضـب ولـم يسـتطع التفـوُّه بـأي كلمـة.

قبض الملك على الأميرة بعنف من ذراعها وسحبها إلى القلعة، ودفعها إلى غرفة في الطابق الأسفل وأغلق الباب على الفتاة التعيسة. وفي تلك اللحظة سمعا الإعلان عن وصول الساحرة الشريرة. فابتسم الملك، كما يبتسم النمر، وأنيابه بارزة. وابتسم جنجلي جول، كما يبتسم الثعبان، فهو لم يكن لديه أسنان. وذهب الرَّجُلان المُروِّعان إلى قاعة المجلس الملكي للقاء الساحرة الشريرة.

الفصل الثاني عشر

الجُندُب ذو الساق الخشبية.

ما حدث أن تروت، من نافذة غرفتها، شهدت لقاء العُشَّاق في الحديقة، ورأت الملك يأتي ويسحب جلوريا بعيدًا. انفطر قلب الفتاة الصغيرة تعاطُفًا مع الأميرة المسكينة، التي بدت لها واحِدةً من أجمل وأروع السيدات الشابَّات اللواتي رأتهن على الإطلاق؛ لذا تَسلَّلَت على طول الممرات، ومن مكانٍ مخفيٍّ رأت جلوريا محبوسة في غرفة بالطابق الأسفل. لحُسن الحظ، المفتاح لا يزال في القفل؛ لذا عندما ذهب الملك وتبعه جنجلي جول لمقابلة الساحرة الشريرة، انتهزت تروت الفرصة، وأدارت المفتاح ودخلت. رأت الأميرة ترقد على أريكة وتبكي بمرارة. اقتربت منها تروت ومسَّدَت شَعرَها، وقالت: "لا تبكي، أيَّتها الأميرة، لقد فتحتُ لكِ الباب، الآن، يمكنك المغادرة في أيِّ وقتٍ تريدين". استمرَّت الأميرة في البكاء، وقالت من بين دموعها:

"ليس هذا ما يجعلني حزينة، أنا غير سعيده لأنهم لن يسمحوا لي أن أُحبَّ بون، صبي البستاني!". قالت: "حسنًا، لا تقلقي؛ يبدو لي أن بون ليس في خطر حاليًا، على أي حال، هناك الكثير من الأشخاص الآخرين الذين يمكنك أن تحبيهم".

نهَضَت جلوريا من الأريكة ونظرت إلى الفتاة الصغيرة بتوبيخ، وأوضحت: "فاز بون بقلبي، ولا يسعني إلَّا أن أحبَّه"، ثم أضافت بسخط مفاجئ: "لكنني لن أحب جنجلي جول أبدًا... أبدًا، طالما عِشت!". أجابت تروت: "أنا لم أَقُل ذلك، قد لا يكون بون مناسِبًا لكِ، ولكن جنجلي العجوز شخص سيِّئ جدًّا جدًّا. ابحثي، وأنا متأكِّدة من أنك ستجدين شخصًا يستحقُّ حبَّكِ. أنتِ جميلة جدًّا، وأي شخص سيقع في غرامك".

قالت جلوريا وهي تمسح الدموع من عينيها بمنديل دانتيل أنيق مطرَّز باللآلئ: "أنت لا تفهمين يا عزيزتي، عندما تكبرين ستدركين أن الفتيات الشابَّات لا تستطيع أن تُقرِّر مَن ستحبُّ، أو تختار الأفضل. قلبها وحده يُقرِّر لها، وهو مَن يختاره قلبها، يجب أن تحبه، سواء أكان ذلك الأفضل أم لا".

شعرت تروت بالحيرة قليلًا من كلام الأميرة، الذي بدا لها غيرَ معقول؛ لكنها لم ترد. كان كل هَمِّها حاليًا محاولة التخفيف عن حزن جلوريا، فجلست لتحكي لها عن نفسها وعن مغامراتها. أخبرتها كيف صادف أنهم حضروا إلى جينكسلاند، وكل شيء عن كابتن بيل والأورغ وبرعم باهر، وحكت لها حتى عن أذن الجبل وشيخ الجزيرة الضئيل. بينما كانا يتحدَّثان، كان الملك وجنجلي جول يتآمران مع الساحرة الشريرة في قاعة المجلس.

هذه المخلوقة الشريرة العجوز والقبيحة، فقدت إحدى عينيها ووضعت عليها رُقعةً سوداء؛ لذلك أطلق عليها سُكَّان جينكسلاند اسم "بلينكي"، أي ذات العين الواحدة. بالطبع، كان السحر محظورًا في أرض أوز، لكن جينكسلاند كانت بعيدة جدًّا عن مركز سيطرة أوزما، وبالتالي

عُزِلَت تمامًا عنها بسبب الجبال شديدة الانحدار والأخدود الذي لا قاع له، لدرجة أن قوانين أوز لم تُطبق هنا.

هناك العديد من السَّحَرة في جينكسلاند يُرعبون الناس، سمح لهم الملك كرول بممارسة السحر الأسود الشرير، وكانت بلينكي زعيمةَ هؤلاء السَّحَرَة، وبالتالي هي الأكثر إرعابًا ومكرًا بينهم. استفاد الملك من سحرها في كثير من الأحيان لمساعدته في تنفيذ أعماله الوحشية والانتقامية، لكنه مضطرٌّ دائمًا إلى دفع مبالغ كبيرة من المال في كل مرَّة، أو أكوام من الجواهر الثمينة للساحرة الشريرة بلينكي قبل أن تقوم بالسحر؛ ممَّا جعله يكره المرأة العجوز تمامًا مثلما يفعل رعاياه، لكن اللورد جنجلي جول وافق اليوم على دفع ثمن الساحرة؛ لذلك استقبلها الملك بترحاب.

استفسر جلالة الملك: "هل يمكنك القضاء على حب الأميرة جلوريا لصبي البستاني؟". فكَّرَت الساحرة الشريرة في الأمر قبل أن تجيب: "هذا سؤال يصعب الإجابة عليه. يمكنني القيام بالكثير من السحر الماهر، لكن الحب شيء عنيد يصعب التغلُّب عليه. عندما تعتقد أنك قضيت عليه، من المحتمل أن يتجدَّد مرَّةً أخرى بقوة أكبر ممَّا كان. أعتقد أن الحب والقطط لهم تسعة أرواح. بعبارة أخرى، القضاء على الحب عمل شاقٌّ، حتى بالنسبة لساحرة ماهرة، لكنني أعتقد أنني أستطيع أن أفعل شيئًا يحقِّق هدفك أيضًا".

سأل الملك: "ما هذا؟"، قالت بثقة: "يمكنني تجميد قلب الفتاة. لديَّ تعويذة خاصَّة لذلك، وعند تجمُّد قلب جلوريا تمامًا لن يعود بإمكانها حب بون" صرخ جنجلي جول بفرح: "هذا هو المطلوب بالضبط!"، وكان الملك أيضًا سعيدًا جدًّا. رغم أنها ساوَمَتهم لفترة على السعر، لكن أخيرًا وافق الرجل الثري العجوز على دفع مطالب الساحرة الشريرة الباهظة. ثم تَمَّ حَبْكُ خيوط المؤامرة بأن يأخذوا جلوريا إلى منزل بلينكي في اليوم التالي لتجميد قلبها.

ثم ذكر الملك كرول للعجوز بلينكي الغُرَباء الذين وصلوا في ذلك اليوم إلى جينكسلاند، وقال لها: "أعتقد أن الطفلين -الصبي والفتاة- غير قادرين على إيذائي، لكن لديَّ شك في أن الرجل ذو الساق الخشبية هو ساحر قوي". اضطرب وجه الساحرة قليلًا عندما سمعت هذا الكلام، وقالت: "إذا كنتَ على حَقٍّ، فإن هذا الرجل قد يفسد تعويذتي ويتدخَّل في شؤوني؛ لذلك سيكون من الأفضل بالنسبة لي أن أقابل هذا الغريب في الحال وأقارن سحري به، وأقرِّر مَن هو أقوى". قال الملك: "حسنًا. تعالي معي وسأرشدك إلى غرفته".

لم يرافقهم جنجلي جول؛ حيث اضطر إلى العودة إلى المنزل لتوفير النقود والمجوهرات التي وعد بدفعها للعجوز بلينكي. صعد الاثنان الآخران عدَّةَ درجات من السلالم، وعبر العديد من الممرات وصلا إلى غرفة كابتن بيل. وجد البحَّارُ سريره ناعمًا وجذَّابًا، وبما أنه مرهق من المغامرات التي خاضها مع الطفلَيْن؛ قرَّر أن يأخذ قيلولة. عندما فتحت الساحرة الشريرة والملك بابه بهدوء ودخلا، كان يشخر بقوة، لدرجة أنه لم يسمعهم على الإطلاق. اقتربت بلينكي من السرير وحدَّقت بعينها بقلق في الغريب النائم.

قالت بصوت خافت: "آه، أعتقد أنك على صواب، أيُّها الملك. من مجرَّد النظر يُخيَّل لي أنه ساحر قوي فعلًا. ولكن من حُسن الحظ أنه نائم؛ لذا سأغيره قبل أن يستيقظ. سوف أغيِّر شكله بحيث لن يكون قادرًا على معارضتي". حَذَّرها الملك وقال بصوت منخفض: "احذري، إذا اكتشف ما تفعلينه فقد يُدمِّرك، وهو ما سيزعجني؛ ذلك لأنني أريدك في مَهمَّة تجميد قلب جلوريا".

أدركت الساحرة الشريرة أنه ينبغي عليها توخِّي الحذر. فتحت حقيبة سوداء تحملها على ذراعها طوال الوقت، وسحبت منها عدَّةَ عُلَب صفيح ملفوفة بعناية في ورق. اختارت ثلاثة منهم، ووضعت الباقي بحرص في الحقيبة. قامت بخلط مُكوِّنات اثنين من هذه العبوات معًا، ثم فتحت العلبة الثالثة بحذر، ثم قالت ناصحة الملك: "من الأفضل

أن تتراجع، يا صاحب الجلالة؛ لأنه إذا وقع هذا المسحوق عليك، فقد تتحوَّل"، تراجع الملك خائِفًا حتى نهاية الغرفة. عندما خلطت بلينكي مسحوقَ العلبة الثالثة مع الخليط، لوَّحَت بيديها عليهم، وتمتمت ببضع كلمات، ثم تراجعت بأسرع ما يمكن.

كان كابتن بيل نائمًا بسلام، غير مُدرِكٍ لما يجري حوله. وهوب! تكوَّنَت سحابة كبيرة من الدخان فوق السرير وأخفته تمامًا عن الأنظار. عندما انقشع الدخان، رأت بلينكي والملك أن جسد الغريب قد اختفى تمامًا، وفي مكانه جرادةٌ رماديَّة صغيرة مُستقرَّة في منتصف السرير. المثير للفضول في ذلك الجندب هو أن آخر مفصل في ساقه اليسرى مصنوعٌ من الخشب. الشيء الغريب الآخر -بالإضافة إلى أنه جندب- هو أنه بدأ يتحدَّث، صرخ بصوتٍ ضعيف حاد: "ها... أنتم أيُّها الناس! ماذا تقصدون بمعاملتي بهذه الطريقة؟ أَعِيدوني إلى هيئتي في الحال، وإلا ستندمون!".

شحب وجه الملك القاسي عند سماع تهديدات الجندب، لكن الساحرة الشريرة ضحكت في سخرية. ثم رفعت عصاها ووجَّهَت ضربة قاسية للجندب، ولكن قبل أن تنهال العصا على السرير، قام النَّطَّاطُ الصغير بقفزة رائعة، باعتبار أنه ذو ساق خشبية، وارتفع في الهواء وطار عبر الغرفة وقفز مباشرة عبر النافذة المفتوحة، حيث اختفى عن الأنظار. صاح الملك: "حسنًا! لقد تخلَّصنا من هذا الساحر البائس"، ثم ضحك كلاهما بحرارة على نجاح التعويذة، وذهبا لتنفيذ مؤامرتهم المروِّعة الأخرى.

بعد أن قضت تروت وقتًا مع الأميرة جلوريا، ذهبت الفتاة الصغيرة لغرفة برعم باهر، ولكن لم تجده هناك. ثم ذهبت إلى غرفة كابتن بيل، لكنه لم يكن هناك؛ لأن الساحرة والملك كانا هناك قبلها. فتقدَّمَت إلى الطابق السفلي وسألت الخدم. قالوا إنهم رأوا الصبي الصغير يخرج إلى الحديقة، منذ قليل، لكن الرجل العجوز ذا الساق الخشبية لم يروه على الإطلاق.

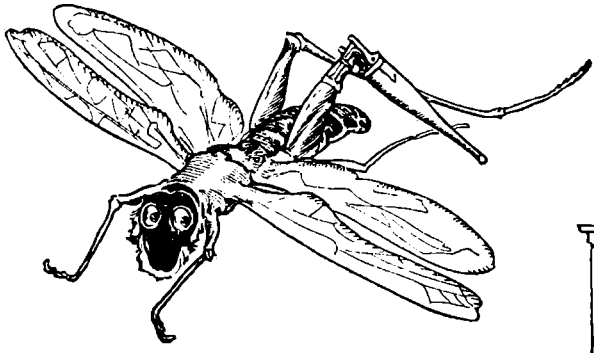

لم تعرف تروت ماذا عليها أن تفعل، فتجوَّلَت في الحدائق الكبيرة، باحثةً عن برعم باهر وكابتن بيل، ولم تجد أيًّا منهما على الاطلاق. هذا الجزء من الحديقة، الذي يقع أمام القلعة، لم يكن محاطًا بالأسوار، بل مُمتدًّا إلى الطريق الخارجي، وكانت الممرات مفتوحة على حافة الغابة. بعد ساعتين من البحث العبثي عن صديقيها، عادت الفتاة الصغيرة إلى القلعة.

لكن عند المدخل أوقفها جندي. قالت تروت: "أنا أسكن هنا؛ لذا من الأفضل السماح لي بالدخول. لقد منحني الملك غرفة". كان ردُّ الجندي: "حسنًا، أوامر جلالة الملك هي إبعادك إذا حاوَلتِ الدخول. كما أمر بمنع الصبي، رفيقك، من دخول قصر الملك مرة أخرى". استفسَرَت تروت بدهشة: "وماذا عن كابتن بيل، هل هناك أوامر بخصوصه؟ "، أجاب الجندي وهو يهزُّ رأسه بشكل يُنذِر بالسوء: "يبدو أنه اختفى في ظروف غامضة. ولا أعرف إلى أين ذهب، وكل ما يمكنني أن أؤكِّده لكِ أنه لم يعد في هذه القلعة. أنا آسف، أيَّتها الفتاة الصغيرة لإحباطك. لا تلوميني؛ يجب أن أطيع أوامر سيدي".

اعتادت تروت طوال حياتها على الاعتماد على كابتن بيل؛ لذلك عندما اختفى هذا الصديق الطيب فجأة، شعرت بأنها بائسة للغاية

ومُهمَلة بالفعل. كانت شُجاعةً بما يكفي لعدم البكاء أمام الجندي، أو حتى السماح له برؤية حزنها وقلقها، ولكن بعدما ذهبت بعيدًا عن القلعة، بحثت عن مقعد هادئ في حديقة على الطريق وبكت كأن قلبها انكسر. أخيرًا، كان برعم باهر هو مَن وجدها هذه المرة، عند غروب الشمس. فقد تمَّ إبعاده عن قلعة الملك أيضًا، عندما حاول دخولها، وحين تمشَّى على الطريق صادف تروت في الحديقة.

قال برعم باهر وهو يُربِّت على الفتاة الصغيرة: "لا تقلقي، يمكننا العثور على مكان للنوم". صاحت الفتاة: "أريد كابتن بيل"، رَدَّ: "حسنًا، أنا أيضا أريده. ولكنه ليس موجودًا. أين تظنِّين أنه ذهب، يا تروت؟"، قالت: "أنا لا أفكِّر في أي شيء. لقد رحل، وهذا كل ما أعرفه". جلس برعم باهر على المقعد بجانبها، ودفع يديه في جيوب سرواله. استغرق فترة يفكِّر، وهو أمر خطير بالنسبة له، وقال بينما عيناه تطوفان الحديقة المعتمة: "كابتن بيل ليس موجودًا هنا؛ لذا ينبغي علينا أن نذهب إلى مكان آخر إذا أردنا العثور عليه. بالإضافة إلى أنه سرعان ما سيخيِّم علينا الظلام، وإذا أردنا العثور على مكان للنوم يجب أن نبحث عن مكان مناسب من الآن".

فور أن أنتهى من كلامه نهض من على المقعد، فجفَّفت تروت عينيها بمئزرها ونهضت. ثم سارت بجانبه خارِجَين من أراضي قلعة الملك. لم يمضيا في الطريق الرئيسي، لكنهما مرَّا عبر فتحة في سياج ووجدا نفسيهما في طريق صغير. بعد مسافة ما، على طول طريق الصغير المتعرِّج، لم يصادِفا أي منزل أو مبنى من شأنه أن يوفِّر لهما المأوى طوال الليل. أصبح الظلام شديدًا لدرجة أنهما بالكاد يستطيعان رؤية طريقهما، في النهاية توقَّف تروت واقترح عليها التخييم تحت شجرة.قال برعم باهر: "حسنًا، لقد وجدتُ غالبًا أن أوراق الأشجار قد تصنع بطانية دافئة جيدة. لكن... انظري هناك، تروت! أليس هذا ضوءًا يومض هناك؟". قالت وصوتها به بارِقَةُ أَمَل:

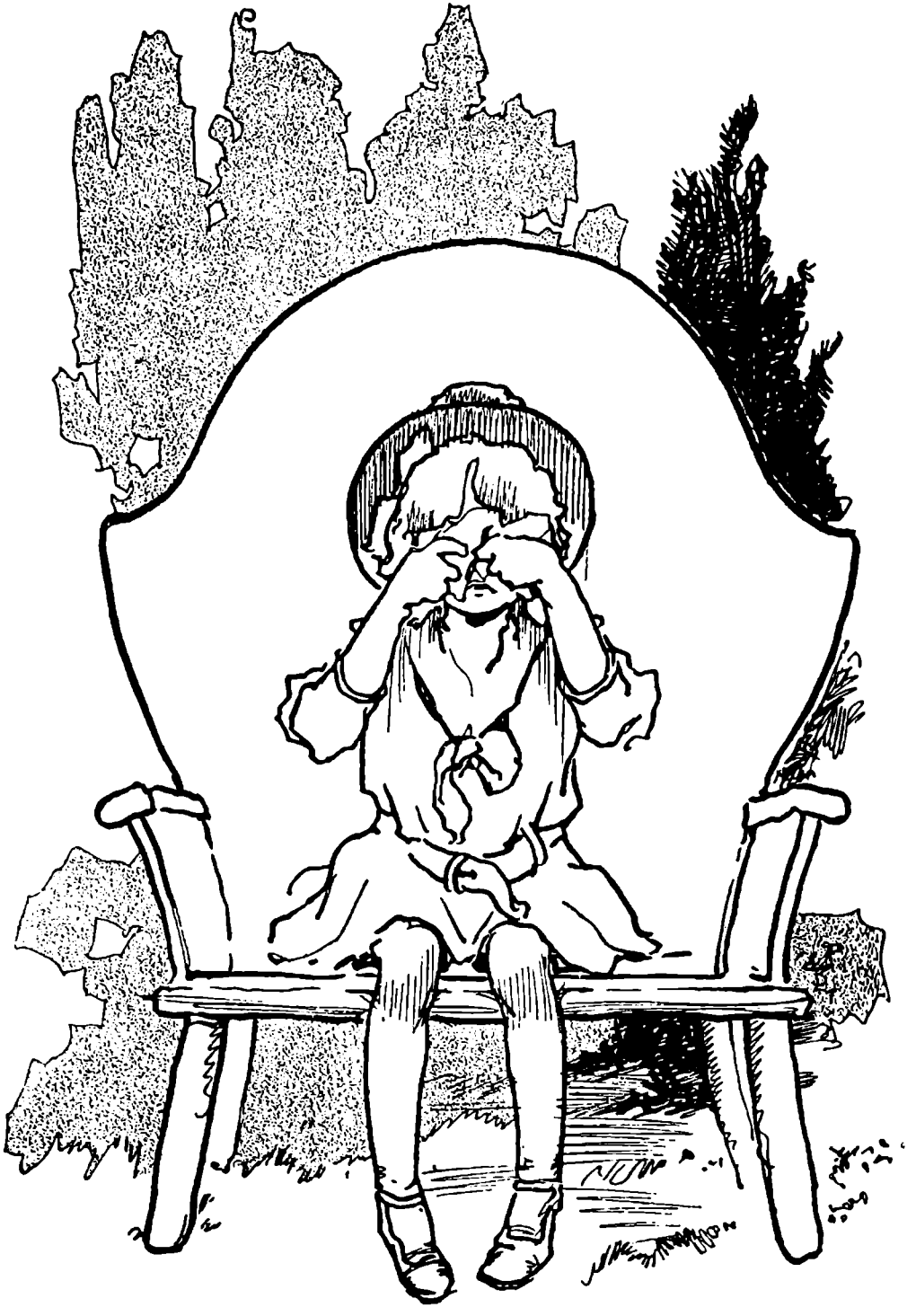

"بالتأكيد، هيا نذهب ونرى ما إذا كان منزلًا. مَن يَعِش هناك لا يمكن أن يعاملنا بشكل أسوأ من الملك". للوصول إلى مصدر الضوء، كان عليهم مغادرة الطريق، واختراق عدد من أكمات الشجيرات؛ للمحافظة على بقعة الضوء الصغيرة دائمًا أمامهما في الأفق.

كان منظرهما اثنين من الصغار البائسين والمنبوذين في بلد غريب، وتخلَّى عنهم صديقهم الوحيد وولِيُّ أمرهم كابتن بيل؛ لذلك شعرا بسعادة عندما وصلا أخيرًا إلى كوخ صغير، وكأنه ملجأ وملاذٌ عَثَرَا عليه بعد معاناة شديدة. شاهَدَا من خلال نافذته الوحيدة، بون، صبي البستاني، جالسًا بجوار نار الأغصان. حين اطمأنَّت تروت لأمان الكوخ، فتحت الباب ودخلت بجرأة، نهض بون للترحيب بها. وعندها أخبراه باختفاء كابتن بيل وكيف تمَّ إبعادهما من قلعة الملك. حينما انتهَيَا من القصة، هَزَّ بون رأسه بحزن.

قال: "الملك كرول يُخطِّط للإيذاء، وأخشى أنه أرسل اليوم لاستدعاء العجوز بلينكي، الساحرة الشريرة، فقد رأيتها بأمِّ عَينيَّ تأتي من القلعة. كانت مع الملك كرول وجنجلي جول، وكنت أخشى أن يلقوا بعض السحر على جلوريا حتى لا تُحبِّني بعد الآن. ولكن ربما تمَّ استدعاء الساحرة فقط إلى القلعة لإلقاء بعض السحر المؤذي على صديقكم، كابتن بيل". سألَت تروت، مُرتَعِبةً من تلك الفكرة: "هل يمكنها فعل ذلك؟".

ردَّ بأسى: "أعتقد ذلك، العجوز بلينكي يمكنها فعل الكثير من الأشياء السحرية الشريرة المؤذية". لم يفارقها الشعور بالرعب وهي تقول: "أي نوع من السحر يمكن أن تلقيه على كابتن بيل؟". قال: "لا أعرف. لكنه اختفى؛ لذلك أنا متأكِّد من أنها فعلت شيئًا مُروِّعًا. لكن لا تقلقي. إذا حدث ذلك، فلا يمكننا مساعدته، وإذا لم يحدث ذلك، قد نتمكَّن من العثور عليه في الصباح".

أحضر لهما بون بعض الطعام من الخزانة لتناول العشاء. كانت تروت قلقَة للغاية، لدرجة أن نفسها سُدَّت ولم تستطع تناول الطعام، لكن برعم باهر انبسط من العشاء البسيط، ثم استلقى بالقرب من دفء النيران وسرعان ما غطَّ في النوم. بينما جلست الفتاة الصغيرة وصبي البستاني لفترة طويلة مُحدِّقَين في النار مشغولين بأفكارهما. ولكن أخيرًا، شعرت تروت بالنعاس وقام بون بتغطيتها بلُطفٍ ببطانية واحدة كانت بحوزته. ثم ألقى المزيد من الحطب على النار واستلقى بجانب برعم باهر بالقرب من النار. سرعان ما استغرق الثلاثة في النوم بعُمق. للأسف سيواجهون قدرًا كبيرًا من المتاعب، وكانوا صغارًا على تَحمُّلها وحدهم، وكان النوم جيِّدًا لهم لأنه جعلهم ينسون ما حدث لبعض الوقت.

الفصل الثالث عشر

جليندا الطيبة وخيال المآتة

تُعرف تلك المقاطعة الواقعة جنوب مدينة الزمرد، في أرض أوز، باسم مقاطعة الجودلينج، وفي أقصى جنوبها يوجد قصر رائع تعيش فيه جليندا الطيبة، الساحرة الملكية لأوز. تمتلك قوى سحرية عظيمة وتستخدمها فقط لصالح رعايا مملكة أوزما. حتى ساحر أوز العجيب يُقدِّرها ويحترمها في أعلى مكانة؛ فهي مَن علَّمته كل السحر الحقيقي الذي يعرفه، وهي متفوِّقة في كل أنواع السحر والشعوذة وأعمال الحواة، يحبها الجميع، من الحاكمة المحبوبة والجميلة، أوزما، إلى أكثر السُّكَّان تواضُعًا في أوز؛ فهي دائمًا لطيفة ومتعاونة ومستعدَّة للاستماع إلى مشاكلهم، مهما كانت مشغولةً. لا أحد يعرف عمرها، لكن الجميع يرى ويعرف كم هي جميلة وفخمة. شَعرُها مثل الذهب الأحمر وأَرَقُّ من أجود الخيوط الحريرية. عيناها زرقاوان كالسماء،

ودائما صريحة ومبتسمة. خدَّاها موضع حَسَدٍ من ثمار الخوخ، وفمها مُغرٍ مثل براعم الورود. جلينـدا لها قامة طويلة وترتدي عباءات رائعة تتأرجح خلفها وهي تمشي، كما أنها لا ترتدي أي مجوهرات؛ لأن جمالها يفوق روعة أي جواهر، حتى لو كانت لمجرد الزينة.

بالنسبة للوصيفات والمضيفات، فحاشية جلينـدا بها مائة من أجمل الفتيات في أوز. تمَّ جمعهم من جميع أنحاء أوز، من الوينكلز والموشكيين والجليليان والجودلينج، وكذلك من مدينة الزمرد الرائعة، وسمحت لهنَّ الأميرة أوزما بخدمة الساحرة الملكية.

من بين الأشياء الرائعة العديدة في قصر جلينـدا هو كتاب السجلَّات العظيم. في هذا الكتاب سجل وتأريخ وكتابة عن كل ما يحدث في العالم، بمجرَّد حدوثه؛ لذلك، من خلال الرجوع إلى صفحاته، تعرف جلينـدا ما يحدث بعيدًا وقريبًا. وبهذه الطريقة تتعلَّم متى وأين يمكنها مساعدة أي شخص في محنة أو خطر، وعلى الرغم من أن واجباتها تقتصر على مساعدة أولئك الذين يسكنون أرض أوز، فهي دائمًا مهتمَّة بما يحدث في العالم الخارجي غير المحميِّ.

في إحدى الأمسيات، كانت جلينـدا تجلس في مكتبها، مُحاطَةً بمجموعة من خادماتها اللواتي كُنَّ يعملن في الغزل والنسيج والتطريز، حين أعلَنَت إحدى الوصيفات عن وصول خيال المآتة للقصر، الذي هو من أكثر الشخصيات شُهرَةً وشعبيَّة في كل أرض أوز. جسده مجرَّد بدلة من ملابس الموشكيِّين محشوَّة بالقش، ورأسه كيسٌ دائريٌّ مليءٌ بالنخالة، حيث مزج ساحر أوز بعض العقول السحرية من نوع متفوِّقٍ للغاية. كما رُسِمَت عينا وأنف وفم إنسان على مقدِّمة الكيس، وكذلك أذنيه، وبما أن هذا الكائن الغريب قد وُهِب الحياة؛ كان تعبير وجهه ممتعًا للغاية، وإن كان مضحكًا إلى حَدٍّ ما.

يمتاز خيال المآتة بالطيبة، رغم أن تحرُّكاته مُحرِجة قليلًا، ويفتقر إلى التناسُق الأنيق للآخرين، تصرُّفاته لطيفة للغاية، كما أنه ملتزمًا وصادِقًا جدًّا، لدرجة أن كل من عرفه أحبه، بالتأكيد لم يكن هناك إلا عدد قليل من الناس في أوز الذين قابلوا خيال المآتة ولم يحبوه من أول نظرة. عاش فترة من الوقت في القصر الملكي في مدينة الزمرد، وفترة أخرى في قلعة كوز الدُّرَة التي بُنيت خصِّيصًا له في مقاطعة الوينكلز، ويمضي بقية الوقت يسافر في جميع أنحاء أوز، فيقوم بزيارة الناس واللعب مع الأطفال، الذين يقعون في غرامه على الفور.

في إحدى رحلاته، وصل خيال المآتة إلى قصر جلينداا، واستقبلته الساحرة على الفور. جلس بجانبها وحكى لها عن مغامراته، ثم سألها: "ما الأخبار؟". فتحت جلينداا كتاب السِّجِلَّات العظيم، وقرأت من الصفحات الأخيرة. ثم قالت باندهاش: "هذا أمرٌ مُثيرٌ للفضول وللاهتمام. وصل ثلاثة أشخاص من العالم الخارجي الكبير إلى جينكسلاند". استفسر خيال المآتة: "أين جينكسلاند؟". قالت: "قريبة من هنا، قليلًا إلى الشرق منَّا. في الواقع، جينكسلاند هي شريحة أرض صغيرة مأخوذة من مقاطعة الجودلينج، ولكن مفصولة عنها بمجموعة من الجبال العالية، التي يقع عند سفحها أخدودٌ واسع وعميق، من المفترض ألَّا يتمكَّن أحد من اجتيازه". قال: "إذن جينكسلاند هي حقًّا جزء من أرض أوز".

قالت جلينداا: "نعم، لكن الناس في أوز لا يعرفون شيئًا عنها، باستثناء ما هو مُسجَّل هنا في كتابي". سأل خيال المآتة بلهفة: "ماذا يقول الكتاب عنها؟"، قالت بدون أن تقرأ من الكتاب: "يحكمها رجلٌ لَئيمٌ يُدعَى الملك كرول، على الرغم من أنه ليس له الحق في اللقب. معظم الناس طيِّبون، لكنهم خجولون للغاية، ويعيشون في خوفٍ دائم من حاكمهم الشَّرِس. وهناك أيضًا العديد من السَّحَرَة الأشرار الذين يُرهِبون سُكَّان جينكسلاند".

استفسر خيال المآتة: "هل هؤلاء السَّحَرَة لديهم أي قوى سحرية حقيقية؟"، قالت: "نعم، يبدو أنهم يفهمون في السحر في أكثر أشكاله شرًّا؛ لأن أحدهم قد حوَّلَ للتَّوِّ بحَّارًا عجوزًا محترمًا وصادقًا -وهو واحد من الغرباء الذين وصلوا إلى هناك- إلى جُندُب. هذه الساحرة نفسها التي تُدعَى بلينكي، تُخطِّط أيضًا لتجميد قلب فتاة جينكسلاند الجميلة، الأميرة جلوريا". صاح خيال المآتة: "هذا شيء مُروِّع!".

اكتسى وجه جلندا بالجدِّيَّة، حينما قرأت في كتابها كيف تمَّ إبعاد تروت وبرعم باهر من قلعة الملك، وكيف وجدا ملاذًا في كوخ صبي البستاني بون. وأخيرًا قال خيال المآتة: "أخشى أن يتحمَّل هؤلاء الغرباء من العالم الخارجي الذين لا حول لهم ولا قوة، الكثيرَ من المعاناة في جينكسلاند"، قالت الساحرة الطيبة، بحذر: "أتمنى أن أساعدهم"، سأل خيال المآتة بقلق: "كيف يمكنني مساعدتهم؟ أخبريني ماذا أفعل، وسأنفِّذ فورا".

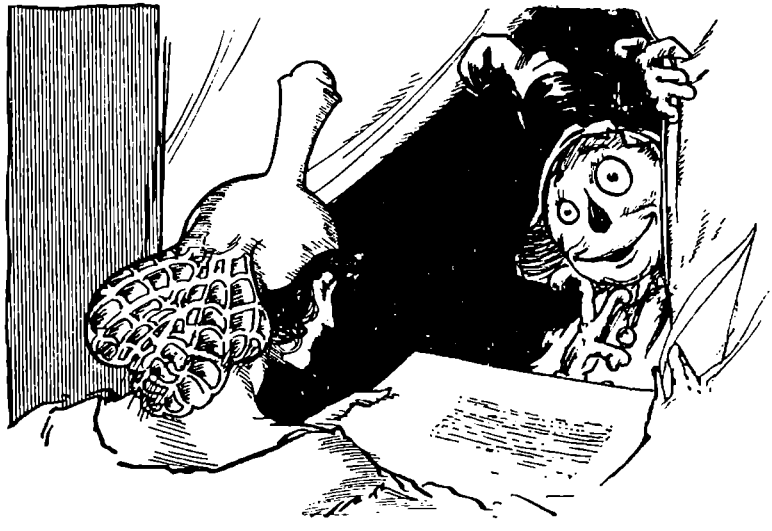

لبضع لحظات، لم تَرُدَّ جلينداً، لكنها جلست تتأمَّل السِّجلَّات، ثم قالت: "سأرسلك إلى جينكسلاند لحماية تروت وبرعم باهر وكابتن بيل"، أجاب خيال المآتة بصوت مَرِح: "أعرف برعم باهر بالفعل؛ فقد حضر لأرض أوز من قَبلُ. أتتذكَّرين كيف غادر أوز في إحدى فُقَّاعات ساحرتنا الكبيرة؟"[1]، قالت جلينداً: "نعم، أتذكَّر ذلك". ثم أرشدت خيال المآتة بما يجب فعله، وأعطته بعض الأشياء السحرية التي وضعها في جيوب مِعطَفِه الممزَّق. قالت: "بما أنك لست بحاجةٍ إلى النوم، يمكنك البدء في الحال". أجاب: "الليل هو نفس النهار بالنسبة لي، إلا أنني لا أستطيع رؤية طريقي جيدًا في الظلام"، وعَدَت الساحرة: "سأوفِّر ضوءًا لإرشادك".

لذا وَدَّعها خيال المآتة وبدأ على الفور رحلته. بحلول الصباح كان قد وصل إلى الجبال التي تفصل مقاطعة الجودلينج عن جينكسلاند. كانت جوانب هذه الجبال شديدةَ الانحدار بحيث لا يمكن تَسلُّقها، لكن خيال المآتة أخذ حبلًا صغيرًا من جيبه وألقى بأحد أطرافه في الهواء لأعلى. فكَّ الحَبلُ نفسه وامتدَّ لأعلى عدة مئات من الأقدام، حتى اصطدم وشَبَكَ نفسه بصخرة في قمة الجبل؛ فقد كان حبلًا سحريًّا قدَّمته جلينداً. تسلَّق خيال المآتة الحبل، وبعدما صعد لأعلى، أنزل الحبل على الجانب الآخر من سلسلة الجبال. عندما نزل على الحبل على هذا الجانب، وجد نفسه في جينكسلاند، لحُسن الحظ وقف على حافَّة الأخدود العظيم، والذي يجب عبوره قبل أن يتمكَّن من المُضيِّ قُدُمًا إلى داخل أراض جينكسلاند.

---

(1) في الاحتفال بعيد ميلاد الأميرة أوزما، قدَّم ساحر أوز العجيب عرضًا بالفُقَّاعات الملوَّنة، وبمساعدة سانتا كلوز تحوَّلت إلى فقاعات سحرية نقَلَت الضيوف إلى منازلهم مع انتهاء الحفل، راجِعْ رواية "الطريق إلى أوز".

ركع الفزَّاعة على ركبتيه وفحص الأرض بعناية، وفي لحظة اكتشف عنكبوتًا بنِّيَّة صغيرة. حينها أخرج حبَّتين صغيرتين من جيبه ووضعهما أمام العنكبوت، الذي أسرع لهم وأكل الحبوب. ثم قال خيال المآتة بصوتٍ صارم: "اغزِلي!". أطاعت العنكبوت على الفور.

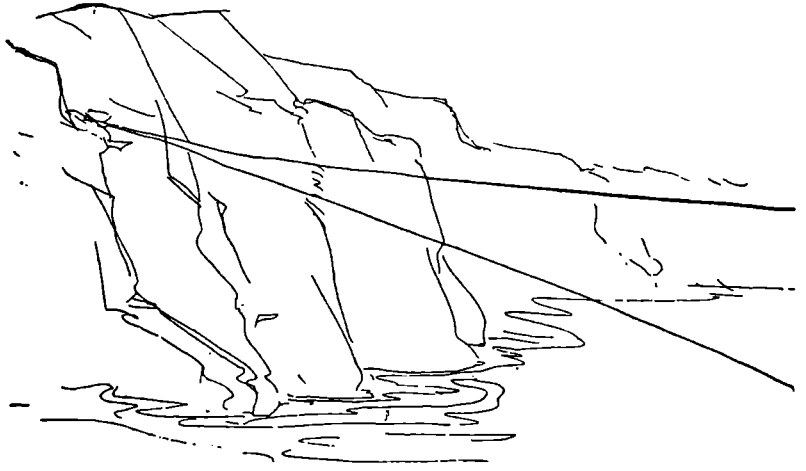

في لحظات قليلة، قامت المخلوقة الصغيرة بغزل خيطين نحيفين لكن قويَّين بين حافَّتَي الأخدود، أحدهما أعلى بخمس أو ستِّ أقدام فوق الآخر. عندما تمَّ الانتهاء منه، شرع خيال المآتة بعبور الأخدود بالجسر الصغير المُكوَّن من خيوط العنكبوت. يمشي على خيط واحد كما يمشي شَخصٌ على حبل، ويمسك بالخيط الآخر العلوي بيديه لمنعه من فقدان توازُنه والسقوط في الأخدود. تحمَّلَت الخيوط الصغيرة وزن خيال المآتة الخفيف؛ بفضل القوة التي من الحبوب السحرية التي تناوَلتها العنكبوت.

أخيـرًا، وصـل إلـى الجانـب الآخـر بأمـان، ووقـف علـى سـهول جينكسـلاند. وعلـى مبعـدة، شـاهد بوضـوحٍ أبـراجَ قلعـة الملـك، وتوجَّـه إلـى هنـاك علـى الفـور.

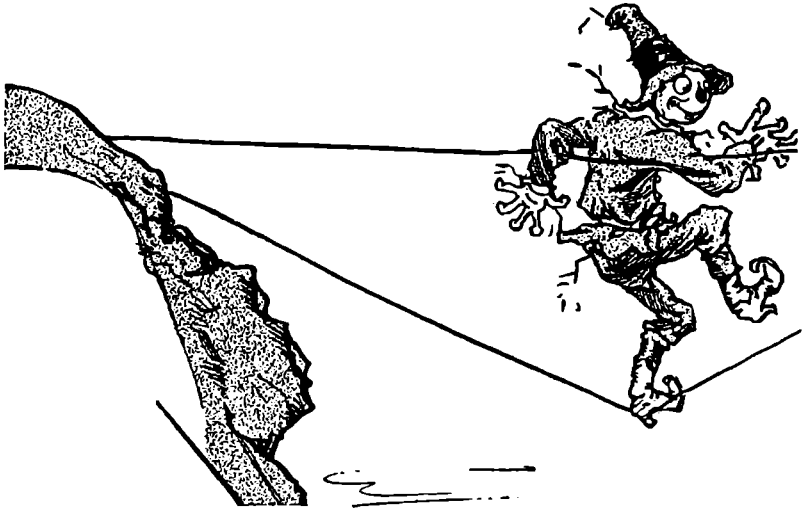

الفصل الرابع عشر

القلب المتجمِّد

أوَّل مَـن اسـتيقظ هـو برعـم باهـر، وتـرك رفاقـه لا يزالـوا نائميـن فـي كـوخ صبـي البسـتاني بـون، وخـرج إلـى هـواء الصَّبـاح المنعِـش، فـرأى بعـض حبَّـات التـوت الأسـمر تنمـو على الشـجيرات فـي حقـل ليـس بعيـدًا. ذهـب إليهـا، ووجـده ناضجًـا وحلـوًا، فشـرع فـي أكلهـا بـدون تـردُّد. لاحظ أن مزيـدًا مـن تلـك الشـجيرات تنتشـر فـي الحقـل، فتنقَّـل بينهـا، مـن شـجيرة إلـى أخـرى، دون الانتبـاه إلـى المـكان الـذي كان يتجـوَّل فيـه. ثـم رفرفـت فراشـة، طاردهـا مسـافةً طويلـة. عندمـا توقَّـف أخيـرًا لينظـر حولـه، لـم يستَطِع رؤيـة أي علامـة على منـزل بـون، ولـم يكـن لديـه أدنـى فكـرة فـي الاتجـاه الـذي يقـع فيـه. قـال لنفسـه: "حسـنًا، لقـد تهـت مـرَّةً أخـرى. لكـن لا داعـي للقلـق؛ لقـد تهـت مـرَّاتٍ كثيـرةً. ولا بـدَّ أن شـخصًا مـا سـيجدني بالتأكيـد كمـا يحـدث فـي كل مـرة".

قلقت تروت بعض الشيء على برعم باهر عندما استيقظت ووجدته قد غادر. فهي تعرف مدى إهماله، وأنه بالتأكيد تاه كعادته، لكن شعرت أنه سيعود في الوقت المناسب؛ لأنه أيضًا معتاد على عدم البقاء تائهًا لمدة طويلة. أحضر بون للفتاة بعض السندوتشات لتناول الإفطار، ثم خرجا معًا من الكوخ ووقفا تحت أشِعَّة الشمس.

كان منزل بون على بُعد مسافة من الطريق الرئيسي، لكنهما كانا يستطيعان رؤيةَ ما يحدث عليه من حيث هم واقفون، وكلاهما تَفاجَأ عندما شاهَدَا جنديَّين يسيران على طول الطريق ويرافقان الأميرة جلوريا بينهما. كانت الفتاة المسكينة مُقيَّدة اليدين لمنعها من الفرار، وانزعج بون وتروت لمشاهدتهما الجنود يسحبونها بوقاحة خلفهم، ووراءهم يسير الملك كرول، مرتديًا تاجه المرصَّع بالجواهر ويمسك في يده عصا ذهبية رفيعة على طرفها كتلة على شكل كُرَةٍ من الأحجار الكريمة المتنوِّعة.

سألت تروت: "إلى أين هم ذاهبون؟"، أجاب بون: "إلى بيت الساحرة الشريرة. تعالي نتبعهم؛ لأنني متأكِّد من أنهم يعتزمون إيذاء عزيزتي جلوريا"، سألت بخجل: "ألن يروننا؟"، قال: "لن نسمح لهم بذلك. أعرف طريقًا مُختَصرًا عبر الأشجار إلى منزل بلينكي"؛ فأسرعا يخترقان بعض الأشجار ووصلا إلى بيت الساحرة قبل وصول الملك وجنوده. اختبؤوا بين الشجيرات، وشاهدا اقتراب المسكينة جلوريا بين الجنود، وجميعهم مرُّوا بالقرب منهم، لدرجة أن بون كان بإمكانه مد يده ولمس حبيبته، لو تجرَّأ على ذلك.

منزل بلينكي له ثمانية جوانب، في كل جانب باب ونافذة. كان الدُّخان يتصاعد من المدخنة عندما أحضر الحُرَّاس جلوريا إلى أحد الأبواب، فتحت الساحرة العجوز شخصيًّا. ضحكت بفرح شرير وفَرَكَت يديها النحيفتين معًا لإظهار البهجة التي تستقبل بها ضحيَّتها، فقد كانت مسرورةً لتَمكُّنها من أداء طقوسها الشريرة في فتاة رقيقة وجميلة مثل الأميرة.

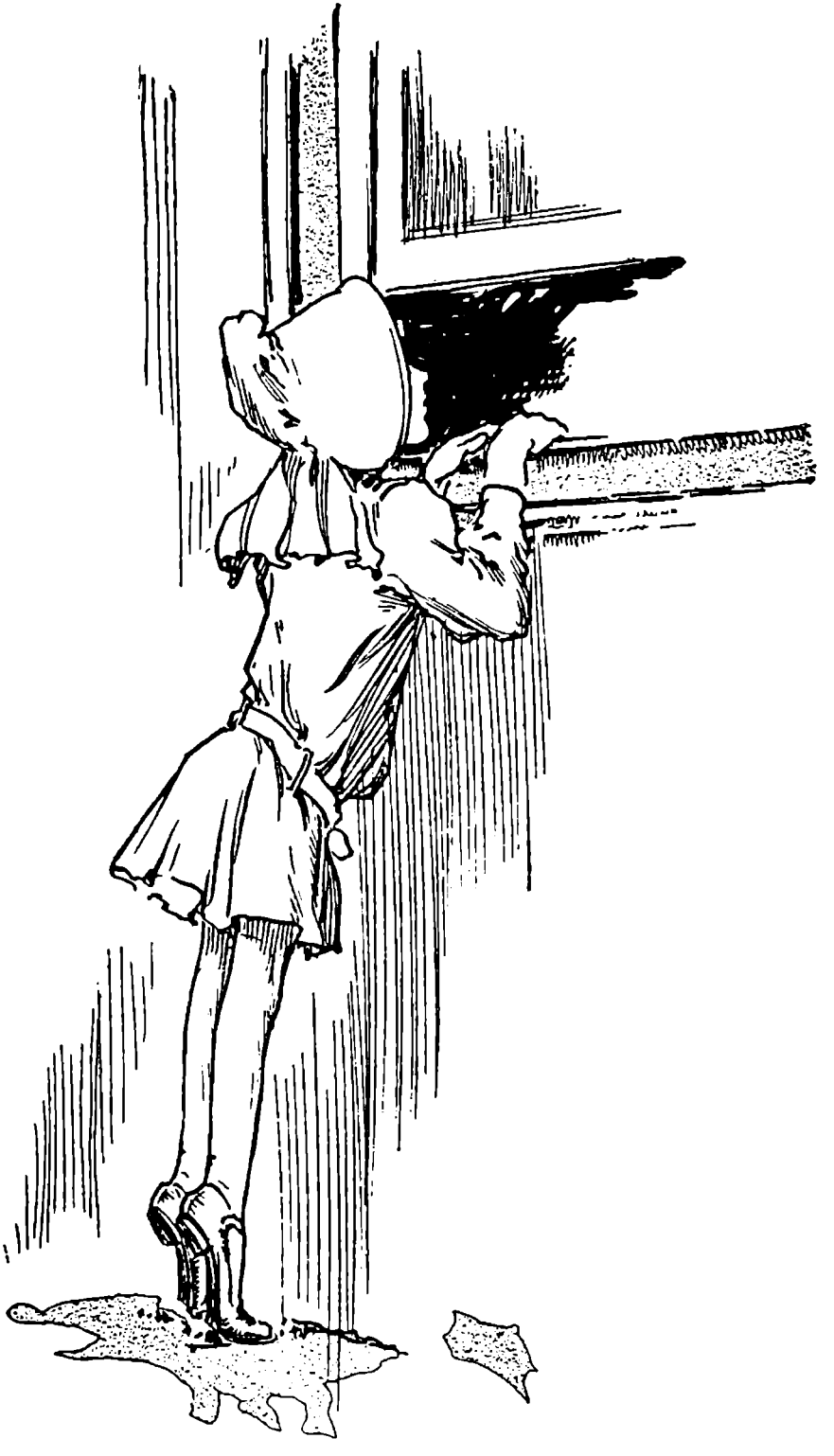

كافَحَت جلوريا للمقاومة عندما أمروها بالدخول، لكن الجنود أجبروها على عبور المدخل، وحتى الملك دفعها في ظهرها بقسوة وعنف. غضب بون بشدَّة من القسوة التي عانت منها جلوريا لدرجة أنه نسي كلَّ الحَذَر واندفع إلى الأمام ليدافع عنها؛ لكن أحد الجنود منعه ودفع صبي البستاني بعيدًا بعُنفٍ وأغلق الباب في وجهه. قال تروت بهدوء، بينما تساعد بون على القيام من سقوطه على الأرض: "لا يمكنك فعل شيء لمساعدة الأميرة المسكينة حتى لو كنت في الداخل. كم هو مؤسِفٌ أنَّكَ تُحبُّها!".

أجاب بحزن: "صحيح، إنه حقًّا سوء حظِّي. إذا لم أُحبَّها، فلن يكون من شأني ما يفعله الملك لابنة أخته جلوريا؛ لكن الظروف غير المحظوظة لحبي لها تجعل من واجبي الدفاع عنها". قالت تروت: "لا أعرف كيف يمكنك فعل ذلك، سواء كان واجبًا أم لا". قال بأسى بالغ: "لا، أنا عاجز؛ لأنهم أقوى مني. لكن يمكننا أن نلقي نظرة خاطفة من النافذة ونرى ما يفعلونه". تروت فضوليَّة إلى حدٍّ ما؛ لذا وافَقَت وتسلَّلا إلى إحدى النوافذ ونظرا إلى الداخل، وحدث أن أولئك الذين داخل منزل الساحرة كانوا مشغولين جدًّا لدرجة أنهم لم يلاحظوا أن بون وتروت يراقبانهم.

ربط الجنود جلوريا بعمود صلب في وسط الغرفة، بينما أعطى الملك الساحرة الشريرة كمية من المال والمجوهرات، والتي قدَّمتها جنجلي جول كدفعة مالية، قال لها: "هل أنتِ متأكِّدة من أنه يمكنكِ تجميد قلب هذه الفتاة حتى لا تُحبَّ صبيَّ البستاني؟"، أجابت الساحرة: "بالتأكيد يا جلالة الملك، فهذه تعويذة مضمونة"، قال الملك بصرامة قاسية: "إذن، نَفِّذي تعويذتك وسحرك، هيَّا".

قالت: "قد تكون هناك بعض الطقوس التي قد تُضايِقُكَ فيما أفعل؛ لذا تَمنَّ لي التوفيق واتركني أنفِّذ ما اتَّفقنا عليه". رَدَّ بصرامةٍ أشدَّ: "كلمة واحدة: إذا فشلتِ، سأحرقك!"، ثم أشار إلى جنوده أن يتبعوه، وفتح باب المنزل على مصراعيه ليخرج. كان خروجه مفاجئًا لدرجة أنه كاد أن يمسك بالفتاة تروت وصبي البستاني بون وهم

يتنصَّتان، لكنهما تمكَّنا من الالتفاف حول جانب آخر من المنزل قبل أن يراهم. سار بدون أن يلتفت وراءه على الطريق، تبعه رجاله، تاركًا جلوريا تحت رحمة العجوز بلينكي.

عندما تسلَّلا مرة أخرى إلى النافذة، رأت تروت الشماتة تعلو وجه بلينكي وهي ترمق ضحيَّتها بنظرات مسعورة. على الرغم من أنه كاد يُغمى عليها من الخوف، إلا الأميرة حدَّقت بكبرياء وتَحَدٍّ في وجه الساحرة الشريرة؛ وللأسف ربطها الجنود بشدَّة بالعامود لدرجة أنها لم تستطع فعل المزيد للتعبير عن اشمئزازها منها. توَجَّهَت بلينكي إلى غَلَّاية مُعلَّقة وتتأرجح بسلسلة فوق النار وألقت بداخلها عدَّة مُرَكَّبات سحرية. صعد من الغلاية ثلاث فرقعاتٍ، كل واحدة مثل البرق، وفي كل فرقعة ظهرت ساحرة أخرى في الغرفة.

هؤلاء الساحرات كُنَّ قبيحاتٍ للغاية، ولكن عندما همست العجوز العوراء بلينكي بأوامرها لهنَّ، ابتسمن بفرح، وشرعن يرقصن حول جلوريا. ثم ألقت بلينكي ياقوتة حمراء صغيرة في الغلَّاية من المجوهرات التي أعطاها لها الملك، وعلى الفور تحوَّلَت النساء المُسِنَّات الثلاث على الفور إلى عذارى يتمتَّعن بجمال رائع، يرتدين أجمل الأزياء التي يمكن تَخَيُّلها. ولكن عيونهن لم تتغيَّر، فما زال الوهج الشرير يسطع منهن. من المؤكَّد أن تروت أعجبت بهنَّ؛ فهي لم تنظر لعيونهن المتوهِّجة بالشر، لكن سرعان ما جذب انتباهها أفعالهن بدلًا من مظهرهن، وفورًا حَلَّ الرُّعبُ مَحلَّ الإعجاب. سكبت بلينكي سائلًا أسودَ كالقطران من زجاجة نحاسية كبيرة أخذتها من الرفِّ في الغلَّاية، وفي الحال تصاعَدَت الفقاعات والدخان بعنف ملأ منزل بلينكي. اقتربت الساحرات الجميلات واحِدًا تلوَ الآخر لتحريك محتويات الغلَّاية والتمتمة بتعاويذ سحرية. ورغم أن تحرُّكاتهم رشيقة وإيقاعية، إلا أنه لا يوجد شخص سويٌّ يراقبهن لا يرى الحقد والكراهية تطِلُّ منهنَّ؛ ممَّا أمتع الساحرة الشريرة بلينكي التي استدعتهنَّ لمساعدتها وظلَّت تراقبهن بابتسامة شريرة على وجهها المتجعِّد.

أخيـرًا اكتملـت الطقـوس السـحرية. توقَّـف صعـود الفقاعـات مـن الغلايـة. ثـم أحضـرت بلينكـي مَغرفَـةً خشـبية كبيـرة وغرفـت مـن محتويـات الغلَّايـة. واقتربـت بالملعقـة فـي وجـه الأميـرة جلوريـا: "لا للحُـبِّ! الفـن السـحري الآن سـيُجمِّد قلبـك الفانـي!"، وحيـن تَمتَمَـت بتلـك الكلمـات المفزعـة ألقـت بمحتويـات المغرفـة الممتلئـة علـى صـدر جلوريـا. بالتأكيـد تتوقَّـع أن السـائل مـن القـدر المغليَّـة سـيحرق صـدر الأميـرة ويلسـعها. لكـن تـروت رأت أن صـدر الأميـرة أصبـح شـفَّافًا، وظهـر قلبهـا النابـض بوضـوح، وببـطء تحـوَّل هـذا القلـب مـن الأحمـر القانـي إلـى الرمـادي، ثـم إلـى الأبيـض. تشـكَّلَت طبقـة مـن الصقيـع حولـه وتعلَّقَـت رقاقـات صغيـرة مـن الثلـج علـى سـطحه.

ثـم عـاد جسـد الفتـاة ببـطء مـرة أخـرى واختفـى القلـب عـن الأنظـار. بـدت جلوريـا وكأنهـا فـي غيبوبـة حيـن غمـر صدرهـا السـائل السـحري، لكنهـا تعافـت الآن حيـن تـوارى القلـب المتجمِّـد داخلهـا، وفتحـت عينيهـا الجميلتيـن، وحدَّقـت ببـرود وبـدون عاطفـة فـي مجموعـة السـاحرات اللواتـي يواجهنهـا. أدركـت بلينكـي والأخريـات مـن خـلال تلـك النظـرة الباردة أن سـحرهن قـد نجـح. انفجـروا فـي جوقـة مـن الضحـك الجامـح وشـرعت الجميـلات الثـلاث يرقصـن مـرة أخـرى، بينمـا قامـت بلينكـي بفَـكِّ قيـود الأميـرة وإطـلاق سـراحها.

فرَكَـت تـروت عينيهـا لتثبـت لنفسـها أنهـا مسـتيقظة وتنظـر بوضـوح إلـى تلـك الأفعـال الشـريرة، وبلغـت دهشـتها أقصاهـا عندمـا تحـوَّل العـذارى الثَّـلاث الجميـلات إلـى قبيحـاتٍ ملتويـات مـرة أخـرى، متَّكِئـات علـى عِصـيِّ المكانـس. لقـد هَـزَأْن مـن جلوريـا، لكـن الأميـرة كانـت تنظـر إليهـم بـازدراء بـارد. الآن أصبحـت حُـرَّةً، مشـت إلـى البـاب وفتحتـه وسـقطت مغمـى عليهـا، والسَّـحَرة تركنهـا تغـادر.

لـم ترغـب تـروت أن تفوتهـا تفصيلـة مـن طقـوس الشـر التـي تحـدث أمـام عينيهـا لأول مـرة فـي حياتهـا، لدرجـة أنهـا لـم تنتبـه أن العاشـق الولهـان بجانبهـا أغمـى عليـه منـذ ظهـور السـاحرات الثـلاث. وبمجـرد خـروج

جلوريا من المنزل، انفتح مزلاج النافذة وسقط جسد صبي البستاني داخل المنزل كجلمود صخر. الساحرات الثلاثة أطلقن صرخاتٍ مُفزِعة ومرعبة، عندما أدركن أن أحدهم كان يشاهد تعويذتهن السحرية، فاندفعن هاربات من النافذة المفتوحة على عصي المكانس. أفاق بون على تلك الصرخات، وعلى الفور قفز من النافذة المقابلة وركض مثل الريح، وتروت في أعقابه. منحهم الخوف القوَّةَ للركض والقفز عبر الخنادق والأسوار المنخفضة كما الغزلان.

اندفعت بلينكي عبر النافذة لمطاردتهم؛ لكنها كانت كبيرةً في السِّنِّ، فسرعان ما أدركت أنها لن تتمكَّن من التغلب على الدُّخَلاء. بالإضافة إلى أن الثلاث اللواتي استدعتهن طِرن بعيدًا في الهواء، واختفين سريعًا في السماء الزرقاء. ومع ذلك، كانت بلينكي غاضبةً جدًّا منهما، وصمَّمَت على الإمساك بهما، في الوقت المناسب، ومعاقبتهما بشدَّة على التجسُّس على سحرها.

عندما اطمأنَّ كلٌّ من تروت وبون من أنهم نجحا في الهروب، جلسا بالقرب من حافَّة الغابة لالتقاط أنفاسهما. استعادت تروت قدرتها على الكلام بصعوبة، وقالت لرفيقها: "أليس ذلك فظيعًا؟"، وافقها بون من بين لهاثه المتقطع: "أفظع شيء رأيته في حياتي"، أكملت: "لقد جمَّدوا قلب جلوريا؛ حتى لا تستطيع أن تُحِبَّكَ بعد الآن"، اعترف بون بأسى بالغ: "حقًّا، لقد جمَّدوا قلبها، لكني أتمنى أن أُذيبه بدفء حُبِّي". ساد الصمت فترة قصيرة، وبعدها سألت الفتاة: "أين تظنُّ أنها ذهبت؟".

قال: "ربما عادت إلى قلعة الملك"، قالت تروت: "أنا متأكِّدة من أنها سلكت طريقًا مختلفًا. لقد نظرت ورائي أثناء الركض فرارًا؛ لأرى مدى قرب الساحرات منَّا، وأنا متأكِّد من أنني رأيت جلوريا تسير ببطء نحو الشمال". اقترح بون: "إذن، هيَّا نتَّخِذ هذا الطريق المختصر، ربما سنلتقي بها". وافقته تروت وشَرَعَا في اللفِّ نحو الشمال، وصلا إلى نقطة تَبعُد أقل من نصف ميل من منزل الساحرة، وحينها رأوا جلوريا

تسير نحوهما. كانت الأميرة تمشي بكبرياء كبير وبدون أي هرولة على الإطلاق، رفعت رأسها عاليًا ولا تنظر إلى اليمين أو اليسار.

اندفع بون إلى الأمام مَادًّا ذراعيه ليحتضنها، ولم تتوقف شفاهه عن مناداتها بأسماء العشق والوله والحب. لكن جلوريا حدَّقت فيه ببرود وصدَّته بإيماءة متعجرفة. انصدم المسكين من تلك المعاملة، وركع على ركبتيه وأخفى وجهه بين ذراعيه، باكيًا بدموع مريرة، لكن الأميرة لم تتأثَّر به على الإطلاق. مرَّت به، وسحبت ذيل فستانها جانبًا، كما لو كانت تأنف من أن يلمس فستانها هذا الصبيُّ الفقير المتواضع. ثم سارت في الطريق وتردَّدَت قليلًا، وكأنها غير متأكِّدة إلى أين ستذهب بعد ذلك. حزنت تروت على بون وانتابها السخط من معاملة جلوريا السيئة، لكنها تذكَّرَت السبب.

قالت للأميرة: "قلبُكِ مُجمَّد، هذا هو السبب". أومأت جلوريا برأسها كأنها ردَّت بنعم، ثم أدارت ظهرها للفتاة الصغيرة، التي سألتها بتوسُّل: "ألا يمكنك حتى أن تشعري بحبي؟"، قالت جلوريا بصرامة: "لا". تنهَّدَت الفتاة الصغيرة: "صوتك كأنه طالع من ثلاجة. أشعر بالأسف الشديد لكِ؛ فقد كنتِ لطيفه جدًّا معي قبل أن يحدث هذا. لا حول ولا قوَّةَ لكِ في هذا الأمر، بالطبع؛ لكنه شيء رهيب".

قالت جلوريا بهدوء: "قلبي مُتجمِّد لكل أنواع الحب البشري. أنا حتى لا أحب نفسي". قالت تروت: "هذا أكثر سوءًا ممَّا اعتقدت؛ لأنه إذا كنتِ لا تحبين نفسك، فلا يمكن أن تتوقَّعي أن يُحبَّكِ أحد". قال بون من بين دموعه: "لكني سأظلُّ أحبُّها للأبد"، أجابت تروت: "حسنًا، أنت مجرَّد صبي بستاني، ولا أعتقد أنك سترتقي كثيرًا لتفوز بقلب أميرة. يمكنني أن أحب قلب الأميرة جلوريا القديم، القلب الدافئ العامر بالأخلاق اللطيفة، لكن هذا القلب، يجعل القشعريرة تسري في جسدي"، قال بون: "إنه قلبها المتجمِّد".

فجأة قالت تروت بحدَّة: "هذا يكفي. رؤية قلبها بهذا الشكل لن يفيدنا حتى للتزلج، إنها حتى ليست مُفيدةً لأي شخصٍ. من ناحيتي، سأذهب وأحاول العثور على كابتن بيل وبرعم باهر". نهض بون واقِفًا وقال: "سأذهب معك، من الواضح أن جلوريا لم تَعُد تحبُّني، وأن قلبها متجمِّد جدًّا لدرجة لن يتمكَّن حبي من إذابته؛ لذا سوف أساعدك في العثور على صديقَيْكِ". استدارت تروت في الاتجاه الاخر لتبدأ مَهمَّة البحث، لكن قبل أن يتبعها بون ألقى نظرة أخرى توسُّلًا على الأميرة، التي ردَّت عليها بنظرة باردة جافة؛ لذا تَبِعَ الفتاة الصغيرة.

أمَّا بالنسبة للأميرة، فقد تردَّدَت للحظة ثم استدارت في نفس الاتجاه الذي سلكه الآخرون، لكنها كانت تسير ببطء أكبر. سرعان ما سمعت صوت خطوات تدقُّ خلفها، فالتفتت فوجدت جنجلي جول يجري ليلحق بها، مبحوحًا من اللهاث خلفها: "توقَّفي، يا جلوريا! لقد جِئتُ لاصطحابك إلى قصري، لنتزوَّج". نظرت إليه مُتعجِّبةً للحظة، ثم نظرت له بازدراء ومضت. لكن الثري العجوز ظلَّ بجانبها وقال: "ماذا يعني هذا؟ ألم تدركي أنَّكِ لم تَعودي تحملين لصبيٍّ البستاني الذي وقف في طريقي أيَّ عاطفة؟".

ردَّت: "نعم، لقد أدرَكتُ ذلك. قلبي الآن مُتجمِّد لكل أنواع الحب البشري. لا يمكنني أن أحبَّكَ أو أحبَّ بون أو أحبَّ عمي الملك القاسي أو حتى أحب نفسي. اذهَبْ في طريقك، يا جنجلي جول؛ لأنني لن أتزوَّج أحدًا على الإطلاق". توقَّف للحظة مذعورًا عندما سمع هذا الكلام، لكنه في الدقيقة التالية صرخ غاضبًا: "يجب أن تتزوَّجيني، أيَّتها الأميرة جلوريا، سواء كنتِ تريدين ذلك أم لا! لقد دفَعتُ مقابل تجميد قلبك؛ لقد دفعت أيضًا للملك للسماح بزواجنا. إذا رفضتِني الآن، فهذا يعني أنني تعرَّضتُ للسرقة... السرقة- لقد سُلِبَت أموالي الثمينة ومجوهرات!".

انتابه كَربٌ شديد لدرجة أنه كاد يبكي من اليأس، لكنها ضحكت ضحكةً باردة وأكملت مسيرها. تحوَّل الكرب الشديد إلى غضبٍ عنيف،

فقبض الثري العجوز على ذراعها، كما لو كان يريد تقييدها، لكنها استدارت ووجَّهَت له لكمةً قوية، فوقع في حفرة بجانب الطريق. ها هو يرقد فيها ونصفه مغطًّى بالمياه الموحلة، لا يستطيع الحراك مذهولًا ممَّا حدث له. أخيرًا نهض يقطر وحلًا ويُعافِر للخروج من تلك الحفرة. بينما الأميرة مشت بعيدًا غير عابئة به. تمتم بتهديدات بالانتقام منها، ومن الملك ومن بلينكي، ولم يجد ما يفعله سوى العودة إلى قصره لإزالة الطين من ملابسه المخمليَّة باهظة الثمن.

الفصل الخامس عشر

تروت تقابل خيال المآتة

بحَثَت تروت وبون في مساحات شاسعة من جينكسلاند، لكنهما لم يَعثُرا على أي أثر لكابتن بيل أو برعم باهر. أخيرًا توقَّفا مؤقَّتًا بجانب حقل ذرة، وجلسا على مقعد حجري للراحة. أخرج بون تفَّاحَتَيْن من جيبه وأعطى واحدةً للفتاة تروت، ثم تناول الأخرى، فقد حان وقت الغداء. عندما انتهى من تفَّاحته، ألقى بون بقلبها المتبقِّي في الحقل. وفي الحال صدر صوت غريب: "تشوك تشوك! لماذا تضربني في عيني بقلب التفَّاحة؟"، وفي الحال ظهر لهم هيئة خيال المآتة، الذي كان متخفِّيًا في حقل الذرة لمراقبة بون وتروت ليعرف ماذا يفعلان.

قال بون متأسِّفًا: "معذرة. لم أكن أعرف أنك هناك". تقدَّم خيال المآتة بخطوات متعثِّرة ووقف بجانبهم، وقال للفتى بون: "آه، أنتَ صبيُّ البستاني". ثم التفت إلى تروت: "وأنتِ الفتاة الصغيرة التي

أتت إلى جينكسلاند على متن طائر كبير، والتي كان من سوء حظها أن تفقد صديقَيْها: كابتن بيل وبرعم باهر". استفسَرَت مندهشة: "كيف عرفتَ كُلَّ هذا؟"، ردَّ خيال المآتة وهو يغمز لها بشكل هزليٍّ: "أعرف الكثير من الأشياء، عقلي مُصاغ بتكوين متناسق بعناية، ومشهود له بالكفاءة العالية التي صنعها ساحر أوز العجيب. وكما صرَّح هو بنفسه، أن عقلي هو أفضل ما صنعه على الإطلاق"، قالت تروت ببطء، وهي تنظر إلى خيال المآتة باهتمام كبير: "أعتقد أنني سَمِعتُ عنك، لكنك تعيش في أرض أوز". أجاب بمرح: "أوه، نعم صحيح. لكني جِئتُ للتَّوِّ عبر الجبال من مقاطعة الجودلينج لأرى ما إذا كان بإمكاني تقديم أي مساعدة لكِ". تساءل بون: "مَن؟ أنا؟"، أجاب: "لا، للغرباء من العالم الخارجي. يبدو أنهم بحاجة لمساعدة".

قال بون بقليل من اللطف: "شُكرًا. أنا أقوم بذلك بنفسي. إذا كنت ستعذرني لقولي ذلك، فأنا لا أرى كيف يمكن لخيال مآتة ذا عيون مرسومة أن يساعد أي شخص". استدارت تروت لصبي البستاني: "إذا كنتَ لا ترى كيف يمكنه مساعدتنا، فأنت أعمى أكثر من خيال مآتة"، وأضافت وهي تنظر له: "إنه رجلٌ خُرافيٌّ، يا بون، قادم من أرض أوز الخيالية؛ لذا فهو يمكنه فعل أي شيء. أتمنَّى أن تجد كابتن بيل من أجلي". وعدها خيال المآتة قائِلًا: "سأحاول. ولكن مَن تلك المرأة العجوز التي تجري نحونا وتلوِّح بعصاها؟".

فور أن انتبها لمقدم الساحرة الشريرة، استدار كلٌّ من تروت وبون وانطلقا بدون تردُّد، وكما يقول المثل "أخذوا ديلهم في سنانهم وقالوا يا فكيك". فلم يكونا يعرفان أن العجوز بلينكي لم تتوقَّف عن مطاردتهم، وأخيرًا اقتفت أثريهما إلى هذا المكان. فقد كان غضبها شديدًا لدرجة أنها مُصمِّمة على عدم التخلِّي عن مطاردة بون وتروت حتى تمسك بهما وتعاقبهما. أدرك خيال المآتة على الفور أن المرأة العجوز تقصد الأذى لصديقيه الجديدين؛ لذا عندما اقتربت منه ظهر أمامها فجأة من بين أعواد الذرة.

اصطدمت به بلينكي وأطاحت به وتعثَّرَت في جسده المصنوع من القش وتدحرجت على الطريق بجانبه. قعد خيال المآتة على الأرض بجانبها وقال: "عُذرًا!" لكنها ضربته بعصاها واستمرَّت ضرباتها كأنها تنجِّد مرتبة. ثم في فورة غضبها، قفزت على ضحيتها وبدأت في سحب وشَدِّ القش من جسده. كان خيال المآتة المسكين عاجزًا عن المقاومة، وفي لحظات قليلة كان كل ما تبقَّى منه هو بدلة ملابس فارغة وكومة من القش بجانبها. لحسن الحظ، لم تتلف الرأس، فقد تدحرجت في جحر صغير وأفلتت من شَرِّها. خشيت بلينكي أن يفلت منها بون وتروت، فأسرعت تستأنف المطاردة، وفي لحظات اختفت فوق التل، مُتَّبِعة الاتجاه الذي رأتهما يذهبان فيه.

لم يمضِ سوى وقت قصير قبل أن يقفز جندبٌ رمادي بساق خشبية ويقف مباشرة على الوجه المقلوب لرأس خيال المآتة الذي قال: "عفوًا، لكنك تقف على أنفي". سأل الجندب: "أوه! هل أنت على قيد الحياة؟" قال رأس خيال المآتة: "هذا سؤال لن أتمكَّن من تحديد الإجابة عليه. عندما يتمُّ حَشوُ جسدي بشكل صحيح، تدب في الحيوية

ويمكنني أن أتحرَّك مثل أي شخص حي. العقل موجود في الرأس سليمًا معافى، وهو ذا جودة عالية ويقوم بالكثير من التفكير الذكي. أما إذا كنت على قيد الحياة أم لا، فهذا ما لا أستطيع إثباته؛ لأن مَن يعِش يَكُن مُعرَّضًا للموت، بينما أنا فقط مُعرَّض للتدمير".

قال الجندب وهو يفرك أنفه بقدميه الأماميتين: "يبدو لي أن هذا لا يهم في حالتك- إلَّا إذا تَمَّ تدميرك بالفعل"، قال: "أنا لست مُدمَّرًا؛ كل ما أحتاجه هو إعادة حشو. وإذا لم يهرب بون وتروت من الساحرة، فأنا متأكِّد من أنهما سيقدِّمان لي هذه الخدمة". سأل الجندب وصوته الخفيف يرتجف من الإثارة: "قُل لي! هل تروت وبون هنا؟" لم يَرُدَّ خيال المآتة على الفور؛ لأن كلتا عينيه كانتا تُحدِّقان بشكل مستقيم في وجه جميل منحنٍ قليلًا فوق رأسه. لقد كانت الأميرة جلوريا، التي تتمشَّى في هذا المكان، واندهشت للغاية عندما سمعت حديث رأس خيال المآتة وجندب رمادي ذي ساق خشبية.

قالت خيال المآتة وهو لا يزال يحدِّق بها: "لا بُدَّ أنكِ الأميرة التي تحب بون، صبي البستاني"، صاح الجندب -الذي كان بالطبع كابتن بيل- وهو يفحص الشابَّة بفضول: "أوه، حقًّا!"، قالت جلوريا ببرود: "لا، أنا لا أحب بون، أو أي شخص آخر، فالساحرات الشريرات جمَّدن قلبي"، قال خيال المآتة بأسف حقيقي: "يا للعار! شخص جميل جدًّا يجب أن يكون قادرًا على الحب. ولكن هل من الممكن، يا عزيزتي، أن تُعيدي حشو ذلك القَشِّ في جسدي مرة أخرى؟".

ألقت الأميرة اللطيفة نظرة على القش وعلى ملابس الموشكيين الزرقاء البالية، وتراجعت وعلى وجهها أمارات الازدراء والاشمئزاز. لحسن الحظ نجت من رفض طلب خيال المآتة بظهور تروت وبون، اللَّذَين اختبآ بين أكمة الشجيرات فوق التل وانتظرا حتى تجاوَزَتهما العجوز بلينكي، التي اندفعت في مطاردة الفتاة والشاب دون أن تدرك أنهما خدعاها.

صُدمت تروت من حالة خيال المآتة الحزينة وشرَعَت على الفور في إعادة القش إلى جسده. حين رأى بون الأميرة جلوريا، ناشدها مرَّةً أخرى أن تشفق عليه، لكن الأميرة ذات القلب المتجمِّد ابتعدت ببرود، ولم يجد صبي البستاني شيئًا يفعله سوى مساعدة تروت في مَهمَّة حشو خيال المآتة.

في البداية، لم ينتبه أي منهما للجندب ذي الساق الخشبية، الذي قفز عند ظهورهم من على أنف خيال المآتة وتشبَّث بورقة عشب على جانب الطريق، بحيث يكون في مأمن من أن يدوس عليه أحدهم. لم يتحرَّك الجندب من مكانه حتى عاد خيال المآتة لهيئة الإنسان ووقف على قدميه مرة أخرى. ثم قفز بخِفَّة في الطريق وصرخ بأعلى صوت: "تروت! تروت! انظري إليَّ. أنا كابتن بيل! انظري ما فعلته الساحرة الشريرة بي".

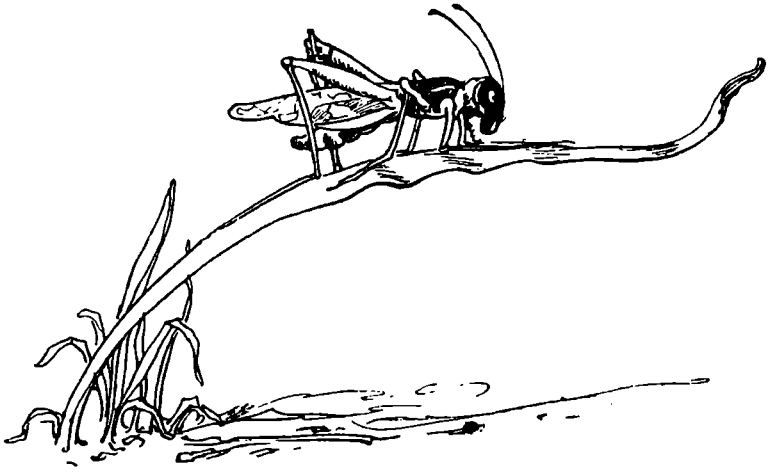

كان الصوت خافتًا بالتأكيد، لكنه وصل إلى أُذُنَيْ تروت وأصابها ذهول شديد. نظرت باهتمام إلى الجندب، وعيناها واسعتان من الخوف في البداية؛ ثم ركعت على ركبتيها ولاحظت الساق الخشبية وقالت بحزن

والدموع تتجمَّع في مقلتيها: "أوه، كابتن بيل... عزيزي كابتن بيل! يا له من عمل رهيب!"، ودخلت في نوبة بكاء. قال الجندب متوسِّلًا: "لا تبكي، يا تروت. إن التحوُّل لم يكن مؤلِمًا، وهو أيضًا لا يؤلم الآن. لكن أقلُّ ما يُقال عنه إنه إذلال. هو أمر غير مريح على الإطلاق".

قالت الفتاة بسخط، بينما تحاول جاهِدةً كبح دموعها: "أتمنى أن أكون كبيرةً بما يكفي لأضرب تلك الساحرة الفظيعة لكمةً قوية. يجب أن تتحوَّل إلى ضفدع عقابًا لها"، قال خيال المآتة بصوت متعاطِف: "لا تقلقي، مثل هذا التحوُّل لا يدوم طويلًا، وعلى العموم هناك طريقة لكسر ذلك السحر. أنا متأكِّد من أن جليندا يمكن أن تفعل ذلك، في لمح البصر. استفسر كابتن بيل: "مَن هي جليندا؟".

أخبرهم خيال المآتة كل شيء عن جليندا، دون أن ينسى ذِكرَ جمالها وأخلاقها وأفضالها وقواها الرائعة في السحر. وأوضح لهم أيضًا كيف أرسلته الساحرة الملكية إلى جينكسلاند خصِّيصًا لمساعدة الغرباء، الذين تعرف أنهم في خطرٍ بسبب أفاعيل الملك اللئيم والساحرة الشريرة.

الفصل السادس عشر

بون يدعو الملك للاستسلام

اقتَرَبَت جلوريا من المجموعة للاستماع إلى حديثهم، وأثار حديثهم اهتمامها على الرغم من أسلوبها الجامد. كانوا يعلمون، بالطبع، أن الأميرة المسكينة لا حول لها ولا قوَّة في هذا الإحساس البارد والمتحفِّظ؛ لذلك حاولوا عدم إلقاء اللوم عليها.

قال خيال المآتة بأسف: "كان يجب أن آتي إلى هنا مبكِّرًا. ولكن جلينداً أرسلتني بمجرَّد أن قرأت في كتاب السجلَّات العظيم أنكم هنا، ومن المحتمل أن تقعوا في المشاكل. والآن بعد أن أصبحنا جميعًا معًا -باستثناء برعم باهر، الذي لا جدوى من القلق بشأنه- أقترح أن نعقد مجلسًا للحرب، نقرِّر ما هو الأفضل القيام به".

وافق الجميع على هذا الأمر الحكيم، جلسوا جميعًا على العشب، بما في ذلك جلوريا، والجندب ذو الساق الخشبية يجثم على كتف

تروت. قال خيال المآتة بجدِّيَّة: "في البداية، هذا الملك كرول مُغتَصِب وليس له الحق في حُكم مملكة جينكسلاند". قال بون بلهفة: "هذا صحيحٌ. والدي كان ملكًا قبله، وأنا.."، قاطعه خيال المآتة: "أنتَ صَبيٌّ بستانيٌّ. لم يكن لأبيك الحقُّ في الحكم أيضًا؛ لأن الملك الشرعي لهذه الأرض كان والد الأميرة جلوريا، وهي الوحيدة التي يَحِقُّ لها الجلوس على عرش جينكسلاند". هتفت تروت بحماس: "حسنًا. لكن ماذا سنفعل بالملك كرول؟ لا أعتقد أنه سيتخلَّى عن العرش طواعية إلا إذا أجبرناه على ذلك"، قال خيال المآتة: "بالطبع لا؛ لذلك ستكون مَهمَّتنا أن نجبره على التخلِّي عن العرش". سألت تروت: "كيف؟". كان الرد: "أعطيني وقتًا للتفكير. هذه هي الطريقة التي يعمل بها عقلي، دعينا نفسح له وقتًا. لا أعرف كيف يفكر البشر، لكن عقلي هو أفضل ما صنعه ساحر أوز على الإطلاق، وإذا منحته وقتًا للعمل؛ فإن النتيجة عادة ما تفاجئني". اقترحت تروت: "خُذ وقتك، إذن، لسنا بعجلة من أمرنا".

قال الرجل المصنوع من القش: "شكرًا لكِ". جلس ساكنًا تمامًا لمدة نصف ساعة. خلال هذه الفترة، همس الجندب في أذن تروت، ثم همست تروت للجندب الجالس على كتفها. ألقى بون نظرات مَحبَّة وعشق على جلوريا، التي لم تُعِره أدنى اهتمام. أخيرًا ضحك الفزَّاعة بصوت عالٍ. استفسرت تروت: "ها، هل عقلُكَ وصل إلى شيء؟"، قال: "نعم. اليوم هو يوم جيِّد لعقلي. سوف نغزو الملك ونضع جلوريا على عرش ملكة جينكسلاند". هتفت الفتاة الصغيرة، وهي تصفِّق بيديها معًا بابتهاج: "جيد، ولكن كيف؟".

قال خيال المآتة بفخر: "دعوا هذا الأمر لي، فلي خبرة بهذه الشؤون، فما زلت أمتلك بعض العجائب. سنقوم أوَّلًا وقبل كل شيء بكتابة رسالة لإرسالها إلى الملك كرول، نطلب منه الاستسلام. إذا رفض، فسنجبره على الاستسلام"، استفسر بون: "لماذا نسأله ونحن نعلم أنه سيرفض؟"، أجاب باستنكار: "يجب أن نكون مهذَّبين، مهما فعلنا، ليس من اللائق أن تغزو ملكًا دون تحذير مناسب". واجهتهم

صعوبة في كتابة رسالة بدون وَرَقٍ وقلم وحبر، فلم يكن معهم أي شيء لكتابة رسالة التحذير؛ فتقرَّر إرسال بون كرسول، مع تعليمات بأن يطلب من الملك، بأدبٍ ولكن بحزم، الاستسلامَ.

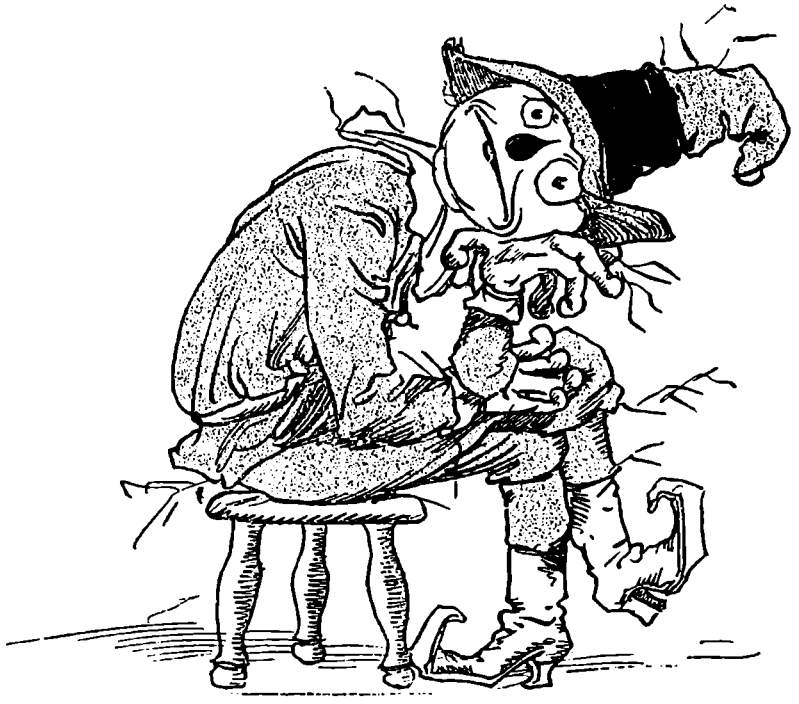

انتاب بون قلقٌ وتَوَتُّر حينما اختاروه ليكون رسولًا. في الواقع، ألمح إلى أنها قد تكون مَهمَّةً خطيرة للغاية. لكن خيال المآتة الذي أصبح الآن العقلَ المدبِّرَ لمهمة غزو المملكة، لم يقبل أي رفض. وهكذا توجَّه بون إلى قصر الملك، ورافقه الآخرون حتى كوخه، حيث قرَّروا انتظار عودة صبي البستاني.

أعتقد أن سبب أن بون تَرَدَّد وكاد يرفض القيام بتلك المهمة، هو أنه تعرَّف على خيال المآتة منذ فترة قصيرة، وهي فترة لا تكفي لكي يثق في حكمة رجل القَشِّ. كان من السهل عليه أن يقول للملك: "استسلم، وإلا

سنقوم بغَزوِكَ"، ولكن عندما اقترب من القلعة العظيمة ساوَرَه الشَّكُّ في قُدرَة رَجُلٍ مَحشوٍّ بالقش وفتاة صغيرة وجندب وأميرة متجمِّدة القلب على القيام بمَهمَّة الغزو حقًّا وإخضاع الملك. فهو شخصيًّا، لم يفكر أبدًا في تحدِّي الملك من قبل؛ ولهذا لم يتحلَّ صبي البستاني بالجراءة عندما دخل القلعة ومرَّ عبر ساحة البلاط الملكي المغلَقَة حيث كان الملك جالسًا في ذلك الوقت، مع حاشيته المفضلة حوله. لم يمنع أحد دخول بون، لأنه كان معروفًا أنه صبي البستاني، ولكن عندما رآه الملك عبس بشدَّة. واعتبر أن بون هو المسؤول عن كل مشاكله مع الأميرة جلوريا، التي هربت منذ أن تجمَّد قلبها إلى مكان غير معروف، بدلًا من العودة إلى القلعة لتتزوج اللورد جنجلي جول، كما كان مُتوقَّعًا.

جزَّ الملك على أسنانه بغضب وهو يصرخ: "ماذا فعلتَ مع الأميرة جلوريا؟"، أجاب بون بصوت مترنِّح: "لا شيء يا جلالة الملك! لم أفعل شيئًا على الإطلاق. هي لم تَعُد تحبني وترفض التحدُّثَ معي"، زأر الملك: "إذن لماذا أنتَ هنا، أيُّها الوغد؟" نظر بون حوله، لكنه لم يَرَ أي منفذ للهرب؛ فاستجمع القليل من الشجاعة وقال: "أنا هنا لدعوة جلالتك للاستسلام"، صاح الملك: "الاستسلام؟ الاستسلام لمن؟".

غرق بون في عرقه وأجاب مرتَعِدًا: "إلى خيال المآتة". انزعج رجال الحاشية، لكن الملك كرول انتابه الغضب بدلًا من الانزعاج. انتفض من مجلسه وانهال ضربًا على بون المسكين بالصولجان الذهبي. انطلَقَت صرخات وتأوُّهات بون، وكاد يهرب لو لم يحتجزه اثنان من الجنود حتى انتهى جلالته من معاقبة الصبي. ثم تركوه يغادر القلعة، وعاد طول الطريق يبكي في كل خطوة لأن جسده ممتلئ بالكدمات المؤلمة للغاية.

حينما استقبله خيال المآتة سأله: "حسنًا، هل استسلم الملك؟". صدر صوت بون المسكين مبحوحًا من الألم: "لا؛ لكنه لقَّنني هزيمة جيدة!"، أسِفَت تروت على حال بون، لكن جلوريا لم تتأثَّر بأي شكل

مـن الأشـكال علـى الـذي مـن المفتـرض أنـه كان عشـيقها. قفـز الجنـدب إلـى كتـف خيـال المآتـة وسـأله عمَّا سـيفعله بعد ذلـك. كان الـردُّ الحاسـم: "الغزو"، وأكمـل بصـوتٍ هـادئ: "لكنـي سـأذهب وحـدي، هـذه المـرة؛ فالضـرب لا يمكـن أن يؤذينـي علـى الإطـلاق، ولا جـروح السـيوف، أو وخـز السـهام".

استفسـرت تـروت: "لمـاذا؟"، قـال ببسـاطة: "لأن ليـس لـديَّ أعصـاب، مثـل مـا يمتلكـه البشـر مـن لحـم ودم. حتـى الجنـادب لديهـا أعصـاب. لكـن القـشَّ ليـس لديـه أعصـاب؛ لـذا فـإن كل مـا يفعلونـه لا يمكـن أن يؤذينـي، باسـتثناء شـيء واحـد فقـط؛ لذلـك أتوقَّـع قهـر الملـك كـرول بسـهولة". سـألت تـروت: "مـا هـذا الشـيء؟"، قـال: "اطمئنِّي، لـن يخطـر لهـم علـى بـالٍ أبـدًا؛ لذلـك لا تقلقـي. والآن، إذا سـمحتِ لـي، فسـوف أذهـب إلـى القلعـة وأقـوم بالغـزو". ذكَّره بـون: "لكـن ليـس معـك أسـلحة".

قـال خيـال المآتـة: "صحيـح، لكـن إذا حملـت سـلاحًا، فقـد يصـاب شـخص مـا -ربمـا بشـكل خطيـر- وهـذا سـيجعلني غيـر سـعيد. سأسـتعير فقـط سـوط الركـوب، الـذي أراه فـي زاويـة كوخـك، إذا كنـت لا تمانـع". أعطـاه بـون السـوط وغـادر خيـال المآتـة الكـوخ ماشـيًا بتمهُّـل علـى طـول الطريـق إلـى قلعـة الملـك.

الفصل السابع عشر

الأورغ ينقذ برعم باهر

ينبغي أن أحكي لكم ما حدث للصبي برعم باهر، منذ أن خرج في الصباح الباكر وتاه. الصبي الصغير، كما بالتأكيد اكتشفتم، يمتاز بميزاتٍ عجيبة فيما يخصُّ شخصيته، لا شيء يذهله، ولا شيء يقلقه أو يتسبَّب في عدم سعادته، سواء حسن الحظ أو سوء الحظ، دائمًا ما يقابل الأمور بابتسامة هادئة، لا يشتكي أبدًا، مهما حدث. كان هذا أحد الأسباب التي جعلته محبوبًا لكلِّ مَن عرفه، وربما هو السبب الذي جعله يواجه كثيرًا من الصعوبات بمفرده أو حين يجد نفسه تائِهًا.

اليوم، بينما يتجوَّل هنا وهناك، على التل وأسفل الوادي، مفتقدًا تروت وكابتن بيل، رغم أن ذلك لم يدفعه ليكون غيرَ سعيد، قضى وقته في الاستمتاع برؤية الطيور تغنِّي بمرح، والأزهار البرية مُشرِقة وجميلة، والنسيم له رائحة مُنعِشة. وأخيرًا تَنَهَّد وقال لنفسه: "هذا

البلـد جميـل حقًّـا، والشـيء السـيئ الوحيـد فيـه هـو الملـك. لكـن البلـد ليسـت مسـؤولةً عـن ذلـك".

أخـرج أرنـب رأسـه الناصعـة البيـاض مـن جُحـرٍ فـي الأرض، ونظـر إلـى الصبـي بعينيـن سـاطعتين، وقـال: "التَـفَّ حـول منزلـي مـن فَضلِـكَ؛ حتـى لا تـؤذي أو تزعـج أطفالـي". أجـاب برعـم باهـر: "طيـب"، وحـرص علـى عـدم الصعـود إلـى التـل والالتفـاف حـول جُحـر الأرنـب. ومضـى فـي طريقـه بـدون هـدى وهـو يصفِّـر بمـرح حتـى صـاح صـوتٌ رقيـقٌ: "أوه، توقَّـف! مـن فضلـك أوقِـف هـذه الضوضـاء. إنهـا تثيـر أعصابـي". كان الصـوت صـادِرًا مـن بومـة رماديـة عجـوز تجثـم علـى فـرع شـجرة بلـوط، فأجـاب ضاحـكًا: "طيِّـب"، وتوقَّـف عـن الصفيـر حتـى تجـاوَزَ البومـة. فـي الظهيـرة، دخـل مزرعـةً حيـث يعيـش زوجـان عجـوزان، وقدَّمـوا لـه عشـاءً جيِّـدًا وعامَلـوه بلُطـف، لكـن الرجـل كان أصمَّ، والمـرأة غبيـة؛ لـذا لـم يتمكَّنـا مـن الإجابـة عـن أي أسـئلة لإرشـاده فـي الطريـق إلـى منـزل بـون؛ لـذا عندمـا غادرهـم ظـلَّ تائِهًـا كمـا كان مـن قبـل.

دخـل كلَّ بسـتانٍ قابَلَـه علـى طـول المسـافة التـي مَشِـيَها منـذ توهانـه؛ لأنـه تذكـر أن قلعـة الملـك كانـت بالقـرب مـن بسـتان مـا، كمـا أن كـوخ بـون بالقـرب مـن قلعـة الملـك؛ لكنـه فـي كل مـرَّة يقابـل خيبـة أمـل. أخيـرًا، خـرج مـن أحـد هـذه البسـاتين إلـى العـراء ووجـد نفسـه وجهًـا لوجـه أمـام الأورغ، فقـال برعـم باهـر: "مرحبًـا. مـن أيـن أتيـتَ؟"، ردَّ بلُطـف: "مـن أورغلانـد. لقـد عثَـرتُ علـى موطنـي، أخيـرًا، وهـو ليـس بعيـدًا عن هنـا. كنتُ سـأعود إليكـم مُبكِّـرًا لأرى كيـف حالكـم فـي هـذه البلـد الغريبـة عنكـم، لـو لـم تسـتقبلني عائلتـي وأصدقائـي بترحـاب كبيـر وأقامـوا احتفـالًا رائعًـا؛ لذلـك لـم أسـتطع مغـادرة أورغلانـد مـرة أخـرى حتـى انتهـاء الحفـل". سـأل الصبـي: "هـل يمكنـك العـودة إلـى موطنـك مـرة أخـرى؟"، قـال: "نعـم، بسـهولة، حاليًـا، أعـرف مكانهـا بالضبـط. ولكـن أيـن تـروت وكابتـن بيـل؟".

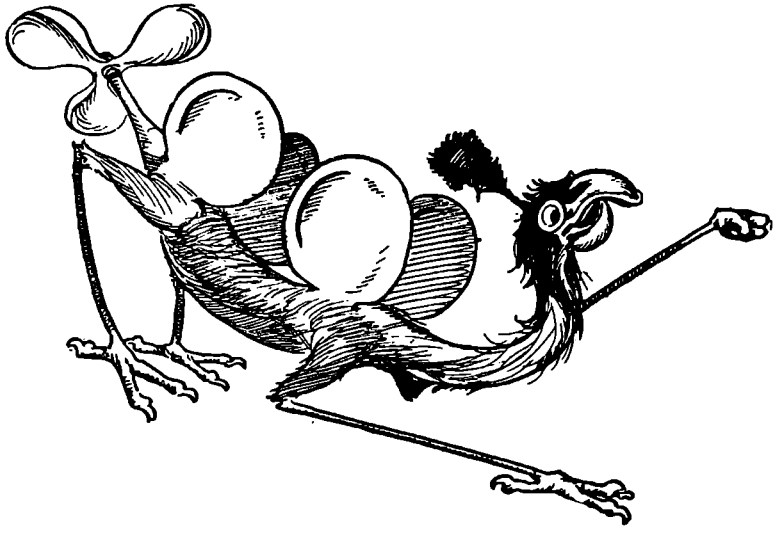

حكى برعم باهر للأورغ كل ما حدث منذ أن تركهم في جينكسلاند، وأخبره عن قلق تروت من أن الملك قد فعل شيئًا شريرًا لكابتن بيل، وعن حبِّ صبي البستاني بون للأميرة جلوريا، وكيف تمَّ طرده مع تروت من قلعة الملك. كانت هذه هي كل الأخبار التي يعرفها الصبي، والتي جعلت الأورغ أكثرَ قَلقًا على سلامة أصدقائه؛ فقال: "إذن يجب أن نذهب إليهم في الحال؛ فقد يحتاجون إلينا". اعترف برعم باهر: "أنا تائه. لا أعرف إلى أين أذهب". طَمأَنَه الأورغ وقال: "حسنًا، يمكنني أن أعود بك إلى كوخ صبي البستاني، فحينما أطير عاليًا في الهواء يمكنني رؤية مساحات شاسعة بالأسفل على الأرض، لقد حدَّدتُ مكان قلعة الملك بسهولة. وهكذا عثرتُ عليك، رأيتك تدخل البستان أثناء طيراني، فنزلت على الأرض، وانتظرتُ حتى تخرج". سأل الصبي: "هل يمكنك أن تحملني؟"، رَدَّ بثقة: "عليك أن تجلس على ظهري وتتشبَّث بذراعيك حول رقبتي". قعد الأورغ القرفصاء وصعد الصبي على ظهر الطائر وتشبَّث بعنقه النحيل بإحكام.

دار الأورغ فـي الهـواء مـرَّةً أو مرتيـن، حـدَّد بعيونـه الحـادة أبـراج القلعـة، وتوجَّـه مباشـرة ناحيتهـا. أثنـاء تحليقـه بالقـرب مـن القلعـة، أشـار برعـم باهـر إلـى كـوخ بـون، فانحـرف إليـه وهبـط بالقـرب منـه. خرجـت تـروت مُسـرِعةً لاسـتقبالهم. وحينمـا دخلـوا الكـوخ عَرَّفَـت الأميـرة جلوريـا وبـون بصديقهـم الأورغ، واسـتكملت حَكـيَ بقيـة التطـورات حـول تجميـد قلـب الأميـرة جلوريـا. قـال الأورغ: "حسـنًا، إنـه أمـر مُؤسِـفٌ للغايـة، وأودُّ أن أقابـل ذلـك الملـك اللئيـم وسـاحرته الشـريرة وأعاقبهمـا بشـدَّة". اندهـش الأورغ إن كابتـن بيـل تحـوَّل إلـى جنـدب. وسـأله: "كيـف الحـال؟"، أجـاب كابتـن بيـل وهـو جاثـم علـى كتـف تـروت: "ماشـي الحـال. مـا يُقلِقنـي حقًّـا هـو أننـي أخشـى أن أعتـاد علـى هـذا الوضـع؛ فأنـا لا أحـب نكهـة العشـب، ولا أعتقـد أنـي سـأتعوَّد علـى مذاقـه. مـن الطبيعـي أن آكل العشـب، كمـا تعلـم، بصفتـي جندبًـا، لكننـي بـدأت فـي الشَّـكِّ أنـه ذوقٌ مُكتَسَـب"، وتفحَّـص الجنـدب باهتمـام بالـغ وأكمـل: "أنـت صغيـر للغايـة، يـا كابتـن بيـل، لكنـي أعتقـد أنـي سـأتعرَّف عليـك فـي أي مـكان مـن سـاقك الخشـبية، ولـو لـم أكـن تعرَّفـتُ عليـك مـن سـاقك الخشـبية، فاحتمـال كنـت قـد أصبَحـتَ طعامًـا لذيـذًا لـي". ومـن وقتهـا لـم يتفـوَّه الجنـدب الرمـادي بـأي كلمـة.

اسـتكملت تـروت بقيـة الأخبـار المسـتجدة عـن مجـيء خيـال المآتـة مـن أرض أوز لمسـاعدتهم، وقيامـه بمَهمَّـة الغـزو بمفـرده. انزعـج الأورغ إلـى حدٍّ مـا مـن تلـك الأخبـار التـي تخـصُّ خيـال المآتـة، وصمَّـم علـى مسـاعدته، وقـال: "أخشـى أن تسـوء الأمـور، ولا داعـي أن أخبركـم مـا قـد يفعلـه ذلـك الملـك الرهيـب بالمسـكين خيـال المآتـة؛ لذلـك أعتقـد أننـي سـأفعل مـا بوسـعي للمسـاعدة فـي مَهمَّـة الغـزو تلـك"، سـألت تـروت: "كيـف؟".

كان الـرد بـه قَـدرٌ مـن التَّمهُّـل: "انتظـري وسـترين. لكـن، أوَّلًا وقبـل كل شـيء، يجـب أن أعـود إلـى وطنـي مـرة أخـرى؛ لـذا سـامحيني علـى مغادرتـي سـريعًا، فيجـب أن أطيـر فـي الحـال. إذا سـمحتم، ابعِـدوا قليـلًا عـن ذيلـي؛ فهـو يحتـاج مسـاحة ليلـف ويـدور للإقـلاع فـي الهـواء"، وفـور أن منحـوه

مسـاحة كافيـة انطلـق كالسـهم، وسـرعان مـا اختفـى فـي السـماء. قـال برعـم باهـر وهـو ينظـر إلـى طيـران الأورغ: "لا أظنـه سـيعود مـرَّةً أخـرى"، قالـت تـروت بجدِّيَّـة بالغـة: "بالطبـع سـيعود! الأورغ رفيـقٌ جيِّـد ومُخلِـص، ويمكننـا الاعتمـاد عليـه. تذكَّـر كلامـي هـذا يـا برعـم باهـر: سـيعود الأورغ، وإذا كان هنـاك رجـلٌ وحيـد فـي جينكسـلاند يخشـى عودتـه فهـو الملـك اللئيـم كـرول".

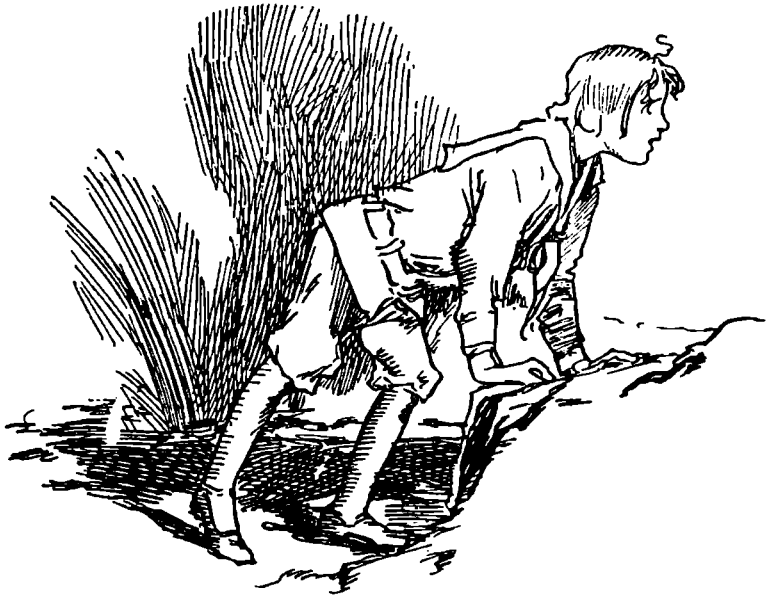

الفصل الثامن عشر

خيال المآتة يُواجِه عَدوًّا

لـم يَخـشَ خيـال المآتـة الملـكَ كـرول. بـل، فـي الواقـع، كان يسـتمتع بفرصـة قهـر الملـك اللئيـم ووضـع جلوريـا علـى عـرش جينكسـلاند مكانـه؛ لذلـك تقـدَّم بجـرأة إلـى القلعـة الملكيـة وطلـب الدخـول. فـور أن رأى الجنـود أنـه غريـب، سـمحوا لـه بـدون تـردُّد، حسـب الأوامـر السـابقة. سـار بحسـم مباشـرة إلـى قاعـة العـرش، حيـث كان جلالـة الملـك فـي ذلـك الوقـت مشـغولًا بالفصـل فـي خلافـات بيـن رعاياه. صـاح الملـك بصـوت جهـوري فـي وجـه الغريـب القـادم: "مَـن أنـتَ؟"، فقـال بهـدوء: "أنـا خيـال المآتـة مـن أوز، وآمُـرُكَ بالاستسـلام وأن تصبـح سـجينًا لـديَّ"، سـأل الملـك، مُندهشًـا مـن جـرأة رجـل القـش: "لمـاذا يجـب أن أفعـل ذلـك؟"، رَدَّ بنفـس الهـدوء والنبـرة الحاسـمة: "لأنـي كَشَـفتُ أنَّـكَ مَلـكٌ قـاسٍ ولئيـم ولا تسـتحق أن تحكـم بلـدًا جميـلًا. يجـب أن تتذكَّـر أن جينكسـلاند جـزءٌ

مـن أوز، وبالتالـي فأنـت مديـنٌ بالـولاء لأميـرة أوز أوزمـا، وبصفتـي صديقهـا ومستشـارها الأميـن يجـب عليـك تنفيـذ مـا آمُـركَ بـه".

الآن، عندمـا سـمع هـذا الـكلام، انزعـج للغاية؛ فقـد كان يعلـم أن خيال المآتـة يقـول الحقيقـة. لكـن لـم يـأتِ أحـدٌ مـن أرض أوز إلـى جينكسـلاند مـن قبـل ليلقـي عليـه هـذا التحذيـر والوعيـد، ولـم يكـن الملـك ينـوي أن يُطـرد مـن عرشـه طواعِيَـةً وبـدون جـدال؛ فضحـك ضحكـة سـخرية قاسـية وشـريرة وقـال: "أنـا مشـغول الآن. ابتَعِـد عـن طريقـي، يـا خيـال المآتـة"، لكـن خيـال المآتـة التفـت إلـى الحاشـية والنـاس المجتمعيـن ونـادى بصـوتٍ عـالٍ: "أعلـن بموجـب مرسـومٍ باسـم أميـرة أوز الأميـرة أوزمـا، أن هـذا الرجـل لـم يَعُـد حاكـم جينكسـلاند. مـن هـذه اللحظـة الأميـرة جلوريـا هـي الملكـة الشـرعيَّة للبـلاد، وأطلـب منكـم جميعًـا أن تكونـوا مُخلِصيـن لهـا وأن تمتثلـوا لأوامرهـا".

نظـر النـاس برهبـةٍ إلـى الملـك، الـذي كرهـوه جميعًـا مـن أعمـاق قلوبهـم، لكنهـم أيضًـا يخافونـه. انتابـت كـرول حالـة هيـاج وغضـب رهيب، ورفـع صولجانـه الذهبـي وضـرب خيـال المآتـة ضربـة شـديدة، فسـقط علـى الأرض. لكنـه نهـض مـرة أخـرى، فـي لحظـة، وبسـوط بـون رد الضربـة للملـك ولسـوعه بشـدَّة، لدرجـة أنـه زأر مـن الألـم والغضـب، وأمـر جنـوده بالقبـض علـى خيـال المآتـة.

حـاول الجنـود تنفيـذ أوامـر الملـك، وقامـوا بنغـز خيـال المآتـة برماحهم وسـيوفهم لدفعـه للسـجن، لكـن كل جهودهـم كانـت بـدون جـدوى، فلـم يُسـبِّب ذلـك أي ضـرر للجسـد المحشـو بالقـش، باسـتثناء بعـض الثقـوب فـي ملابسـه. ورغـم ذلـك، كانـوا كُثـرًا ضـدَّ واحـد. وأخيـرًا أحضـر اللـورد جنجلـي جـول العجـوز حبـلًا وقـام بلفـه حـول خيـال المآتـة، وربـط سـاقيه معًـا وذراعيـه علـى جانبيـه، وبهـذا انتهـى القتـال.

هـاج ومـاج الملـك وظـلَّ يلـفُّ ويـدور فـي قاعـة العـرش فـي غضـبٍ مُـروِّع، فلـم يُلَسـوِعه أي شـخص منـذ أن كان صبيًّـا. وبـدون تـردُّد أمـر برمـي خيـال المآتـة فـي غياهـب سـجن القلعـة، وهـو مـا لـم يكـن مشـكلةً علـى الإطـلاق لأن مجـرَّد جنـدي واحـدٍ يمكنـه حملـه بسـهولة وهـو مُقيَّـد بالحبـال.

حتى بعد إبعاد السجين، لم يستطع الملك السيطرة على غضبه. لقد حاول أن يكتشف طريقةً ما للانتقام من رَجُل القَشِّ، لكنه لم يستطع التفكير في شيء يمكن أن يؤذيه. أخيرًا، حينما انسلَّ جميع الناس المذعورين ورجال البلاط الخائفين، اقترب اللورد جينجلي جول العجوز من الملك بابتسامة خبيثة على وجهه وقال: "سأقول لك ماذا عليك أن تفعل. أشعِلْ نارًا كبيرة وأَحرِقْ خيال المآتة فتَكُن نهايته". تهلَّلَت أسارير الملك بهذا الاقتراح لدرجة أنه احتضن اللورد جينجلي جول العجوز بحرارة وهتف: "بالتأكيد! كيف لم أفكر بذلك بنفسي؟".

استدعى جنوده وخدمه وأمرهم بإعداد نار كبيرة في مكان مفتوح في حديقة القلعة. كما أرسل يدعو جميع أفراد شعبه ليشهدوا القضاء على خيال المآتة الذي تجرَّأ على تحدي نفوذ الملك. لم يَمضِ وقت طويل حتى تجمَّعَت حشود كبيرة في المتنزَّه الخارجي للقلعة. وقام الخدم بتجميع ما يكفي من الحطب لإشعال حريق يمكن رؤيته على بُعد أميال، حتى في عز النهار. عندما تمَّ تجهيز كل شيء، أحضر الملك عرشه لحديقة القصر؛ ليجلس عليه ويستمتع بالمشهد، ثم أرسل جنوده لإحضار خيال المآتة من محبسه.

الآن عرفنا ما هو الشيء الوحيد في العالم الذي يخافه رجل القَشِّ حقًّا، إنه النار. كان يعلم أنه سيحترق بسهولة شديدة لدرجة أنه لن يتبقى رماد يستحقُّ البكاء عليه. لن يؤلمه القضاء عليه بهذه الطريقة، بقدر معرفته أنه سيكون مؤلِمًا للناس في أرض أوز، خاصَّةً دورثي وأوزما، إذا علموا أن صديقهم القديم خيال المآتة لم يعد موجودًا.

على الرغم من ذلك، كان رجل القش شجاعًا وواجه مصيره الناريَّ المميت كبطل. ولمَّا خرجوا به أمام حشد الناس التفت إلى الملك بهدوء شديد وقال: "هذا العمل الشرير سيُكلِّفكَ عرشك، بالإضافة أنك ستعاني كثيرًا؛ لأن أصدقائي سينتقمون لي". أجاب الملك بصوتٍ مليء بالازدراء: "أصدقاؤك ليسوا هنا، ولن يعرفوا ما سأفعله بك، عندما يتمُّ القضاء عليك لن تستطيع إخبارهم".

ثم أمر بربط خيال المآتة بعمود قويٍّ مُثبَّت في الأرض بينما يتراكم حوله حطب جافٌّ كوقود جاهز للاشتعال. عندما تمَّ قيد خيال المآتة، قامت الفرقة الملك الموسيقية النحاسية بعزف لحن جنائزي، وحينها تقدَّم العجوز جنجلي جول بشعلة وأضرم النار في كومة الحطب.

في الحال اندلعت النيران واقتربت أكثر فأكثر نحو خيال المآتة. انشغل الملك وحشد الجماهير بمتابعة هذا المشهد الرهيب لدرجة أن أحدًا منهم لم يلاحظ كيف أصبحت السماء مُظلِمَةً فجأة. ربما ظنُّوا أن صوت الأزيز العالي -مثل ضجيج عشرات قطارات السكك الحديدية المتحرِّكة- جاء من الحطب المشتعل، وأن اندفاع الرياح مجرَّد هبوب اشتعال النيران. ولكن فجأة اجتاح سِربٌ من الأورغ، مائة منهم على الأقل، وشَتَّتت تيارات الهواء القوية الناتجة عن ذيولهم الدَّوَّارة النيرانَ المشتعلة في كل اتجاه، بحيث لم تلمس أي شرارة خيال المآتة.

لكن هذا لم يكن التأثير الوحيد لهذا الإعصار المفاجئ، فقد اقتلع عرش الملك كرول من مكانه وتدحرج على أعقابه حتى هبط على نتوء في حائط حجري لقلعته، وقبل أن يتمكَّن من النهوض، قعد أورغ كبير عليه وثبَّتَه في الأرض. طار اللورد العجوز جنجلي جول في الهواء مثل صاروخ وسقط بين فروع شجرة قريبة، حيث تعلَّقَت أوشحته الكثيرة بغصون الشجرة وتدلَّى في الهواء كالذبيحة، وظلَّ يرفس بقدميه ويديه بدون جدوى، ويعوي من أجل الرحمة التي كشفت حقيقة أنه مجرَّد جبان.

ضغط حشد الجماهير بعضه على بعض خوفًا وتَزاحُمًا وفرارًا من طيران الشرارات والإعصار المفاجئ من سرب الأورغ، بينما سقط الجنود أرضًا وتعثَّروا في أسلحتهم التي لم يعرفوا كيف يستخدمونها في هذا الموقف العصيب المفاجئ. ساد الهرج والمرج المشهدَ لبضع دقائق، ونظر كل مواطن خائف من جينكسلاند برهبة وذهول إلى الأورغ الذين ساعد مَقدِمُهم إنقاذ خيال المآتة وقهر الملك كرول في وقت واحد. سرعان ما تمكن الأورغ، صديقنا، الذي كان قائِدَ الفرقة، من تحرير خيال

المآتة من ربطته. ثم قال: "حسنًا، لقد حضرنا في الوقت المناسب لإنقاذك. أنت الآن السيد هنا، ونحن مُصمِّمون على إطاعة أوامرك".

بهذا، التقط الأورغ التاجَ الذهبي، الذي سقط من رأس كرول، ووضعه على رأس خيال المآتة، الذي سار بطريقة مرتبكة قليلًا، ثم توجَّه إلى العرش وجلس عليه. حينما شاهَدَت حشود الجماهير ذلك، انطلق منهم تشجيعٌ وهتاف صارِخٌ عالٍ، كما ألقوا بقبعاتهم ولوحوا بمناديلهم وحَيَّوا خيال المآتة ملكهم. انضمَّ الجنود إلى الجماهير في الهتاف؛ لأنهم أدركوا أن سيدهم المكروه قد تمَّت هزيمته، وأنه سيكون من الحكمة إظهار حسن نِيَّتهم للفاتح. قام بعضهم بربط كرول بالحبال وسحبوه إلى الأمام، وألقوا جسده على الأرض أمام عرش خيال المآتة. كافح اللورد العجوز حتى انزلق أخيرًا عن طرف الشجرة وسقط على الأرض، وحاول الهرب، لكن الجنود قبضوا عليه وقيَّدوه بجانب كرول.

قال خيال المآتة: "لقد انقلب الموقف عليك"، ونفخ صدره حتى طقطق القَشُّ بداخله؛ فقد كان سعيدًا للغاية، وأكمل: "لكنَّكَ أنتَ وشعبك مَن فعل ذلك يا صديقي الأورغ، ومنذ الآن يمكنك أن تعتبر نفسك ساعدي الأيمن المخلص".

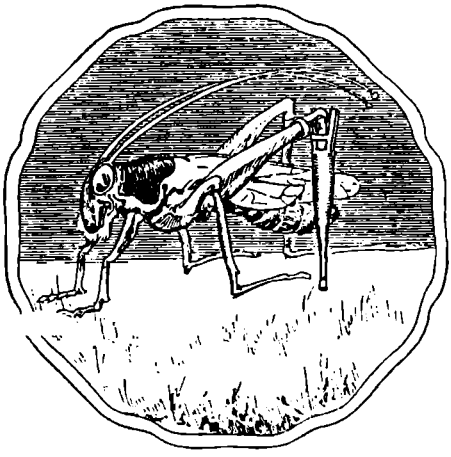

الفصل التاسع عشر

إخضاع الساحرة

بمجـرَّد إتمـام مَهمَّـة إخضـاع الملـك كـرول، أرسـل الجالـس علـى العرش أحـد الأورغ إلـى منـزل بـون بالأخبـار السـارة. فـي الحـال، سـارعت جلوريـا وبـون وتـروت وبرعـم باهـر نحـو القلعـة. وفـور دخولهـم مـن البوابـة، فاجأهـم إلـى حـدٍّ مـا منظـرٌ سـطع أمـام أعينهـم بمهابـة: خيـال المآتـة، الملـك المتـوَّج، مُسـتقرًّا علـى عـرش المملكـة، وتنحنـي أمامـه حشـود الجماهيـر بتواضُـعٍ. أطلقـت تـروت صيحـات الفـرح وتوجَّهَـت مباشـرة ووقفـت بجانـب العـرش. قفـز كابتـن بيـل، باعتبـاره الجُنـدُبَ الرمـاديَّ، الـذي كان يجثـم علـى كتـف تـروت، إلـى كتـف خيـال المآتـة وهمـس فـي الأذن المرسـومة: "علـى مـا أعتقـد جلوريـا هـي ملكـة جينكسـلاند".

هـزَّ الملـك المُتـوَّج رأسـه وأجـاب: "ليـس بعـدُ. لا تصلـح ملكـة بقلـب متجمِّـد للحُكـم"، ثـم التفـت إلـى صديقـه الجديـد، الأورغ، الـذي كان

يتبختر، فخورًا بما فعله، وقال: "هل تعتقد أنك أو أتباعك، يمكن أن تجدوا بلينكي الساحرة العجوز؟"، سأله بشكل مباشر: "أين هي؟"، قال: "في مكان ما في جينكسلاند، أنا متأكِّد"، قال الأورغ: "إذن، سنتمكَّن بالتأكيد من العثور عليها"، ردَّ خيال المآتة المُتوَّج: "سيسعدني عثوركم عليها، عندما تجدها، أحضِرها فورًا إلى هنا، وسأقرِّر بعد ذلك ماذا أفعل بها".

دعا الأورغ أتباعه وتحدَّث إليهم بضع كلمات بصوتٍ هامس ليلقي لهم التعليمات. وفي لحظة واحدة صعد خمسون منهم في الهواء مرَّةً واحدة، وبالطبع أثاروا عاصفة، أطارت خيال المآتة، خفيف الوزن للغاية، من العرش إلى ذراعَيْ بون، الذي استغلَّ الفرصة وسارع بالجلوس على العرش لدقائق فقط. كانت هناك دوَّامة من الغبار والرماد أيضًا، ولم ينقذ الجندب نفسه من الضياع وسطها إلا بالقفز على شجرة قريبة، وفور انتهاء دوَّامات إقلاع الأورغ، عاد عبر سلسلة من القفزات إلى كتف تروت مرة أخرى.

ألقى خيال المآتة خطابًا أمام الناس وقدَّم لهم جلوريا، الذين كانوا يعرفونها جيدًا بالفعل ويحبُّونها، لكن لم يعرف أحدٌ بقلبها المتجمِّد. كما روى لهم جرائم الساحرة الشريرة، والتي شجَّعها ودفع ثمن جرائمها كرول وجنجلي جول؛ ممَّا أثار غضب وثورة الناس عليهم.

في غضون ذلك، انتشر الخمسون أورغ في جميع أنحاء أرض جينكسلاند، التي هي ليست بلدًا كبيرة حقًّا، ولكن البحث تَطلَّب أن تحدِّق أعينهم الحادة في كل وادٍ وبستان وقناه بعناية. أخيرًا، لاحظ أحدهم ما أثار اهتمامه، زوج من الأحذية ذات الكعوب المميَّزة برزت من تحت أكمة شجيرات، وبصفارة معيَّنة تحذيريَّة استدعى رفاقه ونبَّههم إلى أنه عثر عليها، هبط وسحب العجوز بلينكي من مخبئها. ثم ساعده اثنان أو ثلاثة من الأورغ بالقبض عليها من ملابسها بمخالبهم القوية، ورفعوها عاليًا في الهواء، صرخت، وحاول التَّملُّص والفرار،

لكن دون جدوى، ثم طاروا بها مباشرة إلى القلعة الملكية ووضعوها أمام عرش خيال المآتة.

صاح رجل القشّ وأومأ برأسه بارتياح، وقال: "حسنًا! الآن يمكننا العمل. أيَّتها الساحرة، أنا مضطرٌّ لأن أطلب، بلطف ولكن بحزم، أن تُبطِلي الجرائم السحرية التي ارتَكَبتِها بتعاويذك السحرية الشريرة"، هتَفَت العجوز بلينكي: "أتحدَّاكم جميعًا أن تجبروني على ذلك، بقوتي السحرية يمكنني تحويلكم جميعًا إلى خنازير، تُعَشعِش في الوحل، وسأفعل ذلك إذا لم تطلقوا سراحي".

قال خيال المآتة: "لقد أخذتِ الاختيار الخطأ"، ثم نهض من عرشه ومشى بخطوات متمهِّلة وتوقَّف إلى جانب الساحرة الشريرة، وقال لها بلهجة صارمة: "قبل أن أغادر أرض أوز، أعطتني الساحرة الملكية جلينداصندوقًا، لم أكن لأفتحه إلا في حالة الطوارئ. وأنا متأكِّد تمامًا من أن هذه المناسبة هي حالة طارئة؛ أليس كذلك، تروت؟"، وقال تلك الجملة الأخيرة بينما يستدير نحو الفتاة الصغيرة. أجابت تروت بجدِّيَّة: "نعم، علينا أن نفعل شيئًا، الأمور في حالة من الفوضى المروِّعة هنا، الآن، وستكون أسوأ إذا لم نوقف هذه الساحرة من إلحاق المزيد من الأذى بالناس"، قال خيال المآتة: "هذا ما أقصده بالضبط"، وأخرج صندوقًا صغيرًا من جيبه وفتح الغطاء وألقى بالمحتويات نحو بلينكي.

تراجَعَت المرأة العجوز إلى الوراء، شاحِبةً ومرتجفة، وتَناثَرَ غبار اللافندر حولها، وتحت تأثيره بَدَت لعيون حشود الجماهير تذبل وتتضاءل وتتقلَّص. صرخت وهي تفرك يديها من الخوف. "أوه، لا، أنقِذوني، لا، هل لديك ترياق ضدَّ ما يحدث لي؟ ألم تُعطِكَ الساحرة المَلكيَّة صندوقًا آخر؟"، أجاب خيال المآتة: "نعم، فعَلَت"، توسَّلت الساحرة الشريرة: "أرجوك أعطني إيَّاه بسرعة. وسأفعل أي شيء تطلبه مني!"، قال بحزم: "ستفعلين ما أطلبه أوَّلًا".

كان هـذا الغبـار مُستَخلصَ نبـات سـحريٍّ تعرفـه تـروت جيِّـدًا، إنـه تـوت اللاڤنـدر. وبالطبـع السـاحرة تذبـل وتنكمـش فـي كل لحظـة، فصرَخَـت فيـه: "بسـرعة، إذن! قُـل لـي مـاذا علـيَّ أن أفعـل ودعنـي أفعلـه، وإلا سـيكون الوقـت قـد فـات"، قـال خيـال المآتـة: "لقـد جعلـتِ صديـق تـروت، كابتـن بيـل، جندبًـا. هيَّـا أعيديـه لشـكله المناسـب الأصلـي مـرَّةً أخـرى"، صرخـت: "أيـن هـو؟ أيـن الجنـدب؟ بسـرعة، بسـرعة!".

راقـب كابتـن بيـل المشـهد باهتمـام؛ فقـد كان يعـرف تأثيـر هـذا المكـوِّن السـحري عليهـا، قفـز قفـزة كبيـرة مـن كتـف تـروت إلـى كتـف خيـال المآتـة. فـرأت بلينكـي الجنـدب وهـو يقفـز مـن كتـف لكتـف، فشـرعت علـى الفـور فـي القيـام بحـركات سـحرية وغمغمـت بتعاويـذ سـحرية. فقـد كانـت فـي عجلـة مـن أمرهـا، مُدرِكَـةً أنـه ليـس لديهـا وقـت تُضيِّعـه، وفجـأة تحـوَّل الجنـدب إلـى البَحَّـار كابتـن بيـل، فـي الهـواء، فسـقط علـى الأرض فـي هيئتـه الأصليـة، ولكنـه نهـض سـريعًا ونفـض الغبـار عـن ملابسـه وعانـق تـروت بسـعادة بالغـة.

توسَّـلَت بلينكـي أكثـر وقالـت بكلمـات متعجِّلـة: "الصنـدوق الآخـر! بسـرعة! الصنـدوق الآخـر! التريـاق! أرجـوكَ! سـأضيع!"؛ فقـد وصـل انكماشـها إلـى نصـف حجمهـا. ولكـن خيـال المآتـة أصـرَّ وقـال بحـزم: "ليـس بعـدُ. مـا زال عليـكِ أن تذيبـي قلـب الأميـرة جلوريـا المتجمِّـد"، تمَلَّكَـت السـاحرة نوبـة رعـب وخـوف؛ فهـي مـا زالـت تنكمـش، وقالـت: "لا أسـتطيع! لا أسـتطيع! إنـه عمـل فـي غايـة الصعوبـة!". تحوَّلَـت ملامـح الجديـة والحـزم علـى وجـه خيـال المآتـة بشـكل غريـب وهـو ينطـق بـكل حـزم: "يجـب عليـكِ فعـل ذلـك".

ألقـت السـاحرة نظـرة علـى خيـال المآتـة ولم يسـاورها الشـك فـي جديته وصرامتـه، وعرفـت أنـه يقصـد كل حـرف فـي تحذيـره، فشـرعت سـريعًا فـي اللَّـفِّ والـدوران حـول الأميرة جلوريا بشـكل هسـتيريٍّ، لتُنفِّذ طقوس سـحرها. نظـرت الأميـرة لهـا ببـرود، وكأنهـا لا تهتـم بمـا يحـدث حولهـا. نتفت السـاحرة خصلـة مـن شـعرها ومزَّقَـت قطعـة مـن ذيـل ردائهـا، وربطـت خصلة الشـعر بقطعـة القمـاش. ثـم ركعـت علـى ركبتيهـا وأخرجـت مسـحوقًا أرجوانيًّـا مـن

حقيبتها السوداء ونثرته على القماش الذي يحتوي على شعرها وقالت بنواح: "أكره أن أفعل ذلك! أكره أن أفعل ذلك! فهذه آخر حفنة من هذا المسحوق في العالم! ولكن يجب أن أضحِّي به لأنقذ حياتي. أريد عودَ ثقاب! أريد عود ثقاب! هيا بسرعة".

كابتن بيل هو الوحيد الذي يحمل علبة ثقاب في معطفه من بين الحضور، ولم يتوانَ لحظة عن تقديمه للساحرة، والتي أشعلت النار في المكوِّنات التي صنعتها. على الفور تصاعَدَ ضباب أرجواني غلَّف الأميرة جلوريا التي تقف بجمود أمام الساحرة، تدريجيًّا تَغيَّر لون الضباب من أرجواني قاتم ومعتم إلى ورديٍّ لامع وشفَّاف. شاهد الجميع قلب الأميرة جلوريا التي تقف بشموخ وكبرياء وقد أصبح مرئيًّا والثلج الأبيض يذوب تدريجيًّا ويتحوَّل القلب الجامد الثلجي إلى قلبٍ نابض ودافئ، وتحوَّل اللون من الأبيض الثلجي للأحمر القاني. تشتَّتَ الضباب، وقبل أن يتوارى القلب داخل صدر الأميرة، أصبح بإمكان الجميع رؤية القلب ينبض ويدق مثل أي قلب آخر. وبانت على وجه الفتاة أمارات السعادة والفرح، وابتسمت بحنانٍ وودٍّ لأصدقائها الذين تجمَّعوا حولها لتهنئتها بعودتها سالِمَةً من مأساة القلب المتجمِّد.

تقـدَّم بـون بخجـل، يخشـى مـن ردٍّ فعلهـا، بعيـون متضرِّعـة وذراعيـن ممدودتيـن باعتـزاز تجـاه حبيبتـه السـابقة، وحينمـا رأت الأميـرة ذراعَـيْ حبيبهـا ممدودتيـن سـارعت بإلقـاء نفسـها عليـه بـدون تـردُّد، واجتمـع قلبـان عاشـقان مـرة أخـرى، وسـاد صمـت علـى الحضـور احترامًـا للفـرح الـذي يغمـر العاشِـقَيْن. ولكـن صـوت بلينكـي صـرخ مُقاطِعًـا مُتوسِّـلًا متضرِّعًـا لخيـال المآتـة: "التريـاق! أعطِنـي الصنـدوق الآخـر! التريـاق!".

نظـر إليهـا بعينيـه الجذَّابتَيْـن الملوَّنَتَيْـن ورأى أنهـا حاليًـا ليسـت أطـول مـن رُكبَتـه. فأخـذ الصنـدوق الثانـي مـن جيبـه ونثـر محتوياتـه علـى بلينكـي. توقَّفـت عـن الانكمـاش، لكنهـا لـم تسـتطع اسـتعادة حجمهـا السـابق، وهـذا مـا أدركتـه المـرأة العجـوز الشـريرة جيِّـدًا. ولكـن مـا لـم تعرفـه أن محتويـات الصنـدوق الثانـي أبطـل قدراتهـا علـى صنـع السِّـحر؛ لـذا حيـن سـعت للانتقـام مـن خيـال المآتـة وأصدقائـه وشـرعت فـي إلقـاء تعاويـذ سـحرية تهـدف إلـى تدميـر نصـف مملكـة جينكسـلاند. أصابهـا ذهـول مـا أن مجهوداتهـا لـم تثمـر عـن أي أذيَّـة علـى الإطـلاق. لاحـظ خيـال المآتـة مـا تحـاول بلينكـي فِعلَـه، فقـال لهـا بهـدوء: "اذهبـي للمنـزل، يـا بلينكـي، وتأدَّبـي وأحسِـني التَّصـرُّف؛ لأنـك مـن هـذه اللحظـة لـم تعـودي سـاحرة، بـل امـرأة عجـوز عاديـة. وبمـا أنـك لـن تسـتطيعي إرهـاب الآخريـن بالسـحر الشـرير؛ حاوِلـي أن تصنعـي بعـض الخيـر فـي هـذا العالـم. فهـو جيِّـدٌ ومفيـدٌ لـكِ".

لكـن بلينكـي لـم تسـمع تلـك الكلمـات فقـد غرقـت فـي النحيـب والعويـل علـى ضيـاع قدراتهـا السـحرية، تمشَّـت بخطـى مُحطَّمـة لمنزلهـا، تنـدب مصيرهـا، وشَـيَّعَتها نظـراتُ كُلِّ مَـن شـاهدها غيـر آسـفٍ علـى مصيرهـا.

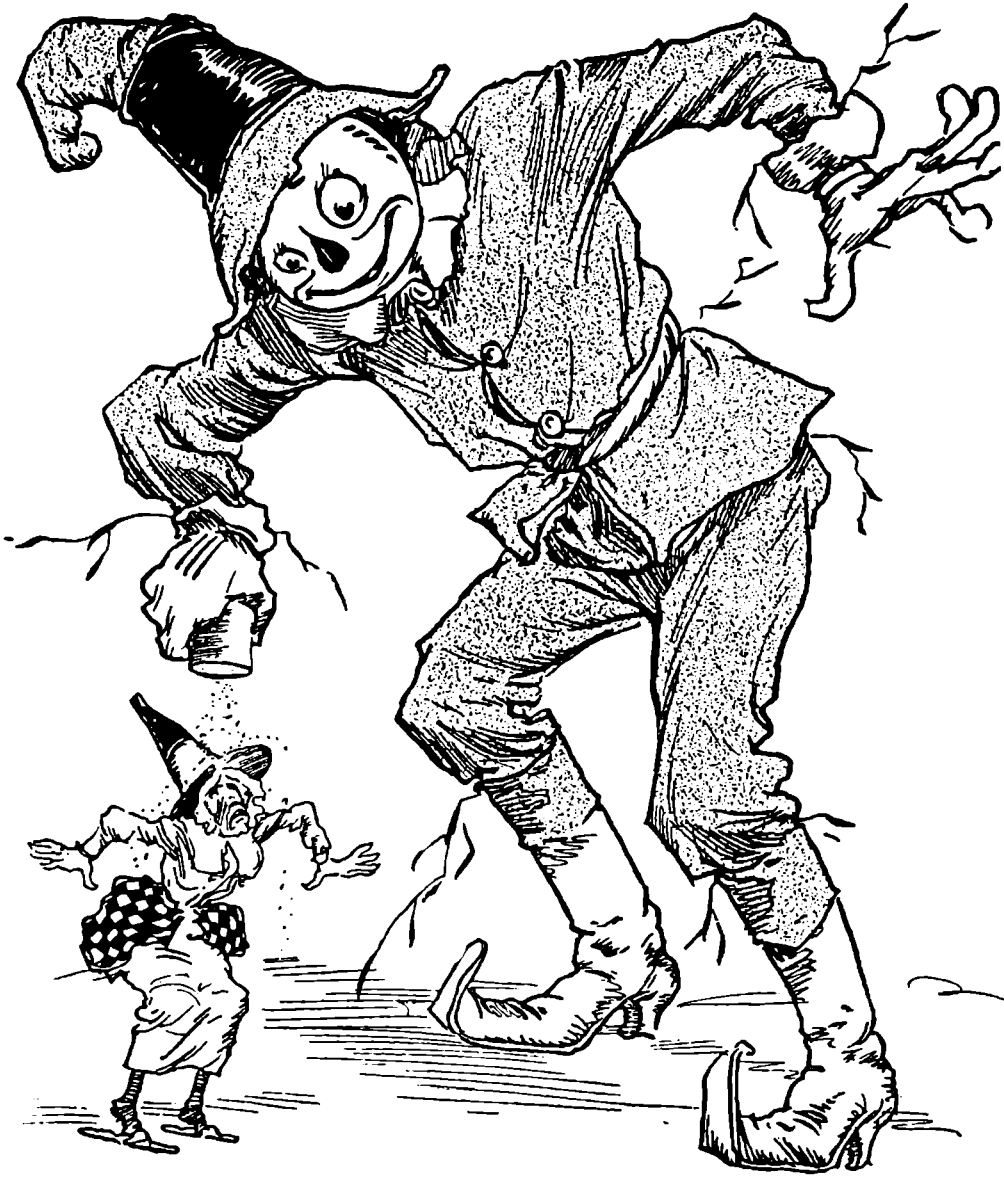

الفصل العشرون

الملكة جلوريا

في صباح اليوم التالي، دعا خيال المآتة جميع الحاشية والناس إلى التجمُّع في قاعة العرش بالقلعة، حيث كان هناك مُتَّسَع يكفي لجميع الذين تمكَّنوا من الحضور. شاهدوا رجل القش جالسًا على وسائد العرش المخمليَّة، وتاج الملك اللامع لا يزال على رأسه المحشو. على أحد جانبي العرش، جلست جلوريا على كرسي منخفض، وتبدو جميلة متألِّقةً ومنتعشة مثل وردة جديدة. على الجانب الآخر جلس بون، صبي البستاني، ولا يزال يرتدي ثوبه القديم الجذَّاب، وترتسم على وجهه أمارات الحزن والكآبة؛ لأنه لم يستطع أن يقنع نفسه أن أميرة رائعة جدًّا سوف تتنازل لتحبَّه عندما تتولَّى مقاليد حكم المملكة وتجلس على العرش. جلست تروت وكابتن بيل عند أقدام خيال المآتة؛ فقد كانا مهتمَّيْن كثيرًا بوَقَائِع الاجتِماع التي ستحدث.

برعم باهر تاه قبل موعد الإفطار، لكنه ظهر ودخل قاعة العرش قبل انتهاء الاحتفالات. اصطفَّ خلف العرش صفٌّ من الأورغ، وقائدهم في الوسط، وكان مدخل القصر يحرسه عددٌ أكبر من الأورغ، حيث نظر لهم الجميع بذهول ورهبة.

عندما احتشد الحضور، نهض خيال المآتة من على العرش وألقى كلمة. أخبر الناس كيف أن والد جلوريا، الملك الطيب كيند، الذي حكمهم ذات مرة وكان محبوبًا من قِبَل الجميع، قضى عليه الملك ڤيرسي، والد بون، وكيف قضى الملك كرول على الملك ڤيرسي. والكل يعرف بالطبع كم كان الملك كرول حاكمًا سيئًا، وأعلن خيال المآتة أن الملك الوحيد في جينكسلاند الذي كان له الحق في الجلوس على العرش هي الأميرة جلوريا، ابنة الملك كيند. وأضاف: "لكن ليس لي، الغريب عن مملكتكم، أن أقول مَن سيحكمكم. عليكم التقرير بنفسكم، وإلا فلن يحوز حاكمكم على رضائكم وولائكم؛ لذا اختاروا الآن مَن سيكون حاكمكم المستقبلي".

تعالت الهتافات: "خيال المآتة! خيال المآتة مَن سيحكمنا! خيال المآتة هو حاكمنا!"، وهو دليل أن رجل القش قد اكتسب شهرة كبيرة بإخضاع للملك كرول، واعتقد الناس أنهم يحبونه لدرجة تنصيبه كملك. لكن خيال المآتة هزَّ رأسه بقوة لدرجة أنه أصبح مفكوكًا، واضطرَّت تروت إلى تثبيته بقوة على جسده مرة أخرى. قال: "لا. مكاني ليس هنا، مكاني في أرض أوز، أنا الخادم المتواضع للفتاة الجميلة التي تحكمنا جميعًا- أوزما الملكية. يجب أن تختاروا أحد سكان هذه المملكة ليحكم على جينكسلاند. مَن يكون؟".

تردَّدوا للحظة، هتف البعض: "بون!"، لكنَّ كثيرين صاحوا: "جلوريا!" وبناء على التصويت الجماهيري، قاد خيال المآتة الأميرة جلوريا إلى العرش، ودعاها للجلوس على مقعد العرش، ثم نزع التاج اللامع من رأسه ووضعه على رأس السيدة الشابة، حيث استقرَّ بشكل جميل بين ثنايا الشعر الناعم. هتف الشعب وهلَّل فرَحًا وانحنى أمام ملكتهم

الجديدة. نهضت جلوريا من عرشها وأخذت يد بون بيدها ورفعته إلى المقعد بجانبها.

قالت بصوت عذب ووجهها يتألَّق بالسعادة: "سيكون لديكم ملك وملكة على حدٍّ سواء لرعايتكم وحمايتكم، يا رعايا المملكة الأعزَّاء. بون ابن للملك السابق قبل أن يصبح صبيَّ بستانيٍّ، ولأنني أحبه؛ اخترته ليكون رفيقي الملكي". فرح وهلَّل الجميع، وخاصة بون، الذي أدرك أن هذه أهم لحظة في حياته. هنَّأ تروت وبرعم باهر وكابتن بيل الملك بون على الزواج من الأميرة جلوريا الجميلة؛ لكن الأورغ تنحنح وعطس وقال إن من رأيه ربما الأداء الملكي للشابَّة أفضل.

ثم أمر خيال المآتة الحُرَّاس بإحضار كرول اللئيم، الذي لم يَعُد ملكًا، وعندما ظهر مُكبَّلًا بالسلاسل ويرتدي ملابس السجن البالية، همهم الناس وتراجعوا أثناء مروره حتى لا تلمسه ملابسهم. لم يَعُد كرول متعجرفًا أو متغطرسًا؛ على العكس من ذلك، بدا ذليلًا وفي خوف شديد من المصير الذي يخبِّئه الغازي. أخيرًا سنحت الفرصة للملك بون لأن ينتقم منه؛ لذا عيَّنه صبيَّ البستاني في القلعة. لكن الملكة جلوريا قالت إنه يجب أن يَعِدَهم بإصلاح تصرُّفاته الشريرة والقيام بواجبه بأمانة، ويجب عليه تغيير اسمه من كرول إلى جرول، وعد الرجل لإصلاح تصرُّفاته والتأدُّب. وهكذا عندما استقرَّ المقام للملك بون في جناح ملكي في القلعة ليرتدي ثيابًا الملكية، أعطى الثوب البُنِّيَّ القديم الذي كان يرتديه سابقًا إلى جرول، الذي خرج به إلى الحديقة لسقي الورود.

لم تكن مَهمَّة خيال المآته في جينكسلاند لإنقاذ الغرباء الزُّوَّار فقط، والتي نجح فيها بامتياز، ولكن في أثناء رحلته من قصر جلينداا في مقاطعة الجودلينج قبل حاجز الجبال، توقَّف قليلًا عند شلال كبير أثار انتباهه، بسبب بحيرة ينتهي عندها النهر. وفكَّر أن جغرافيا المنطقة ساهمت في خلق تعقيد أدَّى للوضع الحالي؛ ممَّا جعله يفكر قليلًا مع نفسه، لماذا لا تكون مَهمَّته دبلوماسية أيضًا؟

ذكرت الساحرة جلينـدا الطيبـة معلومـة أن الملـك كينـد، والـد الأميـرة جلوريـا، كان مُخلِصًـا للملـك بسـتوريا، والـد الأميـرة أوزمـا، تحـت لـواء أرض أوز. واسـتنتج أن العلاقـات انقطعـت، ليـس فقـط بسـبب الجغرافيـا، بـل بسـبب مـوت الملكيـن، وهـو مـا سـاهم فـي أن تكـون مملكـة جينكسـلاند أرضًـا منعزلـة؛ لـذا اهتـمَّ بشـكل خـاص بتوضيـح تلـك الحقائـق أمـام الملكـة جلوريـا والملـك بـون فـي اجتمـاع سـري، وطلـب منهـم لإظهـار ولائهـم للأميـرة أوزمـا، أن يكـون أول فرمـان يصدرانـه فـي حكمهمـا الجديـد الرشـيد هـو منـع ممارسـة السـحر، حسـب قوانيـن أرض أوز، وافـق الملـك والملكـة بحمـاس بعـد أن ذاقـا مـرارة السـحر الأسـود؛ وبذلـك عـادت تلـك المملكـة تحـت سـلطة ونفـوذ أوزمـا. وبعـد ذلـك تركهـم لاسـتكمال الاحتفـالات، ليلحـق بمجموعـة الصحبـة فـي الحديقـة.

مـا تبقَّـى مـن ذلـك اليوم الشـهير، والـذي ظل يتذكَّره شـعب جينكسـلاند لفتـرة طويلـة، خُصِّـص للولائـم والمـرح. فـي المسـاء، كانـت هنـاك رقصـة كبيـرة فـي فنـاء القصـر الملكـي، حيـث عَزَفَـت الفرقـةُ النحاسـية مقطوعـةً موسـيقية جديـدة تسـمَّى "تـروت والأورغ"، ومُهـداة لـ "جلالـة الملكـة جلوريـا الفاتنـة". بينمـا الملكـة والملـك يرقصـان ويمرحـان فـي الاحتفـالات

التي صُنِعَت خصِّيصًا لشعب جينكسلاند، ليقضي الجميع وقتًا ممتعًا. من بين كل السرب العظيم من الأورغ الذي ساعد في الغزو ثلاثة منهم فقط مَن فضَّل البقاء في جينكسلاند، إلى جانب زعيمهم، عاد الآخرون إلى بلدهم بمجرَّد تتويج جلوريا ملكة.

اجتمع الغرباء في برجولة خشبية مميَّزة في حديقة خارج القلعة، وانضمَّ لهم خيال المآتة. قال كابتن بيل لصديقهم الشاب الأورغ الذي رافقهم في مغامراتهم: "لقد كنتَ بالتأكيد صديقًا مُخلِصًا وقت الضيق، ونحن ممتنُّون لك جدًّا لمساعدتنا. ربما كنت سأظل جُندبًا حتى الآن لو لم يكن الفضل لك"، وأضاف خيال المآتة: "لولاك يا صديقي أورغ، أخشى أنني لم أكن لأتمكَّن من غزو الملك كرول". ضحكت تروت وأضافت: "كنتَ ستصبح مُجرَّد كومة من الرماد"، وأضاف برعم باهر: "وربما كنتُ ما زلتُ تائِهًا، أشكرك من كل قلبي يا سيد أورغ".

أجاب الأورغ: "أوه، هذا شعور طيب منكم. أعتقد دائمًا أنه ينبغي أن يقف الأصدقاء معًا، كما تعلمون، وإلا لن يكونوا أصدقاء. ولكن الآن يجب أن أترككم وأعود إلى موطني، أهلي سيقيمون حفلةً مفاجئة على شرف عمي، وقد وعدتهم بالحضور"، قال خيال المآتة بأسف: "يا إلهي، يا له من سوء حظٍّ". سأل الأورغ: "لِمَ؟"، ردَّ: "كنت آمل أن توافق على حملنا فوق تلك الجبال، إلى أرض أوز. انتهت مَهمَّتي هنا الآن وأريد العودة إلى مدينة الزمرد"، استفسر الأورغ: "كيف عَبَرتَ الجبال من قبل؟".

قال: "تسلَّقتُ منحدرات الجبال بحبل سحريٍّ، وعبرت الأخدود العظيم على خيط من شبكة عنكبوت. بالطبع يمكنني العودة بنفس الطريقة، لكنها ستكون رحلةً شاقَّة -وربما تكون مستحيلة- بالنسبة لتروت وكابتن بيل وبرعم باهر؛ لذا اعتقدتُ أنه إذا كان لديك الوقت، فسوف تحملنا أنت وأصدقاؤك الأورغ عبر الجبال وتهبط بنا جميعًا بأمان على الجانب الآخر، في أرض أوز".

فكَّر الأورغ في الأمر بتأنٍّ لبعض الوقت، ثم قال: "يجب ألَّا أُخلِف وعدي لحضور الحفلة؛ لكن أخبرني، هل يمكن القيام برحله العودة إلى أوز في الليل؟"، صاحت تروت: "ماذا؟ الآن!"، قال الأورغ: "إنها ليلة رائعة على ضوء القمر، ومن خبرتي ليس هناك وقت أفضل للقيام بالأشياء إلَّا فورًا وحالًا. في الحقيقة، إنها رحلة طويلة إلى أورغلاند، وأنا وجميع أبناء عمومتي هنا متعبون إلى حدٍّ ما من مجهوداتنا اليوم. ولكن إذا بدأنا الرحلة الآن، وسمحت لنا بحملكم عبر الجبال والعبور للجانب الآخر، اطلُبْ ونحن على أتمِّ استعداد!".

نظر كابتن بيل وتروت لبعضهما البعض بتعجُّب. كانت الفتاة الصغيرة متحمِّسة لزيارة أرض أوز حقًّا، وقد تحمَّل البَحَّار العجوز مزيدًا من المصاعب في جينكسلاند لدرجة أنه سيكون سعيدًا بالخروج منها. قال خيال المآتة: "إنه أمر غير مُهذَّب منَّا ألَّا نقول وداعًا للملك والملكة الجديدين، لكنني متأكِّد من أنهما سيكونان سعيدين للغاية بمغادرتنا، وأؤكِّد لكم أنه سيكون من الأسهل بكثير الطيران على ظهور الأورغ فوق تلك الجبال شديدة الانحدار بدلًا من تَسلُّقها كما فعلتُ أنا". قرَّرَت تروت: "حسنًا، دعنا نذهب! ولكن أين برعم باهر؟".

في هذه اللحظة المهمة، تاه برعم باهر مرة أخرى، وانطلق الجميع بحثًا عنه. كان يقف بجانبهم منذ بضع دقائق فقط، قام أصدقاؤه بمطاردة مثيرة للبحث عنه قبل أن يكتشفوا أخيرًا أن الصبي جالسٌ بين أعضاء الفرقة الموسيقية، يضرب على طبلة بعظم ساق الديك الرومي التي أخذها من على الطاولة في غرفة المأدبة. قال وهو ينظر إلى الفتاة الصغيرة عندما وجدته: "مرحبًا، تروت. هذه هي أول فرصة أدقُّ على طبلة بعصا من العظم، كما أكلتُ كلَّ اللحم من العظم بنفسي"، هتَفَت: "تعال بسرعة. نحن ذاهبون إلى أرض أوز"، قال: "أوه، ما العجلة؟"، لكنها أمسكت بذراعه وسحبته بعيدًا إلى الحديقة حيث كان الآخرون ينتظرون.

صعدت تروت على ظهر صديقها الشاب، قائد فرقة الأورغ، وجلس الآخرون على ظهور أبناء عمومته الثلاثة. بمجرَّد أن استقر الجميع على مقاعدهم الطائرة، بدأت الذيول الدوَّارة بالدوران صعودًا وصعد الأورغ الأربعة وطاروا بعيدًا نحو الجبال، عاليًا في الهواء لدرجة أنهم عندما اجتازوا قمة أعلى جبل بدا أصغر كثيرًا ممَّا شاهدوه سابقًا. ما إن عبروا الحاجز بأمان حتى نزل الأورغ إلى أسفل وهبط السرب بركَّابه على الأرض.

هتف خيال المآتة بفرح: "ها نحن بأمان في أرض أوز!". نظرت تروت حولها بفضول وقالت: "أوه، حقًّا؟"؛ فقد كانت ترى بعض ظلال الأشجار الفخمة ومعالم خارجية لتلال منحدرة من بعيد؛ وتحت قدميها عشبٌ ناعم، لكن الضوء الخافت للقمر لم يكشف شيئًا واضحًا.

أمَّا كابتن بيل فقال: "تبدو لي بلدًا مثل أي بلد زُرناها". قال خيال المآتة مؤكِّدًا: "لكنها ليست كذلك. أنت الآن داخل حدود أروع الأراضي الخيالية في جميع أنحاء العالم. هذا الجزء منها مجرَّد رُكن من أركان مقاطعة الجودلينج، وهو الجزء الأقل إثارة للاهتمام منه. فلم يتم استكشافه بالكامل؛ وبالتالي لم يتم استيطانه بشكل كثيف، هنا، أعترف، لكن..".

قاطعه أزيزٌ مفاجئ واندفاع في الهواء، فقد صعد الأورغ الأربعة في السماء، وسمعت الصُّحبة توديعهم السريع: "طاب مساؤكم!"، وبالرغم من أن تروت صاحت بأعلى صوت مُمكِن: "تصبحون على خير!"، إلَّا أنهم غالبًا لم يسمعوها؛ فقد اختفوا عن العيون بعيدًا عن ضوء القمر، حزنت الفتاة الصغيرة قليلًا لأن عائلة الأورغ لم تنتظر حتى تسنح لها الفرصة لشكرهم بشكل صحيح على كل لطفهم معها ومع كابتن بيل. لكن الأورغ غادروا فعلًا، وشكرهم على الأعمال الطيبة التي قاموا بها لا يُقدَّر بثمن إلا لإثبات أن الشخص مؤدَّب ومحترم.

قال خيال المآتة: "حسنًا، أيُّها الأصدقاء، لا يجب أن نبقى هنا في المروج طوال الليل، دعونا نعثر على مكان لطيف لقضاء الليل. صحيح أن ذلك لا يعني شيئًا لي، على الأقل، فأنا لا أنام أبدًا؛ ولكني أعلم أن الناس من لحم ودم يحبُّون أن يغلقوا أعينهم ويرقدوا ساكنين خلال ساعات الظلام". تثاءبت تروت وهي تقول: "أنا متعبة للغاية. إذا لم تعثر على منزل في القريب العاجل، فسوف ننام أنا وكابتن بيل تحت الأشجار، أو حتى على هذا العشب الناعم".

لحسن الحظ لم يكن المنزل بعيدًا عنهم، على الرغم من أنه عندما عثر عليه خيال المآتة لم ينبعث منه ضوء على الإطلاق. طرق كابتن بيل الباب عدَّة مرات، ولم يتلقَّ أي رد، فرفع خيال المآتة

المـزلاجَ بجـرأة ودخـل، وتبعـه الآخـرون. وفـور دخولهـم مـلأ ضـوء ناعـم الغرفـة. لـم تسـتطع تـروت معرفـة مصـدره، فلـم تـرَ أي مصبـاح مـن أي نـوع، لكنهـا لـم تضيـع الكثيـر مـن الوقـت فـي الحيـرة؛ لأن مائـدة رائعـة لثلاثـة أشـخاص جذبـت انتباههـا تقبـع فـي منتصـف الغرفـة تمامًـا، عليهـا مـا لـذَّ وطـاب والعديـد مـن الأطبـاق السـاخنة التـي يتصاعـد منهـا البخـار.

تعجَّبَـت الصبيـة والصبـي مـن ذلـك المنـزل، ونظـرا حولهمـا وبحثـا عبثًـا عـن أي موقـد للطهـي أو مدفـأة، أو عـن أي شـخص قـد أعـدَّ لهمـا هـذه الوليمـة اللذيـذة. تمتـم الصبـي: "إنهـا صحيـح أرض الخيـال" وهـو يقـذف قبعتـه فـي إحـدى الزوايـا ويجلـس علـى المائـدة، وأكمـل: "هـذا العشـاء تنبعـث منـه رائحـة طيبـة مثـل الديـك الرومـي فـي جينكسـلاند. مـن فضلـك هـات مـن ذلـك الكعـك الـذي أمامـك يـا كابتـن بيـل". ظنَّـت تـروت أنـه مـن

الغريب عدم وجود أي شخص في المنزل سواهم، ولكنها رأت على الحائط المقابل للباب إطارًا ذهبيًّا مكتوب عليه بأحرف كبيرة: "أهلًا وسهلًا"؛ لذلك لم تتردَّد في تناول الطعام الذي أُعِدَّ لهم في ظروف غامضة.

ولكنها تساءلت: "لكن هنا ثلاثة أماكن فقط!"، قال خيال الماتة: "ثلاثة كافية. أنا لا آكل أبدًا؛ لأنني محشو بالقش، وأنا أريد أن يظل قشي نظيفًا لطيفًا".

أشبعت تروت جوعها بوجبة دسمة. بينما كان من المدهش أن يأكل برعم باهر بعد وقت قصير من وليمته في جينكسلاند، لكن الصبي يأكل دائمًا كلَّما سنحت له الفرصة، ودائمًا ما يقول: "إذا لم آكل الآن، في المرة القادمة حينما أكون جائعًا، سأتمنى لو أكَلتُ كل ما تمَّ تقديمه لي".

أما ما أسعدها أكثر، أن وجَدَت طبقًا من الآيس كريم يظهر بعد انتهائها من تناول الطعام كتَحلِيَة، وقالت: "هذه أرض خيالية بكل تأكيد، لقد آمَنتُ بما فيه الكفاية". أجاب البحار العجوز بجدية: "لم يَعُد عندي شك في ذلك، يا تروت". قال برعم باهر: "لقد حضرت إلى هنا من قبل؛ لذا أعرف تلك الحقيقة قبلكم". بعد العشاء اكتشفوا ثلاث غرف نوم صغيرة مجاورة لغرفة المعيشة الكبيرة في المنزل، وفي كل غرفة سريرٌ أبيض مريح بوسائد ناعمة. يجب أن تكون متأكِّدًا من أن البشر المتعبين لم ينسوا قول: "ليلة سعيدة" لخيال المآتة، وبعدها مباشرة تسلَّلوا إلى أَسِرَّتهم، حيث ناموا بهدوء وعمق حتى الصباح.

لأول مرة منذ حادثة الدوامة الرهيبة، تخلَّى القلق والتوتُّر عن السيطرة على تروت وكابتن بيل. أمَّا برعم باهر فلم يكن هناك شيء يقلقه منذ البداية. وخيال المآتة، الذي لم يكن قادرًا على النوم، نظر من النافذة وحاول عَدَّ النجوم.

الفصل الحادي والعشرون

دورثي وبيتسي وأوزما

أفترض أن العديد من قُرَّائي قد قرؤوا أوصافًا لمدينة أوز الزمرد الجميلة والرائعة؛ لذلك لا أحتاج إلى وصفها هنا، باستثناء التأكيد على أن أي مدينة في أي أرض خيالية لا تضاهي أبدًا هذه المدينة في روعتها وفخامتها. إنها تقع تقريبًا في منتصف أرض أوز، وفي منتصف المدينة يرتفع جدار من الزمرد المتلألئ يحيط بقصر أوزما. القصر هو مدينة في حدِّ ذاتها تقريبًا، فيسكنه العديد من أصدقاء الحاكم المميَّزين وأولئك الذين نالوا ثقتها وولاءها. أمَّا بالنسبة للأميرة أوزما نفسها، فلا توجد كلمات في أي قاموس يمكنني أن أجدها كافية لوصف جمال شخصها ورجاحة عقلها. بمجرد رؤيتها يجب أن تغرق في حبها؛ لوجهها الساحر وأخلاقها المتميِّزة. أن تعرفها هو أن تحبَّها لعاطفتها الحنون وطبيعتها الكريمة وصدقها وشرفها. وُلدت أوزما من نَسَبٍ طويل من الملكات الجنيات، وهي مشهورة بحكمتها بالإضافة إلى صفاتها الأخرى.

رعاياها السعداء يعشقون الفتاة الحاكمة، وكل واحد يعتبرها الرفيقة والحامية.

في الوقت الذي أكتب فيه هذه الحكاية، فإن أفضل صديقة للأميرة أوزما هي فتاة صغيرة من كنساس تُدعى دورثي، وهي بشرية جاءت إلى أرض أوز بطريقة مثيرة للغاية، وعُرض عليها منزل في قصر أوزما. أصبحت دورثي أميرةَ أوز، ومنزلها في القصر الملكي يماثل مكانة الحاكمة الشابَّة، كما تعرف كلَّ جزء من البلاد تقريبًا، والعديد من مواطني أرض أوز أصدقاء لها. بالإضافة إلى حب الناس للأميرة أوزما، فالأميرة دورثي محبوبة أكثر من أي شخص آخر في كل أوز؛ لأن دورثي بسيطة ولطيفة، ونادرًا ما غضبَت وتمتاز شخصيتها بطريقة ودِّيَّة ودودة لدرجة أنها كوَّنَت صداقات في أي مكان تتجوَّل فيه.

دورثي هي الفتاة التي اصطحبت خيال المآتة والحطَّاب الصفيح والأسد الخوَّاف إلى مدينة الزمرد لأول مرة. كما قدَّمَت المتشرد والدجاجة بيلينا للأميرة أوزما، بالإضافة إلى القطة الوردية إريكا، دورثي تشبه إلى حدٍّ كبير العديدَ من الفتيات الأخريات اللاتي نعرفهن في عالمنا؛ لذا هناك أوقات لم تكن فيها حكيمة كما يفترض أن تكون، وأوقات أخرى كانت فيها عنيدة وتسبَّبَت في مشاكل. لكن الحياة في أرض الجنيات علَّمَت الفتاة الصغيرة أن تتقبَّل كل أنواع الأشياء المدهشة باعتبارها أمورًا طبيعية وبديهية؛ لأنه بينما لم تكن دورثي جِنِّيَّة -فهي بَشريَّة مثلنا تمامًا- فقد رأت عجائب أكثر ممَّا رأى معظم البشر في أي وقت مضى.

عاشت فتاة صغيرة أخرى من عالمنا الخارجي في قصر أوزما، وهي بيتسي بوبين، التي قادتها مغامراتها الغريبة إلى مدينة الزمرد منذ مساعدتها للمُتشرِّد في العثور على شقيقة وشهدت هزيمة ملك النووم مرة أخرى؛ لذا رحَّبَت بها أوزما صديقة ورفيقة داخل القصر الملكي. تلك الفتاة خجولٌ، ولم تستطع أبدًا التعوُّد على الأعاجيب

التي أحاطت بها، لكنها وطَّدَت صداقة حميمية مع دورثي، واعتقدتا أنهما محظوظتان جدًّا لوجودهما معًا في هذا البلد المبهج.

ذات يوم كانت دورثي وبيتسي تزوران أوزما في الجناح الملكي الخاص بالفتاة الحاكمة، ومن بين الأشياء التي أثارت اهتمامهما بشكل خاص لوحةُ أوزما السحرية، الموضوعة في إطار جميل ومُعلَّقة على جدار الغرفة. كانت هذه الصورة سحرية لأنها تُغيِّر مشاهدها باستمرار وتُظهر الأحداث والمغامرات التي تحدث في جميع أنحاء العالم. وهكذا كانت في حقيقتها "صورًا مُتحرِّكة"[1] للحياة، وإذا كان الشخص الذي يقف أمامها يرغب في معرفة ما يفعله أي شخص غائب، فإن الصورة تُظهِر على الفور ذلك الشخص وما يفعل أو ما يحدث له.

لم تكن الفتاتان ترغبان في رؤية أي شخص على وجه الخصوص، في ذلك الوقت، لكنهما استمتعتا فقط بمشاهدة المشاهد المتغيِّرة، والتي كان الكثير منها جذَّابًا للغاية ورائعًا. فجأة صاحت دورثي: "ها هو خيال المآتة!"، وهذا ما دفع أوزما للنظر في الصورة، فقد كانت تعرف أن مستشارها وساعدها الأيمن يتجوَّل في أنحاء أوز، ولكنها لم تعرف أين هو حاليًا. انزعجت أوزما حين شاهدت خيال المآتة مُقيَّدًا ومربوطًا على عامود مُثبَّت في الأرض وحوله أكوام من الحطب الجاف، وأدركت على الفور أنه يواجه مصيرًا قاتمًا. سألت دورثي: "أين هو يا أوزما؟"، قالت متوتِّرَةً قليلًا: "أعتقد أنه في مملكة جينكسلاند"، سألت: "وأين تلك المملكة، لم أسمع بها من قبل"، وقبل أن تردَّ أوزما، أشارت بيتسي بوبين للوحة وهتفت: "انظروا... هناك سِربٌ من طيور غريبة قادم". راقبوا المشهد للحظات وشاهدوا كيف أنقَذَت عاصفة الطيور الموقفَ، التفتت دورثي إلى أوزما وأشارت للمخلوق الطائر الغريب وسألت: "ما هذا الشيء يا أوزما؟ طائر؟ لم أرَ شيئًا مثله من قبل". أجابت أوزما باقتضاب: "إنه أورغ".

---

(1) يستخدم باوم تعبير moving picture وهو التعبير الذي كان يُطلَق على الأفلام في ذلك الوقت، فلم يدخل الصوت في صناعة السينما؛ ولهذا كان يطلق عليها صور متحرِّكة.

سَرَت رِعدَةٌ وارتجافة في قلوب الثلاث فتيات وهُنَّ يُشاهِدن خيال المآتة يُساق للمحرقة، وانتابتهن راحة وفرحة حين هبط سرب الأورغ في الساحة الأمامية لقصر الملك كرول وأحبط محاولته لإعدام خيال المآتة حرقًا. المغامرة في جينكسلاند أثارت اهتمامهن وظَلَلنَ يتابعن تَطوُّراتها باهتمام، وعرفن كثيرًا من الأشياء هناك. أشارت دورثي إلى تروت: "هذه الفتاة مَكسَبٌ لأيِّ مغامرة تخوضها"، وعَقَّبَت أوزما: "صحيح هي فتاة صغيرة، لكنها سريعة البديهة وتُحسِن التَّصرُّف، وأنا متأكِّدة أن لن يحدث مكروهٌ لها. البحار العجوز شخصية رائعة أيضًا، فهو لم يتذمَّر من كونه جُندُبًا، كما قد يفعل الكثيرون لو وقعا في نفس الموقف" كما أثنت أوزما على تصرُّفات خيال المآتة الحكيمة، والتي أرجَعَت الملكة الشرعيَّة للحُكم. وعندما انتهت المغامرات في جينكسلاند وطار الأصدقاء على ظهور الأورغ إلى داخل أرض أوز، استدعت أوزما ساحِرَ أوز العجيب، وطلبت منه توفير منزل مناسب للزُّوَّار الغرباء لينامو ويرتاحوا فيه.

ساحر أوز الشهير رَجُلٌ صغيرٌ طريفٌ يسكن القصر الملكي وينفِّذ كل الأشياء السحرية التي تريدها أوزما. لم يكن قويًّا مثل جلينـدا بالتأكيد، لكن بإمكانه فعل الكثير من الأشياء الرائعة. لقد أثبت ذلك من خلال وضع منزل في الجزء غير المأهول من مقاطعة الجودلينج حيث هبطت تروت وكابتن بيل وبرعم باهر، وبها جميع وسائل الراحة التي وصفتها في الفصل السابق.

في صباح اليوم التالي قالت دورثي لأميرة أوزما: "أليس من اللائق أن نذهب لنستقبل الغرباء الزوَّار، حتى ندلَّهم على الطريق إلى مدينة الزمرد؟ أنا واثقة من أن الفتاة الصغيرة ستشعر بالخجل في هذه الأرض الجميلة، ولو كنت مكانَها كنتُ سأفضِّل لو رحَّب بي أحدٌ ما".

ابتسَمَت أوزما لصديقتها الصغيرة وقالت: "اذهبي أنتِ وبيتسي للقائهم، إذا كنت ترغبين في ذلك. لكن لا يمكنني مغادرة قصري الآن، سأعقد اجتماعًا مع چاك رأس القرع والبروفيسور ووچي بق لمناقشة بعض أمور مُهمَّة. يمكنك أن تأخذ والحصان الخشبي والكارتة الذهبية، وإذا تحرَّكتِ الآن، فستتمكنين من مقابلة خيال المآتة والغرباء في قصر جلينـدا". هتفت دورثي بفرح: "أوه شكرًا لكِ!"، وذهبت لتخبر بيتسي وتحضِّر الاستعدادات للرحلة.

الفصل الثاني والعشرون
الشَّلَّال

قصر جلينـدا يبعـد مسـافة كبيـرة عـن حاجـز الجبـال، لكـن خيـال المآتـة أقبـل على السير في هـذه الرحلـة بمنتهى المرح والتفـاؤل، فلـم يكـن للوقـت أهميـة كبيـرة فـي أرض أوز، فقـد قـام بتلـك الرحلـة مؤخَّـرًا وعـرف معالـم الطريـق. برعـم باهـر لـم يقلقـه أبـدًا المـكان المتواجـد فيـه أو مـا يفعلـه، طالمـا هـو على قيـد الحيـاة ولديـه رفقـاء طيِّبـون يشـاركونه التجـوال. أمَّـا بالنسـبة إلـى تـروت وكابتـن بيـل، فقـد شـعرا لأول مـرة منـذ الدوَّامـة الرهيبـة بالراحـة والأمـان فـي هـذه الأرض الخياليـة، فقـد أرهقهـم المغامـرات التـي واجهوهـا، لدرجـة أن الرحلـة إلـى القصـر كانـت أشـبه بالنزهـة، كمـا كان هنـاك الكثيـر مـن الأشـياء الرائعـة لرؤيتهـا.

حضـر برعـم باهـر سـابقًا إلـى أوز، ولكنـه حضـر فـي زيـارة خاطفـة قصيـرة، كانـت زيـارة مُميَّـزة، فـي عيـد ميـلاد الأميـرة أوزمـا، وغـادر فـور

انتهاء الاحتفالات، تمامًا مثل مغادرته جينكسلاند. وبالتالي خيال المآتة هو الشخص الوحيد الذي يعرف الطريق ويمكن أن يقودهم إلى قصر جلينداا. تناولوا إفطارًا شهيًّا، تمَّ تجهيزه لهم بالفعل وينتظرهم على الطاولة حينما نهضوا من نومهم منتعشين. غادروا المنزل السحري سعداء متفائلين وبقلوب مُنتَعِشَة. أشرقت الشمس أثناء سيرهم عبر الحقول، والنسيم مُحمَّلٌ برائحة لذيذة، حملت فيها أنفاس ملايين الزهور البرية.

في الظهيرة، عندما توقَّفوا للراحة على ضفَّة نهر عريض وجميل، قال تروت بلهفة طويلة تشبه التنهُّد: "أتمنى لو كُنَّا أحضرنا بعض الطعام الذي تبقَّى من وجبة الإفطار؛ لأنني أشعر بالجوع مرة أخرى"، وعلى الفور بزغت، كما لو أنها صعدت من الأرض نفسها، مائدة أمامهم مُحمَّلة بكل ما لَذَّ وطاب من فواكه ومكسَّرات وكيك والعديد من الأصناف اللذيذة. فركت الفتاة الصغيرة عينيها وفتحتهما على اتساعهما لترى كل تلك الأشياء السحرية التي تحدث أمامها، أما كابتن بيل فلم يكُن متأكِّدًا من أن الأشياء موجودة بالفعل وصالحة للأكل حتى أمسكها في يده وتذوَّقها في فمه.

قال خيال المآتة ضاحِكًا: "هناك شخص ما يعتني بنا، وهذا أمر مؤكَّد، ومن مظهر تلك المائدة، أعتقد أن صديقي الساحر قد تولَّى مسؤوليتنا. لقد عرفت أنه يفعل أشياء مثل هذه من قبل، وإذا كنَّا في رعاية الساحر لا داعي للقلق بشأن ما سيحدث لنا مستقبلًا". قال برعم باهر وهو يهجم على المائدة وقبل أن ينشغل بالتهام الطعام: "مَن الذي يقلق وكل تلك الخيرات بين يديه؟".

تَسبَّب هبوطهم إلى أرض أوز في الليل، أن ينحرف خيال المآتة عن المسار الذي قطعه سابقًا بدون قصد، فعندما غمرت الشمس المكان نظر حوله بينما تتناول الصُّحبَةُ غذاءها، ولاحظ بعض الأشياء غير المألوفة في الطريق، فهزَّ رأسه قلقًا وقال: "يجب أني سَلَكتُ المنعطف الخطأ. أتذكَّر أني مررت على مصبِّ هذا النهر في طريقي

إلى جينكسلاند، حيث شاهدت شلَّالًا كبيرًا". استفسر كابتن بيل: "هل النهر أكمل طريقه بعد الشلال الكبير؟". رَدَّ: "لا. لقد اختفى النهر. لم يتبقَّ مكانه غير بِركَة مياه دوَّارة. أفترض أن النهر يسير تحت الأرض بعد الشلَّال، وفي مكانٍ ما سيظهر مرة ثانية على سطح الأرض في جزء آخر من البلد".

اقترَحَت تروت، التي أنهت غذاءها للتَّوِّ: "حسنًا، بما أن ليس هناك طريق لعبور النهر، أظن أنه يجب علينا العثور على هذا الشلال ونلتفُّ حول البِركَة عند مَصبِّ النهر". ردَّ خيال المآتة: "بالضبط"، وبالتالي قام بتعديل مسار الرحلة واتَّبع النهر لفترة طويلة حتى سمع هدير شلَّال المياه. رويدًا رويدًا وصَلَا إلى الشلال نفسه، ظهر أمامهم كأن رقائق من الفضة تتساقط للأسفل، في بحيرة صغيرة ليس لها منفذ، وهي البِركَة عند مَصبِّ النهر التي قابلها خيال المآتة من قبلُ.

من أعلى قمة الشلال، حيث يقفون، انحدرت ضِفَّتَا النهر بحدَّة وبرزت نتوءات وصخور داخل النهر حافَّة الشلال، ولم يكن عليهم سوى النزول للالتفاف حول البِركة الدَّوَّارة في الأسفل ليُكمِلا طريقهم. في حين ماء النهر الصافي الرقراق لم يكن بإمكانه فعل أي شيء سوى الانزلاق فوق حافَّة الصخور والهبوط مباشرة إلى الأسفل. في الحقيقة، تمكَّنَت تروت من مشاهدة منظر طبيعي شاسع أكثر روعةً من المنظر الذي شاهدته حينما كانت في أرجوحة الطائر.

قال خيال المآتة، وهو ينحني على الضفة: "ها أنتم ترون! لهذا يطلق عليه شعب أوز «الشلَّال الكبير»؛ لأنه بالتأكيد أعلى شلَّال في أرض أوز كلها. حين كنت هنا، خطرت في رأسي فكرة ما، ولكني أعتقد... سااااعدوني!". لم يكمل جُملَتَه، فقد توازنه، واندفع مباشرةً للأسفل في النهر، كل ما رأوه في اللحظة التالية هو طرطشة كومة من القش داخل ملابس زرقاء، والرأس المرسوم يطفو على الماء وينظر لهم في اندهاش، وفي لحظة خاطفة سَحَبه تيَّارُ الشَّلَّال ليسقط في الحوض المائي لمصبِّ النهر.

حدث كل شيء فجأة بشكل غير مُتوقَّع، وفي اللحظات التالية تَملَّك الذُّعرُ الصُّحبَةَ لدرجة أنهم لم يتمكَّنوا من الكلام أو الحركة. وحين أفاقت تروت من صدمة الذعر، صرخت: "بسرعة. يجب أن نساعده وإلَّا سيغرق!". قفَزَت وركضت على ضفة النهر لأسفل إلى الحوض المائي، وتبعها كابتن بيل بخفَّة بقدر ما تستطيع ساقة الخشبية. أما برعم باهر فتبعهم ببطء وهو ينادي الفتاة: "إنه لا يغرق يا تروت، إنه خيال مآتة".

لم تكن واثِقةً من صحة أن خيال المآتة لا يغرق، ولم تُخفِّف سرعتها حتى وصلت للبِركة الماء أسفل الشلال ووقفت على حافَّة الحوض وطرطشات شلال المياه تتناثر عليها. بعد دقائق لحقها كابتن بيل وهو يلهث، وبالكاد استطاع أن يقول: "ها. هل رَأَيْتِ شيئًا يا تروت؟"، قالت: "ولا قشَّة واحدة. أوه يا كابتن! ماذا تعتقد أنه حدث لخيال المآتة المسكين؟"، قال بعد أن استعاد أنفاسه: "أعتقد، أنه في هذه المياه، ليس بعيدًا عن هنا، وأخشى أن ما سيصيبه هو أن القَشَّ سينتفخ وسيبتلُّ بشدَّة. لكن بالنسبة للغرق، فأنا أتَّفِق مع برعم باهر، خيال المآتة لا يمكنه الغرق".

زال عن تروت بعضُ التَّوتُّر حين انتبهت لصحَّة كلام كابتن بيل، ولكنها ظلَّت واقِفةً لبعض الوقت تبحث بعينها على سطح المياه، يغمرها أمل أن يظهر خيال المآتة على سطح المياه. أخيرًا سمعت صوت برعم باهر يناديها: "تعالي يا تروت"، فرأت الصبي يتسلَّل بين الصخور الرطبة على حافَّة الشلال وينظر لشيء ما خلفه. ذهبت إلى حيث يقف، وسألته: "ماذا هناك؟"، أجاب: "إنه مدخل كهف. تعالي لندخله. احتمال أن نعثر على خيال المآتة هناك". انتابها قليلٌ من الشَّكِّ، ولكن الكهف نفسه أثار اهتمامها، فهو يقع مباشرة خلف الستارة المائية لشلَّال المياه، وهو ما أثار اهتمام كابتن بيل أيضًا.

كانت هناك مساحة ضيِّقة خلف ستارة المياه كافية ليتسلَّلا وراءها ويَدخُلَا الكهف. بعد مدخل الكهف، كان التجويف الكهفي للداخل يكفي

بالكاد للشخص للسير مُنتَصِبًا، وبعد فترة قصيرة عثرت تروت على فتحة في الصخور، نظرت فيها فوجَدَت سلسلةً من الدَّرَجات الحجرية تنزل لأسفل، محفورة داخل الكهف. التفتت إلى رفقائها لتستفسر منهم عمَّا ينبغي فعله بعد ذلك، لكن أزيز وهدير مياه الشلال غطَّى على صوتها، أومأ كابتن بيل برأسه قبل دخول الكهف، لكن برعم باهر سبقهم ودخل سريعًا بدون تردُّد وتسلَّق الدَّرَج نزولًا بدون خوف، فلم يجد أحدٌ منهم مفرًّا من اتِّباع الصبي. الدرجات الأولى كانت مُبلَّلة وزَلِقة، ولكن الدرجات التالية جافَّة تمامًا. ضوء وردي ينبعث من مكان ما أضاء لهم الطريق على درجات السلم.

بعد انتهاء الدرجات شاهدوا أمامهم نفقًا قصيرًا، مشوا فيه بحرص، وأخيرًا وجدوا أنفسهم في الكهف نفسه. وقفوا، وتَسمَّروا في مكانهم، ونظروا حولهم في دهشة وإعجاب. لقد وقفوا على حافَّة كهف واسع، جدرانه وسقفه المُقبَّب مُبطَّن بعدد لا يُحصَى من حجارة الياقوت، مصقولة بمئات الأشكال، وتومض بالأشعَّة المتلألئة من كل جوانب الكهف. سمح الضوء المشعُّ برؤية الكهف بأكمله بوضوح؛ ممَّا صنع مشهدًا رائعًا، لدرجة أن تروت كاد ينقطع أنفاسها من شهقة طويلةٍ.

جدران وسقف الكهف كانت إطارًا لمشهد أكثر روعة. ففي المنتصف تقبع فوَّهة في الأرض تشبه مِرجَلَ ماء يتصاعد منه فقَّاعات، من هنا يبزغ ويصعد النهر مرَّةً أخرى من البِركة الدَّوَّارة في الخارج، يتناثر ويتدفَّق حتى ارتفع رذاذه عاليًا في الهواء، انعكس لون الياقوت الأحمر على الرذاذ، فبَدَا وكأنه كتلة من اللهب تتصاعد من المرجل. وبينما كانوا يحدِّقون في فقاعات الماء والمشهد بأكمله، ارتفع جسدُ خيال المآتة فجأة في الفوَّهة، وهو يكافح ويركل، وفي اللحظة التالية اختفى تمامًا عن الأنظار.

هتف برعم باهر: "يا إلهي، إنه مبتلٌّ بشدَّة!"، لكن لم يسمعه أحد. اكتشفت تروت وكابتن بيل رصيفًا عريضًا -مُغطًّى، مثل الجدران،

بالياقوت اللامع- يدور حول جوانب الكهف بموازاة الحائط؛ لذا اتَّبعوا مسار الرصيف المتلألئ، ووجدوا المكان الذي غطست فيه مياه النهر أخيرًا تحت الأرض، قبل أن يختفي تمامًا. هذا المكان هو هاوية، سوداء قاتمة، في نهاية الكهف، توقَّف الأصدقاء مُحدِّقين فيها في رهبة، حتى ظهر جسد خيال المآتة مرة ثانية من الماء.

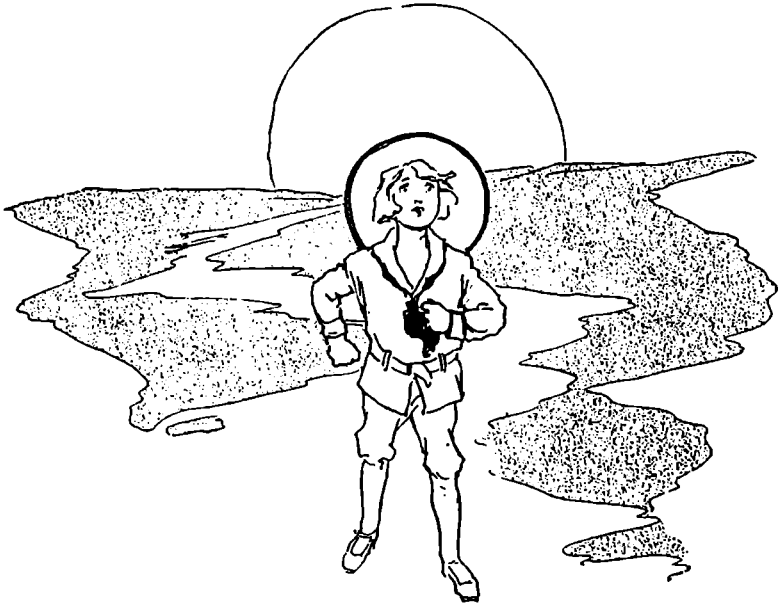

الفصل الثالث والعشرون

أرض أوز المدهشة

ظهور رَجُل القَشِّ على سطح الماء قبل السقوط في الهاوية كان مفاجئًا لدرجة أربكَت تروت، لكن سرعة بديهة كابتن بيل أنقذت الموقف، ففي نفس اللحظة مدَّ رِجلَه الخشبية في الماء، وعلى الفور تعلَّق بها خيال المآتة بكلتا يديه. تدارَكَت تروت الموقف وقبضت على ملابس خيال المآتة الطافية على الماء، ولم يكن جهدها ذا نَفعٍ إلَّا بمساعدة برعم باهر، وأخيرًا تمدَّد جسده المنتفخ على الرصيف المتلألئ. للأسف الشديد، كان مظهره بعيدًا كُلَّ البُعد عن أي خيال مآتة يمكنك أن تَتصوَّره، فقد كان قَشُّه مُنتَفِخًا ويقطر ماءً، وملابسه مشبعة بالماء لدرجة متكوِّمة ومتجعِّدة، في حين أن الكيس المرسوم عليه الوجه أصبح مُتَغَضِّنًا جدًّا، لدرجة أن اختفى تمامًا التعبيرُ الهَزليُّ القديم عن ملامح صديقهم المحشو. لكنه لا يزال قادرًا على الكلام

بصعوبة، وعندما انحنت تروت وقَرَّبت أذنها من فمه سمعته يقول: "أخرجوني من هنا بأسرع ما يمكن".

كان ذلك أفضل تصرُّف أمامهم، رفع كابتن بيل الجسد من عند الرأس والكتفين وحملت تروت الجسد من الساق الأيمن وبرعم باهر من الساق الأيسر، وساروا به على الرصيف المتلألئ بالياقوت، رجوعًا في نفس الطريق إلى ستارة المياه عند المدخل، وبعد مجهود مضنٍ وحرص خرَجَا من الشلال الكبير، وبعد بضع دقائق وضعوا رفيقهم المسكين على ضفَّةٍ عُشبيَّة بعيدًا عن رذاذ الماء من الشلال وحيث الشمس تسطع بقوَّة.

ركع كابتن بيل على الجسد المسجَّى وتَفحَّص القَشَّ المنتفخ بالماء: "لا أعتقد أن هذا القش سوف يكون ذا نفع له مستقبلًا؛ فهو مليء بيَرَقات الضفادع وبيض السمك. وأزال الماءُ كُلَّ هشاشة القش وأفسده. أعتقد، يا تروت، أن أفضل شيء هو إفراغ كلِّ جسده من القش المبلَّل وحمل الرأس والملابس، والسير على الطريق حتى نصل إلى حقل أو منزل حيث يمكننا الحصول على بعض القَشِّ الطازج".

وافَقَت تروت وقالت: "نعم يا كابتن، ليس في يدنا شيء آخر لنفعله، ولكن كيف سنعرف الطريق إلى قصر جلينداء، بدون لإرشادات خيال المآتة". قال خيال المآتة بصوت ضعيف ولكنه مُميَّز: "هذا سهل. إذا حمل كابتن بيل رأسي على كتفيه، وعيناي إلى الأمام، يمكنني أن أخبره أيَّ طريق يَسلُك". اتبع الأصدقاء تلك الخطَّة وأفرغوا كلَّ القش القديم المبلل من جسد خيال المآتة. ثم قام البَحَّار العجوز بعصر الملابس ووضعها في الشمس حتى جفَّت تمامًا. وتولَّت تروت مسؤوليَّة الرأس، وضغطت على التجاعيد في الوجه أثناء تجفيفه، بحيث أصبح تعبيرُ وجه خيال المآتة طبيعيًّا مرة أخرى كما كان من قبل.

استغرق ذلك العمل بعض الوقت، لكن حينما اكتمل وانتهى، استأنفوا رحلتهم مرة ثانية، وحمل برعم باهر القُبَّعة والحذاء، وحملت تروت كومة الملابس، أمَّا كابتن بيل فقد حمل رأس خيال المآتة، الذي

بعـد أن اسـتعاد رباطـة جأشـه وروح الدعابـة، علـى الرغـم مـن الحـوادث المؤسـفة التـي تعـرَّض لهـا مُؤخَّـرًا، لـم يَكُـفَّ عـن حَكـيِ قصـص أرض أوز لهـم طـوال الطريـق.

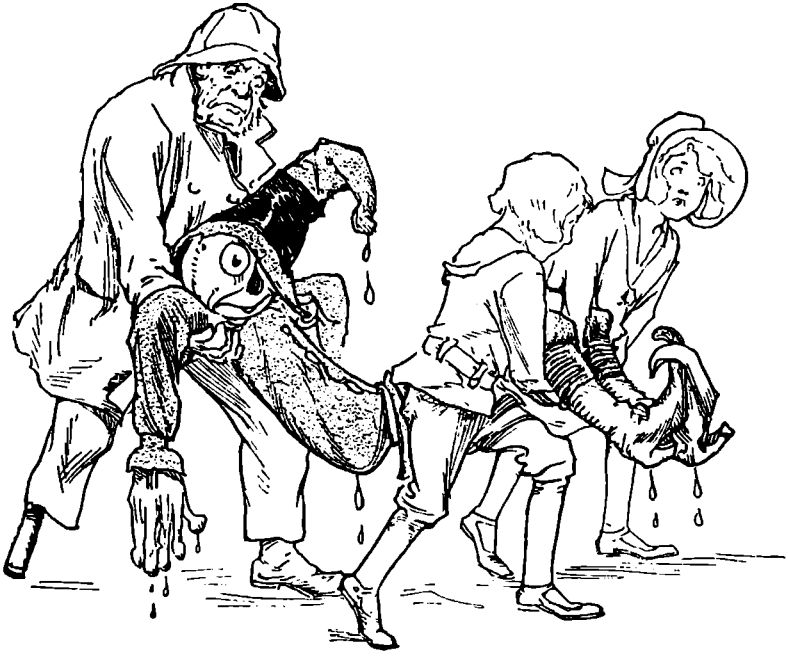

ومـع ذلـك، لـم يعثـروا علـى قَـشٍّ مناسـب لإعـادة حشـو خيـال المآتـة إلا فـي صبيحـة اليـوم التالـي. فـي المسـاء صادَفـوا نفـس المنـزل الـذي قضـوا فيـه ليلتهـم الأولـى فـي أرض أوز، ولكنـه بالطبـع تَـمَّ نَقلُـه بطريقـة سـحرية لمـكان جديـد مـن رحلتهـم إلـى قصـر جلينـدا. حينمـا دخلـوا ووجـدوا نفـس العشـاء الوفيـر يتصاعـد منـه دخـانٌ سـاخنٌ علـى الطاولـة، وأيضًـا نفـس الأَسِـرَّة المريحـة جاهـزة لهـم لينامـوا فيهـا.

فـي الصبـاح الباكـر وبعـد الفطـور، خرجـوا ليسـتكملوا رحلتهـم، وجـدوا كومـةً مـن القَـشِّ النظيـف المقرمـش الهـش مُلقـاة أمـام البـاب. شـاهدت أوزمـا الحـادث الفظيـع لصديقهـا خيـال المآتـة، وطلبـت مـن سـاحر أوز

العجيب أن يوفِّر لهم قش؛ لأنها كانت تعلم أنه من غير المحتمل أن يجد المغامرون القَشَّ في البلد الذي يسافرون عبره الآن. لم يضيعوا أيَّ وقتٍ في حَشو خيال المآتة من جديد، الذي كان سعيدًا للغاية لتَمكُّنه من الحركة والتجوُّل مرة أخرى وتولِّي قيادة الصُّحبَة.

قالت تروت: "في الحقيقة، أعتقد أنك الآن أفضل من هيئتك السابقة، فأنتَ الآن منتعش ولطيف، والقش داخلك يُخَشخِش كلَّما تحرَّكت"، ردَّ عليها بامتنان: "أشكرك يا عزيزتي، دائمًا ما أشعر أني رجل جديد حينما يتمُّ حشوي بقشٍّ طازج وجديد. لا أحد يحبُّ التَّعفُّن، كما تعلمون، وحتى القش الجيد قد يَفسَد مع تَقدُّم العمر". علَّق برعم باهر: "تذكَّر أن الماء هو ما أفسدك آخر مرة، وهذا يبرهن أن الاستحمام زيادة عن اللزوم مُضِرٌّ مثل عدم الاستحمام على الاطلاق. ورغم ذلك يا صديقي، الماء ليس خطرًا عليكَ مثل النيران"، ضحك الجميع، وقال خيال المآتة: "كل الأشياء جيِّدة عند الاعتدال فيها. والآن، هيا، دعونا نسرع حتى نصل لقصر جلينـدا قبل غروب الشمس".

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

الفصل الرابع والعشرون

الاستقبال المَلَكيّ

في حوالي الساعة الرابعة من نفس اليوم، دخلت عربة الكارِتَّة الحمراء عند مدخل قصر جلينداء، وقفزت دورثي وبيتسي منها فور توقُّفها. عربة أوزما الحمراء عبارة عن كارتَّة مفتوحة تقريبًا، مُطعَّمة بالياقوت واللؤلؤ، يَجرُّها جَوادُ أوزما المفضَّل، الحصان الخشبي. سألته دورثي: "هل تحب أن أَفكُّكَ من سرج الكارتة، حتى تتمكَّن من التجوُّل وزيارة المكان؟"، أجاب الحصان الخشبي: "لا. سأقف هنا وأفكِّر فقط. لا تشغلي بالك بي؛ فإن التفكير لا يُسبِّب لي مَلَلًا على الإطلاق"، استفسرت بيتسي: "بماذا تفكر؟"، قال: "في الجوزة التي نبتت على الشجرة التي صُنِعتُ منها".

تركوا الحيوان الخشبي في سرج الكارتَّة الحمراء، ودخلوا القصر لرؤية جلينداء الطيبة، التي استقبلتهم بترحاب حار في المكتبة، وفور

أن استراحوا على مقاعد وثيرة، قالت الساحرة الطيبة: "لقد علمت من كتاب السجلّات السحري أنكم ستحضرون اليوم لمقابلة تروت وبرعم باهر عند وصولهم هنا".

سألت دورثي: "أليس غريبًا أن يكون اسم الفتاة تروت[1]؟"، أكمَلَت بيتسي: "نعم. ورفيقها بحَّارٌ عجوز[2]، يُسمَّى كابتن بيل. أعتقد أننا سنحبهم كثيرًا؛ فهم من الأشخاص الذين يقدرون ويستمتعون بالعيش في الأراضي الخيالية، ولا أرى أي طريقة أو سبب، في الوقت الحاضر، يدفعهم للعودة للعالم الخارجي"، وأكملت دورثي: "حسنًا، هنا مكان يكفيهم، أنا متأكّدة من ذلك. أنا وبيتسي متلهِّفتان للترحيب بالفتاة تروت. أعتقد أننا سنكون مشغولين لمدة عام على الأقل، لنُفرِّجها على الأشياء الرائعة في أوز"، ابتسمت جلينداوقالت: "لقد عشت هنا سنوات عديدة، ولم أرَ عجائب أوز كلَّها".

في هذه الأثناء، اقتربت الصُّحبة من قصر جلينداء، وحينما رأت تروت أبراج القصر أدركت أنه أكثر فخامة وروعة من قصر الملك في جينكسلاند. وكلَّما اقتربا من القصر، كلَّما بان لهم مدى جمال هذا القصر، وأخيرًا قادهم خيال المآتة للدخول على الدرجات الرخامية الرائعة، وحتى برعم باهر الذي لم يدهشه أو يقلقه شيء، لم يستطع أن يُحوِّل عينه عن الانبهار بتصميم القصر الخارجي المُزيَّن بكافة أنواع وأشكال المجوهرات.

---

(1) اسمها الحقيقي مايرغريفيث Mayre Griffiths وأطلق عليها كابتن بيل اسم تروت trot لأنها عندما بدأت تتعلم المشي، كانت تمشي خطوات واسعة وكثيرة بالنسبة لسنها، وكلمة تروت تعني الهرولة.

(2) البحار العجوز بيل Bill يعاني في مشكلة في النطق، غالبا بسبب اللهجة، أو بسبب أسفاره البحرية، كلمة كابتن captain ينطقها Cap'n (أو يمكن لأنه لم يحصل على الرتبة العسكرية رسميا، شيئا مثل باشمهندز بدلا من مهندس) فينطق اسمه كابن بيل على طول الرواية ككلمة واحدة أو نطق واحد. ولكني ترجمتها (كابتن بيل) للتخفيف.

ولكن الفتاة الصغيرة لَفَتَ انتباهها شيء ما، فقالت: "أنا لا أرى أيَّ جنود يحرسون القصر!"، ردَّ خيال المآتة: "ليس هناك حاجه لحراسة قصر جلينـدا. ليس لدينا أشرار في أوز، وحتى لو هناك أشرار في مكانٍ ما، فالقوى السحرية للساحرة جلينـدا الطيبة أقوى بكثير، وتكفي لحمايتها من أي أخطار".

قبل أن يخطو برعم باهر على الدرجات الرخامية، لاحظ وجود الكارتَّة الحمراء والحصان الخشبي مربوطًا بها يقف على مدخل البوابة، فصاح في فرح: "ها هو الحصان الخشبي! هيهه!". وفي اللحظة التالية اندفع يحضن الحصان الخشبي، الذي تعرَّف عليه بمَوَدَّة وتقبَّل تلك الأُلفة المفاجئة بمرح معتاد. سمعت دورثي وبيتسي صياح برعم باهر، فخرجتا مُسرِعَتَيْن للترحيب بصديقهما المحبوب خيال المآتة، واستقبال تروت وكابتن بيل في أرض أوز.

قالت دورثي: "لقد كُنَّا نشاهدكم منذ فترة طويلة في لوحة أوزما السحرية، وهي التي أرسلتنا لدعوتكم لقصرها الملكي في مدينة الزُّمرُّد. لا أعرف ما إذا كنت تدركون كم أنتم محظوظون لتَلقِّي هذه الدعوة، لكنَّكم ستستوعبون ذلك بشكل أفضل حين ترون القصر الملكي ومدينة الزمرد".

خرجت جلينـدا بشخصها للخارج على درجات السُّلَّم الرخامية ودَعَتهم للدخول وقادتهم إلى قاعة الاستقبال اللازورديَّة. تروت خافت قليلًا من جلال الساحرة الكبيرة، ولكنها اكتسبت شجاعة من الإمساك بيدَيْ دورثي وبيتسي، أمَّا كابتن بيل فلم يجد مَن يساعده للتغلب على رهبة الموقف، فجلس على أقرب كرسي مشدودًا ولم يَجِد كلامًا يقوله غير "نعم يا سيدتي"، أو "حاضر يا سيدتي"، أو "لا يا سيدتي"- وطوال الوقت تَملَّكه شعور بالرهبة والانبهار بفخامة القاعة اللازورديَّة.

عـاش خيـال المآتـة فـي العديـد مـن القصـور الملكيـة فـي أرض أوز، فـكان يشـعر بالأُلفَـة والتعـوُّد علـى تلـك الأشـياء وتبـادل الحديـث مـع جلينـدا ومضيفـات قصرهـا بمـرح وخِفَّـة. أخبرهـنَّ بمغامراتـه في جينكسـلاند وعنـد الشَّـلَّال الكبيـر، وفـي رحلتـه إلـى هنـا -التـي كان معظـم مسـتمعيها يعرفونهـا بالفعـل- ثـم سـأل دورثـي وبيتسـي عمَّـا حـدث فـي مدينـة الزمـرد منـذ أن غـادر.

قضـت الصُّحبـة طـوال المسـاء ومعظـم الليـل فـي الحكـي والحديـث. كمـا اهتمَّـت جلينـدا الطيبـة بالاحتفـاء بالبَحَّـار العجـوز لتزيـل عنـه رهبـة الموقـف، تدريجيًّـا اسـتعاد كابتـن بيـل نفسـه الطبيعيـة وانخـرط يسـتمتع بالأمسـية مـع الصحبـة. أمَّـا تـروت فقـد توصَّلَـت إلـى اسـتنتاجٍ مُؤكَّـد أن دورثـي وبيتسـي سـتكونان رفيقتَيْـن مُقرَّبَتيـن لهـا فـي هـذه الأرض الخياليـة. أمَّـا برعـم باهـر فتعامـل فـي الأمسـية كأنـه فـي بيتـه تمامًـا، كمـا فعـل فـي ثلـوج الفيشـار فـي أرض مـو، أو حتـى عندمـا كان تائهًـا فـي حقـول جينكسـلاند.

فـي صبيحـة اليـوم التالـي، وبعـد الإفطـار، ودَّعـوا السـاحرة اللطيفـة، حيـث شـكروها مـرَّةً ثانيـة علـى إرسـال خيـال المآتـة فـي مَهمَّـةٍ لإنقاذهـم. وصعـد الجميـع للكارِثَّـة الحمـراء. وعلـى الفـور تحـرَّك الحصـان الخشـبي متوجِّهًـا لمدينـة الزمـرد. أثنـاء تلـك الرحلـة أدرك الغربـاءُ الجَمـالَ الحقيقـي لأرض أوز؛ فالحصـان الخشـبي اختـرق بهـم المناطـق المسـكونة بكثافـة، فقـد ازداد عـدد السـكان كلَّمـا اقتربـوا مـن العاصمـة فـي منتصـف أرض أوز. كان لـدى كل شـخص قابلـوه عبـارات ترحيـب أو ابتسـامات ودودة للشـخصيات المشـهورة للغايـة: خيـال المآتـة ودورثـي وصديقتهـا بيتسـي، وتذكَّـر بعضهـم برعـم باهـر، ورحَّبـوا بـه فـي بلدهـم.

كانـت رحلـةً مُمتِعـةً حقًّـا، لدرجـة أن تـروت راوَدَهـا أمـل أن تسـمح لهـا أوزمـا بالعيـش للأبـد فـي أرض أوز الخياليـة. وعندمـا وصلـوا إلـى مدينـة الزمـرد، انتابتهـم دهشـة أكبـر مـن أي وقـت مضـى، سـواء مـن روعـة أزيـاء المـارَّة الخلَّابـة والجذَّابـة، أو مـن روعـة طُرُقـات وشـوارع المدينـة نفسـها، لكـن روعـة القصـر الملكـي خطفـت أنفاسـهم تمامًـا. حتـى اسـتقبلتهم أوزمـا

فـي صالـة الاسـتقبال الجميلـة، وبتأدُّبهـا السـاحر وابتسـاماتها المُطَمئِنَـة جعلتهـم يشـعرون بأنهـم لـم يعـودوا غربـاء.

لقـد مُنحـت تـروت غُرفـة بجانـب جنـاح دورثي، بينمـا سـكن كابتـن بيـل فـي غرفـة بنفـس الطابـق مُطِلَّـة علـى حدائـق القصـر، وفـي ذلـك المسـاء أقامـت أوزمـا مأدبـة كبيـرة وحفـل اسـتقبال علـى شـرف الوافديـن الجُـدُد. بينمـا قـرأت تـروت عـن العديـد مـن الأشـخاص الذيـن قابلتهـم، كان كابتـن بيـل أقـلَّ درايـةً بهـم، وكثيـر مـن الشـخصيات غيـر العاديـة التـي تعـرَّف عليهـا ذلـك المسـاء تسـبَّبَت فـي أن يفتـح البَحَّـار العجـوز عينيـه علـى مصراعيهـا مـن دهشـة.

كان يعتقـد أن خيـالَ مآتـة حيًّـا هـو أقصـى مـا قـد يراه فـي تلـك الأراضي الخياليـة، ولكنـه قابـل الحطَّـابَ الصفيـح، وچـاك رأس القـرع، والبروفيسـور ووچـي بـق، وآخريـن. ولكـن التعجُّـب الحقيقـي هـو رؤيتـه لحيوانـات لا تتصـرَّف كحيوانـات، والتـي دخلـت حفـل الاسـتقبال بيـن الحضـور؛ إنهـم الأسـد الخَـوَّاف، والنمـر الجائـع، اللذيـن تحدَّثـا مـع الضيـوف بشـأن آخـر التطـوُّرات فـي ارض أوز. وحيـن رأت تـروت التِّسـعة خنازيـر الصغيـرة، سـألت بـكل بـراءة: "أنتـم صغـارٌ جـدًّا، هـل أكلتـم مـن تـوت اللافُنـدر؟"، وبالطبـع لـم يفهـم أحـدٌ ذلـك السـؤال إلَّا عندمـا حَكَـت لهـم مغامرتهـا مـع شـيخ الجزيـرة الضئيـل.

أخيـرًا، دخـل سـاحر أوز العجيـب، ومـع دخولـه سـاد انتبـاهٌ واحتـرام علـى كل الحضـور بشـكل ملحـوظ، وتوجَّـه مباشـرة للغُرَبـاء، وقـال: "أنـا أعرفكـم، ولكنكـم لا تعرفوننـي؛ لـذا اسـمحوا لـي بـأن نتعـرَّف بشـكل لائـق"، وبالفعـل تعرَّفـوا، ومـع انتهـاء الأمسـية، تعرَّفَـت وكوَّنَـت تـروت صداقـاتٍ مـع كل الشـخصيات الهامـة التـي حضـرت الحفـل. فجـأة التفتـت تـروت حولهـا وقالـت: "يـا إلهـي، أيـن برعـم باهـر، لقـد تـاه مـرَّةً أخـرى"، ردَّت أوزمـا بابتسـامة: "لا تقلقـي يـا عزيزتـي، فـلا يمكـن أن يتـوه أحـدٌ فـي قصـر أوزمـا المَلَكـيِّ أو مدينـة الزُّمـرُّد. ثـمَّ إن لـم يَتُـه برعـم باهـر، فكونـي واثِقـةً أنـه لـن يكـون سـعيدًا!".

الخاتمة

أخيـرًا انضـمَّ كابتـن بيـل وتـروت لعالـم أوز. إنهـم أبطـال روايتيـن كتبهما بـاوم فـي فتـرة توقُّـف سلسـلة عالـم أوز. هنـاك اعتقـاد أن الروايـة التـي بيـن يديـك مـن المفتـرض أن تكـون الروايـة الثالثـة لتلـك السلسـلة، ولكـن عـدل بـاوم مسـار أحداثهـا لتدخـل ضمـن عالـم أوز، بعدمـا ضغـط عليـه كلٌّ مـن القُـرَّاء ودار النشـر لاسـتكمال سلسـلة أوز مـرَّةً أخـرى. فـي الواقـع، نـرى طمـوح بـاوم بكتابـة قصـص أخـرى خـارج سلسـلة عالـم أوز لـم يخفـت أو يَنتَـهِ، فيقـول فـي كلمـة المقدِّمـة: "... وعندمـا يكتفـي الأطفـال مـن قصـص أوز، آمـل أن يخبرونـي بذلـك؛ لأحـاول كتابـة شـيء مختلـف".

حكـى لنـا بـاوم الكثيـر عـن تـروت وعرفنـا والدتهـا ووالدهـا، وصداقتهـا -منـذ الطفولـة- بالبحَّـار العجـوز وكثيـر مـن الأشـياء الأخـرى عـن حياتهـا. وهـو أمـر لـم يحـدث أبـدًا للفتـاة دورثـي، فحتـى الروايـة السادسـة لـم نعـرف -بشـكل صريـح- درجـةَ قَرابَتِهـا بالعـمِّ هنـري والعمَّـة إم. تـروت، علـى عكـس بيتسـي ودورثـي، تُفضِّـل رفقـة البشـر؛ فعلاقتهـا مـع كابتـن

بيل، هي مزيج من الصَّداقة والأُبوَّة والشَّراكة، تستمدُّ تعلُّمها وخبراتها منه، وليس من مغامراتها الشخصية.

تيمة رحلة فتاة صغيرة لأرض خيالية والعودة لأرض الواقع، كانت مُفضَّلةً لدى باوم، ولكن تروت ستكون آخِرَ فتاة تدخل عالم أوز، وستكون هذه الرواية الأخيرة التي سيستخدم فيها هذه التيمة. في الواقع دورثي جيل وبيتسي بوبين وتروت- سيُشَكِّلن ثلاثي فتياتٍ سيَخُضْن مغامرات مستقبلًا معًا، كما أنها آخر شخص يهاجر ويقيم في أرض أوز، لن يكون هناك أشخاص من العالم الخارجي يدخل أوز في الروايات الخمس التالية، على الأقل.

عانت هذه الرواية من انخفاض المبيعات، مثل الرواية القادمة، وسيستعيد باوم مجد سلسلة أوز في الرواية الحادية عشرة "أميرة أوز المفقودة". وليس لهذا صِلة بجودة الرواية على الإطلاق؛ فهذه الروايات الثلاث ما زال بها قَدرُ المرح والإثارة والغرابة التي تعوَّد عليها قُرَّاء أوز، وينتظرونه بشغف.

انخفاض المبيعات له أسباب أخرى ذكرناها من قبل، ولكن أحبُّ أن أضيف لتلك الأسباب أن دورثي ليست بطلة الأحداث في تلك الروايات الثلاث. قد يبدو ذلك غريبًا، ولكنه تحقيق لما قاله باوم في مُقدِّمة الرواية الثالثة: "أصبح من الواضح أن دورثي عنصر أساسي في حكايات أوز؛ فكل الصغار يحبُّون دورثي، وكما قال أحد أصدقائي الصغار نَصًّا، وبجدارة: «لن تكون قصة أوز حقيقية بدونها»".

هذه الرواية مُهداة لـ "المبجلين" The Uplifters، وهو نادٍ اجتماعيٌّ أسَّسه هاري مارستون هالدمان Harry Marston Haldeman في لوس أنجلوس عام 1913 على غرار نادٍ اجتماعي مُقامٍ في شيكاغو. انضمَّ فرانك باوم للنادي منذ تأسيسه، وهو مَن ابتكر اسمه المعروف به وصَمَّم شعار الأخوية ورسم شكل مجلس الإدارة الذي كان مُخصَّصًا للرِّجال فقط.

ساهمت أو استثمرت مجموعة صغيرة منهم في إقامة "شركة تصنيع أفلام أوز" Oz Film Manufacturing Company، والمخصَّصة لتحويل قصص وروايات باوم إلى سينما. وضع المستثمرون مائة ألف دولار. وتمَّ تعيين باوم رئيسًا للشركة، وحصل على كتلة من الأسهم في الشركة مقابل الحقوق الأدبية لأعماله. كان أول مشروع للشركة هو فيلم "فتاة قصاقيص القماش في أوز".

في هذا الوقت لم تكن شركات إنتاج الأفلام، بمفهوم الاستديوهات السينمائية الحالية؛ لهذا كانت مَهمَّتها المتعارَف عليها التصنيع Manu-facture وليس إنتاج production. وكان في منصب نائب الرئيس لويس ف. جوتسكالك (المهدى إليه الرواية السابقة) ومنصب السكرتارية من نصيب مؤسِّس النادي هاري هالدمان.

أنتجت الشركة خمسة أفلام طويلة روائية وخمسة أفلام قصيرة، لم يتبقَّ منهم غير ثلاثة أفلام روائية طويلة. ولم تستمر الشركة في العمل بعد وفاة باوم، فاندمجت أو استولت عليها أفلام مترو Metro Pictures التي انطلقت منها شركة الأفلام العملاقة مترو جولدن ماير Metro-Goldwyn-Mayer، والتي أنتجت بعد ذلك عام 1939 "ساحر أوز العجيب". مدهشٌ كيف أثَّرَت أوز، ليس في الأدب الأمريكي والعالمي، لكن أيضًا في صناعة السينما.

هناك ملحوظة مهمة يجب أن نضعها في الاعتبار، أنَّ تلك الروايات، صحيحٌ، حقَّقَت انخفاضًا في المبيعات في أول سنة نشرٍ فقط، وهو انخفاضٌ نسبيٌّ، مقارنةً بالروايات السابقة، ولكنها ما زالت تُدرُّ أرباحًا دفَعَت الناشر لطباعة الروايات بطبعات لا تتوقَّف، بلوحاتٍ مُلوَّنة. أرغب أيضًا في أن أدَّعي على باوم أنه في تلك الروايات الثلاث تَوجَّه لجمهور مختلف عن جمهوره المعتاد من الأطفال، اللغة اختلفت، يمكن، لكن من المؤكَّد أن الرواية السابقة كانت في الأصل لجمهور المسرح، والرواية التي بين يديك بها قصَّة حُبٍّ واضحة للبالغين، وحبكتها مستعارة من فيلم أخرجه باوم في أكتوبر عام 1914.

ولكنـي فكَّـرتُ لمـاذا لا تكـون الروايـة (والروايـة السـابقة أيضًـا) أكثـرَ ارتباطًـا بـأرض أوز أكثـر ممَّـا نَظـنُّ؟ "خيـال المآتـة فـي أوز" فـي حقيقتهـا تحكـي عـن مملكـة جينكسـلاند، المملكـة التـي تقـع علـى أرض أوز، ولكـن ليـس تحـت سـلطة ونفـوذ العاصمـة مدينـة الزمـرُّد، والتـي تحتفـظ بشـكل الحيـاة الاجتماعيـة قبـل سُـلطة الأميـرة أوزمـا، سـاحرات يخدمـن ملـوكًا بمقابـلٍ مـادي!

كمـا أن روايـة "تيكتـوك فـي أوز" تحكـي عـن مملكـة أوجابـو، التـي تحـاول التَّمـرُّد علـى مدينـة الزُّمـرُّد بغزوهـا! وبالطبـع تتذكَّـرون "العـم ننكـي" مـن روايـة "فتـاة قصاقيـص القمـاش فـي أوز"، فالحـاوي المتقـوِّس يُعرِّفـه بأنـه: "سـليل آخـر ملـوك الموشـكيِّين قبـل أن تصبـح جُـزءًا مـن أرض أوز"، ويقـول عنـه بـاوم فـي الفصـل الرابـع: "ربمـا كان العـم ننكـي مَلِـكًا علـى الموشـكيِّين ذات يـوم، ولكـن شـعبه اتَّحـد مـع شـعوب أرض أوز الأخـرى، واعتـرف بسُـلطة وحُكـم الأميـرة أوزمـا الوحيـد عليهـم"، والتـي سـنعرف مـن الكاتبـة روث بلوملـي طومسـون -المؤرِّخـة المَلكيَّـة الثانيـة لأرض أوز- أنهـا مملكـة كانـت تُدعَـى سـيبانيا.

حاوَلَـت دار النشـر Reilly & Britton -المسـؤولة عـن نشـر السلسـلة منـذ الروايـة الثانيـة- بـذلَ مجهـود أكبـر فـي الدعايـة لتعويـض مـا حـدث فـي الروايـة السـابقة، فجـاءت فكـرة أن يتـمَّ توزيـع كُتيِّـب صغيـر يحتـوي علـى بوسـترات ورسـومات شـخصيات عالـم أوز، وتـمَّ إسـناد هـذا الكتـاب الـذي أُطلـق عليـه كتـاب رسـومات أوز The Oz Toy Book للرَّسَّـام چـون نيـل John R. Neill. يُعـدُّ كتـاب الألعـاب أحـدَ أنْـدَرِ مُقتَنيـات أوز، مـن المعـروف أن موجـود أربـع نسـخ فقـط كاملـة وسـليمة. أنتـج الرسـام إريـك شـانور Eric Shanower جـزءًا ثانيًـا لـه بعنـوان The Oz Toy Book Volume 2 عـام 1994. يبـدو أن الكتـاب ظهـر بشـكل أفضـل ممَّـا كان مُخطَّطًـا لـه، فقـرَّرَت الـدار فـي آخـر لحظـة قبـل طـرح روايـة "خيـال المآتـة فـي أوز" فـي المكتبـات أن تطـرح كتـاب الألعـاب والرسـومات للبيـع، بـدون التشـاور مـع المؤلـف بـاوم، الـذي لـم يعـرف بالأمـر إلا مـن كتالـوج دار النشـر. قالـت

زوجة باوم بعد وفاته إن هذه كانت أحد الأخطاء التسويقية التي أدَّت لانخفاض مبيعات تلك الرواية في تلك السنة.

استشاط باوم غضبًا، وبذل رئيس الدار مجهودًا مُضاعَفًا في التبريرات والاعتذارات لتهدئة مؤلِّفه النجم، والحقيقة أن باوم كانت لديه أسباب وجيهة، فهو لم يتخلَّص من نزاع مع الرَّسَّام وليام والاس دينسلو W. W. Denslow الذي رسم أول رواية في السلسلة "ساحر أوز العجيب" حول حقوق الشخصيات ومشاركته في أول رواية في أوز. وليام لم يكن مجرد رسام بالنسبة للمؤلِّف. فقد كان صديق باوم وشاركه في رسومات كتب سابقة[1].

كان وليام يرى أن من حقِّه أن يكون كاتِبًا مُشارِكًا على غلاف رواية ساحر أوز العجيب وليس مجرَّدَ رسَّام فقط[2]، لكن حادثة كتاب

---

(1) قصة دينسلو طويلة، وانتهت بوفاته عام 1915 عن عمر 58 عامًا، على الأغلب بسبب إدمانه للخمر. كان رسَّامًا موهوبًا بدأ حياته الفنية عن عمر 16 عامًا، وأول كتاب قام برسم لوحاته في مجال قصص الأطفال، تعاون مع باوم في Mother Goose In Prose عام 1897 وفي الكتاب الثاني قَرَّرا أن تكون رسومات الكتاب بالألوان، ولم يعتُرْا على دار نشرٍ تقبل المشروع المُكلِّف، حتى أقنعَا الناشر جورج هيل George M. Hill على الموافقة على النشر، على أن يتحمَّلا جزءًا كبيرًا من تكاليف اللوحات الملوَّنة. صدر الكتاب عام 1899 بعنوان Father Goose, His Book وحقَّق نجاحًا كبيرًا غطَّى التكاليف، مَكَّنتهم من نشر The Wonderful Wizard Of Oz في العام التالي بنفس الطريقة، وحقَّقت نجاحًا مذهلًا. آخر تعاوُنٍ مع باوم كان في رواية Dot And Tot Of Merryland عام 1901.

(2) استخدم ديسنلو ما يَدَّعي أنه حقوقه في شخصيات أوز، واستغلَّ نجاحها في صنع شريط مُصوَّر Comic Strip على صفحات الجرائد؛ وهو ما تسبَّب في القطيعة النهائية بينهما. حكاية ذلك الشريط المصوَّر عن محاولة خيال المآتة والحطَّاب الصفيح والأسد الخَوَّاف لتعويض صديقتهم دورثي بعدم الاحتفال بالكريسماس، ومغامرتهم للحصول على شجرة عيد الميلاد لها. تقع أحداث تلك القصة في الفترة الزمنية التي قضتها دورثي في مدينة الزمرد في انتظار ساحر أوز العجيب ليخترع لها طريقة للعودة لكانساس، والتي انتهت بفكرة العودة باستخدام البالون، والتي فشلت بالطبع حسب أحداث الرواية الأولى، وهي فترة ثلاث أيام فقط. ديسنلو كان حريصًا عن طريق تلك القصة المصوَّرة التي نُشرت مسلسلة ما بين ديسمبر 1904 إلى مارس 1905 على تأكيد حقوقه فقط، فالقصَّة لم تُصوِّر دورثي جيل، أو يأتي على ذِكر أوز أصلًا. لاحظ أن الثلاثة شخصيات تخوض مغامرتها في أمريكا بعد حصولهم على

الألعاب الذي أخرجه چون نيل أثارت استياء باوم إلى حدٍّ أنه اقترح على صاحب دار النشر استبداله بالرَّسَّام Winsor McCay الذي كان يرسم في ذلك الوقت كوميكس في صفحات الجرائد استمرَّ من 1905 إلى 1911 بعنوان Little Nemo in Slumberland والتي كانت مشهورة وقتها، أو يستعين بالرسام چورچ مكمانوس George McManus صاحب كوميكس Bringing Up Father. ولكن لحسن الحظ كانت علاقة الناشر مع الرَّسَّام نيل جيدة، فعندما لم يُصِرَّ باوم على الأمر، اعتبر الناشر أن الموضوع انتهى.

يجب أن تعتاد عزيزي القارئ أن عالم أوز أصبح أكبر وأضخم من المؤسِّس والمؤرِّخ الملكي لأرض أوز؛ فمَثَلًا، لو أثارت فيك تلك الرواية أسئلة من نوع لماذا بعثت جلينـدا خيال المآتة إلى مملكة جينكسلاند؟ أو لماذا أحداث الانقلابات المؤسفة في المملكة المنعزلة لم تستدَعِ تدخُّلَ الأميرة أوزما، كما فعلت في أرض إيڤ، وحارَبَت ملك النووم في سبيل إنقاذ عائلتها الملكية؟ ومَن هي بلينكي، ولماذا ما زالت تمارس سحرها الشرير في المملكة التي من المفترض أنها جزء من أرض أوز؟ فستجد الإجابة في روايات أخرى، لم يكتبها باوم، بل خُلَفاؤه والمؤرِّخون بعده. روث طومسون كتَبَت رواية أوضحت فيها أن انقلابات المملكة المنعزلة حدثت قبل تولِّي أوزما الحُكمَ.

كاتب آخر كتب رواية يحكي فيها كيف أعادت الساحرة بلينكي الحياة للوحش الهائل ثعبان الرمال الذي يعيش في الصحراء المميتة ليهاجم أرض أوز وينتقم لها من الساحرة جلينـدا التي استولت على مُعِدَّاتها السحرية قديمًا، فقد كانت بلينكي هي ساحرة الجنوب الشريرة، تمامًا

مبتغاهم من ساحر أوز العجيب. البعض يقول إنه استعار تلك الحبكة من قصص باوم نفسه Queer Visitors from the Marvelous Land of Oz التي نشرها في عدد من الصحف ما بين أغسطس 1904 إلى فبراير 1905، والتي كانت مصنوعة خصِّيصًا لتكون دعايةً لروايته أرض أوز المدهشة عام 1904.

مثلما كانت مومبي ساحِرَة الشمال الشريرة، وتمَّ تقليص سُلطاتها وانزوت لتكون مشعوذة.

في هذه الرواية، طلبت جلينـدا من خيال المآتة والحطَّاب الصفيح والأسد الخَوَّاف أن يشكِّلوا فريقًا للبحث عن المزمار العنبري، وهو الشيء الوحيد القادر على السيطرة على ذلك الوحش المميت. حدث ذلك مباشرة بعد زيارة دورثي الأولى لأرض أوز. في هذه الرواية كان خيال المآتة -حاكم أوز في ذلك الوقت- هو القادر على وقف شرِّ بلينكي. أحكي لك عن تلك الروايات لأن ما تظنه ثغرة أو فجوة أو تساؤلًا ستجد إجابةً عليه في روايات قادمة. وهو أحد العوامل الهامَّة التي جعلت أوز حيَّة في أذهان القُرَّاء، حتى الآن.

لذلك أشجِّعُكَ على تَخيُّل أحداث وحكايات تفسِّر لكَ أي تناقُضٍ أو فجوات تراها في الروايات التي تقرؤها الآن.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

سلسلة أوز

1. ساحر أوز العجيب
2. أرض أوز المدهشة
3. أوزما أميرة أوز
4. دورثى والساحر في أوز
5. الطريق الى أوز
6. مدينة الزمرد
7. فتاة قصاقيص القماش في اوز
8. تيك توك في أوز
9. خيال المآته في أوز
10. رينكيتينك في أوز
11. أميرة أوز المفقودة
12. الحطاب الصفيح في أوز
13. سحر أرض أوز
14. جليندا ساحرة أوز

L.Frank Baum

Tik-Tok of OZ

9

أهم ملحمة خيالية في تاريخ أمريكا وزعت أكثر من ٣ مليون نسخة

تحولت لعشرات الأفلام والمسرحيات

تقود المغامرات كابتن بيل، البحار العجوز ذو الساق الخشبية، وتروت، الفتاة الصغيرة، إلى مملكة معزولة ومنسية داخل أرض أوز. وهناك يشهدون مؤامرات لئيمة لإفساد قصة حب بين الأميرة وصبي البستاني، ولكنهم يقعون في مزيدا من المشاكل والمؤامرات، حتى يحضر بطل أرض أوز؛ خيال المآتة. ولكن هل يستطيع رجل القش إنقاذ الموقف المعقد الذى وقع أبطالنا فيه؟ ومواجهه السحر الأسود والمرعب للساحرة بلينكى؟ دعنا نستكشف الرواية التاسعة من عالم أوز!

أنه عالم من إبداع الكاتب الأمريكي فرانك باوم (مايو ١٨٦٥-مايو ١٩١٩)، ومع كل رواية يحيكها، تبهر جميع الأعمار وتطالبه بالمزيد، فكتب أربعة عشر رواية واستكمل تلاميذ وأحفاد فرانك روايات عالم أوز. ومنذ عام ١٩.. لم يتوقف العالم عن الأعجاب بها، وترجمتها في ترجمات وطبعات لا نهائية، كما انها تحولت الى المسرح والسينما.

مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات

ISBN 978-977-313-885-1

الغلاف: عبد الرحمن الصواف